العدد (٥٣٦) ربيع الآخر ١٤٣١هـ - ابريل ٢٠١٠م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
Al-Waei Al-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

فتاوى فقهية في القضايا الفنية

الحضور الإسلامي في السينما المعاصرة كيف.. ولماذا؟

الوعي الإسلامي

أرشيف

نداء
إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية من مجلة «الوعي الإسلامي» من العدد (١-١٠٠) التكرم بالتواصل مع إدارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الافتتاحية

الوسائل لها أحكام المقاصد

إنّ الوسائل تتفاضل فيما بينها تفاضلا عظيما، وهذا التفاضل يُبنى على أمور معينة، يدركها المتخصّصون ذَوُو المَلَكات العلميّة الراسخة، والشّرائعُ كلّها متّفقةٌ على أصول المقاصد والوسائل، ولذلك فإنّ النظر الاجتهاديّ المبنيّ على دعائمَ استنباطيّةٍ صحيحةٍ يُبيّ مدى تناسق الوسائل مع مقاصدها، وفي هذا العصر وُجد ما ينافسَ في هذا الميدان من الوسائل المدنيّة الحديثة المختلفة الصّور والألوان، ومن ذلك وسائل الإعلام التي تعدّدتَ وتنوّعت في أيامنا هذه، وبانتشارها الهائل لم يعد المنزل والمدرسة البوابتين الوحيدتين في صنع وإعداد الأجيال، بل أضحت كلّ هذه الألوان الإعلامية من مصادر الثقافة.

ولا شكّ أنّ البيت والمدرسة والمحاضن التربوية التقليدية لا تستطيع بمفردها أن تنهض بعبء تربية الأجيال ما لم تجدْ عوْنا يشدّ أزرها؛ في مواجهة كل هذه الوسائل الضخمة العابثة الساخرة التي تقضي على جميع ما أبرمتْه التربية المنزلية الراشدة، وتشكّك فيما قرّرته، وتدعو إلى ما حذّرتْ منه وحرّمته، وتقيم للناس مُثُلا، وتبتدع لهم طرائق وعادات لا تقترحه أو تختلقه، على نقيض ما يريد البيت والمدرسة أن يزرعاه ويؤسساه في أخلاق النّشء.

إنها وسائل في أغلبها تصرف المتابعَ لها عند الجدّ من القول إلى الهزل، وعن النافع المثمر إلى التافه الغثّ؛ فتخلق أمزجةً فاسدةً لا تجد لذّة ولا متاعا إلاّ في الساقط من القول واللهو من الحديث.

إنّ الدول تنفق الأموال وتستهلك الجهود في إنشاء المؤسسات، وفي إعداد القائمين عليها وفي إحْكام نُظُمها وبرامجها ووسائلها، ثم تغفل عن هذه الوسائل الخطيرة التي تشاركها في هذا الميدان، فتترك سُبُلها ومنافذها مفتوحةً لشهوات المأجورين والمخدوعين، تحت مسمى «حرية الرأي» و«حرية النشر»، وهو في حقيقة الأمر وسيلة لإفساد البشرية وهدم كلّ الأديان.

ويمكن لوسائل الإعلام أن تُروّح وتُسلّي عن مشاهديها ومتابعيها وتُذهب عنهم ما ألَمّ بهم من الملل، وتعرض ما هو مفيدٌ ونافعٌ، لا سيّلا من الشتائم النابية والمهاترات الفظة الهابطة، التي لا ترْعى حرمة، ولا تعف عن لفظ.

فالإعلام صورته الكاملة وسيلةٌ من وسائل السموّ، وأداة عظيمة من أدوات الإصلاح والرقيّ ودفع عجلة التنمية، ولكنه أصبح في الحياة المعاصرة فنّا له روّاده على اختلاف وسائل نشره، فصار بهذا يشغل جانبا كبيرا في حياة الناس، وتترتب عليه آثارٌ معارضة لآداب الشريعة وناموس الترقّي، كما يترتب عليه انحلال ربقة الآداب، وأضحى عالما من الملهيات المهلكات، التي توقظ نائم الأهواء، وتحرّك ساكن الشهوات، كما ينطق به الواقع المرير، لتحرير الفُحْش والغناء، والفسوق والعصيان، وتهديم البيوت، فهو يمثل مخاطر على العقائد والأخلاق والفضائل والآداب.

ومن أشأم هذه المخاطر، وأشدّها نفوذا تمييعُ الأمة وإغراقَها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، وإشاعةُ الفاحشة ونشْرُها، ولأجل ذلك عَدَلَ الإعلام الهابط عن حفظ الأعراض وحراستها إلى زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها، وكلّ هذا تحت شعار «الإعلام الحرّ»، وكثيرٌ من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة مصادرها.

والإعلام اليوم من الوسائل التي يستخدمها الناس لأغراض شتّى، وقد أخذ أشكالا ومرّ بأطوار كثيرة جدّا، وسار على طرُق وأنظمة مرتّبة لم تكن معروفة من قبل، ومن الأمور المعلومة من الدّين بالضرورة أنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

صناديق الإستثمار الاسلامية 29

حوار مع د. حسن الشافعي 32

وارثو الأرض 34

دور الفكر القومي في إعاقة النهضة 36

الإسلام والتربية البيئية 62

هل يجدي الحوار مع المنافقين أو المتزمتين؟ 70

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٦

العام السابع والأربعون

ربيع الآخر ١٤٣١ هـ

ابريل ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان. الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

• الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

عندما تكون السينما وسيلة إيجابية من وسائل التغيير والتجديد المعرفي المساند لعملية التنمية المجتمعية تصبح الحاجة إليها ضرورة.

داخل العدد

محاسن كتابة مصحف إمام ومبرراته ٢٤

اللغة العربية أصل اللغات وأقدمها ٤٤

فريد الأنصاري ورياح بعثة التجديد ٥٦

جامع الكتبية في مراكش ٦٤

الضريبة العقارية.. رؤية فقهية ٧٢

كلمة العدد

مزيدًا من التواصل

الإخوة والأخوات كُتَّاب وقراء المجلة الكرام:

على الرغم من أننا حاولنا في هذا العدد (ربيع الآخر) الذي نضعه بين أيديكم التركيز على قضية وسائل الاعلام المرئية وانعكاساتها المختلفة على الساحة الاسلامية ومدى تأثيراتها في حياتنا المعاصرة إلا أننا تعرضنا من خلاله أيضا لمواضيع شتى تناولت مختلف صنوف العلم والمعرفة والتراث والأدب واللغة وفي مقدّمها:

صناديق الاستثمار الإسلامية، محاسن كتابة «المصحف الإمام» ومبرراته، دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة، وارثو الأرض، مساجلات الأقران، أحكام الضريبة العقارية، علي أحمد باكثير فاق اقرانة شاعرًا وكاتبًا.... وغيرها من المواضيع.

إن المجلة هي مجلة كل عربي مسلم غيور على دينه وأمته وقضاياها العادلة، وإن تطويرها وتجديد خطابها مسؤولية مشتركة فيما بيننا، لذا فإن الأمل يحدونا أن تترسخ وتتأصل جسور التواصل الفكري والمعرفي بيننا لنصل إلى قواسم مشتركة لكل قضية تطرحها المجلة للبحث والنقاش على أسس موضوعية، بعيداً عن التشنج والتعصب الفكري الأعمى الذي لا طائل من ورائه إلا تعميق الاختلافات وإعاقة طريق النهضة المنشودة.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا

• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الإعلام المرئي.. هل هو ضرورة؟

لا يزال الإعلام الإسلامي المرئي (السينما والمسرح عمومًا) يواجه كمًا هائلاً من التحديات والمعوقات، بعضها مشروع وبعضها فيه اختلاف فكري وشرعي يجب تأصيله واتخاذ قرار بشأنه في عصر أصبح للإعلام المرئي دور مهم في حياة الأمم والشعوب بسبب قدرته على إحداث التغيير والتجديد الذي يعجز عنه الإعلام المكتوب والمسموع.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما موقف المجتمعات الإسلامية من هذا الإعلام؟ وهل نحن في حاجة إليه لوقف ذلك السيل الثقافي الجارف الوافد إلينا عنوة من خلال الأفلام والمسلسلات؟ أم أنه كما يقول آخرون، نوع من الترف الذي لا طائل من ورائه سوى الفساد والإفساد؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف نواجه حملات التشكيك الموجهة لديننا ونبينا وأمتنا في وسائل الإعلام المرئية الأجنبية؟

هذه التساؤلات حاولنا الإجابة عنها ولو جزئيًا من خلال هذا الملف الذي ضمناه مجموعة من الرؤى والآراء والمواضيع والفتاوى الشرعية المتعلقة بهذه القضية، وتركنا الباب مفتوحًا للإخوة القراء والأخوات القارئات لإثرائه وتأصيله وفق مبادئ ديننا وثوابته التي أجمع عليها كبار العلماء والمجامع الفقهية. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد : التحرير

مسلسل يوسف الصديق

د. رفيق حسن الحليمي

أثارت مشاهدتي بعض حلقات مسلسل يوسف الصديق عليه السلام جملة من القضايا.. بعضها ديني، وبعضها الآخر فني، وقليل منها تاريخي.

أولاً: الجانب الديني، ويتركز في مدى حرمة تصوير الأنبياء في الأعمال الفنية الدرامية.

ما أعرفه يقينًا أن الأزهر الشريف أصدر في أواخر الخمسينيات فتوى بتحريم ظهور الأنبياء وأمهات المؤمنين والصحابة أيضا، وخاصة الخلفاء الراشدين، في مختلف الأعمال الدرامية والتصاوير المختلفة، تحت أية ذريعة من الذرائع بما في ذلك ذريعة التربية الدينية للناشئة من أبنائنا، وقد التزمت صناعة السينما في مصر هذه الفتوى منذ صدورها وقبل صدورها، حيث لم تظهر شخصية أحد من الأنبياء في أي عمل درامي مصري، كما لم تظهر شخصية أي صحابي من الخلفاء الراشدين.

نعم، ظهرت شخصيات لكبار الصحابة من أمثال: خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح، وعندما حاولت بعض الأعمال تصوير شخصية الرسول الكريم ﷺ «في قصة ظهور الإسلام - د.طه حسين» اكتفت بإظهار ضوء (نور) يرمز الى شخصيته الكريمة، وهذا ما حدث في فيلم الرسالة، ويمثل هذا الالتزام مدرسة فقهية صادرة عن الأزهر الشريف الذي كان له الدور البارز في بلورة هذه الفتوى التي تعكس قيمة دينية وأخلاقية في احترام الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين.

منذ أيام أشارت بعض الصحف إلى أن الأزهر سيحسم قضية «التجسيد» في مؤتمره السنوي (٢٧ فبراير ٢٠١٠م)، إذ إن هناك من يدعو الى اظهار شخصية النبي محمد ﷺ في الأعمال الدرامية، وفي تقديري وأملي أن الأزهر لن يتراجع عن فتواه وموقفه السابقين من قضية التجسيد.

كاتب وأكاديمي فلسطيني

ـــــق عليه السلام والخروج عن النص

إذا أقدم الغرب على إخراج فيلم عن النبي محمد فعلى الدول الإسلامية منع عرض هذا العمل مهما كانت الذرائع

أما الغرب المسيحي فلا يتورع عن إظهار الأنبياء (فيلم الوصايا العشر الذي يمثل شخصيتي موسى وهارون عليهما السلام، وفيلم السيد المسيح)، والغرب بما فيه اليهود يذهبون الى أكثر وأبعد من ذلك فهم يجسدون الخالق فيجعلون له جسدًا!! ﴿... تعالى الله عما يصفون﴾ (النمل: ٦٣) أما نحن معشر المسلمين فنلتزم بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: ١١)، وقد كان فقهاء العصر العباسي يجرمون «المجسمة» الذين يقولون بالتجسيم بعقوبة تصل حد القتل.

وهناك نية لدى الغرب (هوليود) بإخراج فيلم عن النبي المصطفى ﷺ، وفي حالة إقدام الغرب على هذه الخطوة فمن واجب الدول الإسلامية منع عرض هذا العمل مهما كانت الذرائع، وهذا أضعف الإيمان، مع يقيني أن كل ممنوع متبوع، ولعلنا نذكر أن فيلم «الوصايا العشر» الذي يجسد شخصيتي موسى وهارون عليهما السلام كان من الأفلام الممنوعة، فماذا لو صدر فيلم عن شخصية المصطفى ﷺ؟! مما لاشك فيه أن أقلام الغرب لا تخلو من الشطط والحقد إذا ما أرادوا كتابة سيرة النبي محمد ﷺ لتكون مادة (سيناريو) لعمل درامي، وفي الغرب قلة نادرة من المنصفين، ولكن توجد كثرة كاثرة من المسرفين، وإذا كان الغرب بحاجة ماسة إلى معرفة الإسلام الحق، والتعرف إلى شخصية نبي الإسلام- وهذه مسؤولية كبرى تقع على عاتقنا أولًا- فهناك وسائل مختلفة ومتنوعة يمكن تقديمها، بحيث تكون أبعد ما تكون عن الأعمال الدرامية.

ثانيًا: مسلسل يوسف الصديق، أنتج التلفزيون الإيراني مسلسلًا يروي قصة يوسف الصديق عليه السلام، وبذلك يكون التلفزيون الإيراني قد حذا حذو المدرسة الغربية في إباحة تصوير الأنبياء، وهذا يعني أن إنتاج هذا العمل الدرامي جاء بموافقة فقهية مرجعية لا ترى غضاضة في تجسيد الأنبياء سينمائيا، واليوم كانت شخصية يوسف عليه السلام، وغدًا لا ندري من تكون شخصية النبي الذي سيظهره هذا التلفزيون أو ذاك!! ولا ننسى أن الغرب المسيحي يسابق الزمن في إنتاج فيلم عن شخصية المصطفى ﷺ، ويتساءل المرء: من هو الممثل صاحب الشخصية «الكارزمية» الذي يستطيع أن يقوم بهذا الدور العظيم، ما أعرفه أن الذي مثل فيلم الزعيم المصري الراحل مصطفى كامل اشترط عليه ألا يكون قد ظهر في أي عمل درامي سابق، وألا يقوم بأي عمل درامي لاحق بعد قيامه بذلك الدور، وقد التزم بقية حياته بذلك العهد حتى وفاته منذ سنوات، وإذا كان هذا الشرط قد طبق على رجل مثّل شخصية زعيم وطني، فما بالنا وما قولنا بعد ذلك فيمن سيمثل شخصية النبي محمد بن عبدالله ﷺ، وهل تطبق استوديوهات السينما في الغرب أو الشرق ذلك الشرط؟ وما أبشع وما أسوأ أن نشاهد ممثلًا، لا قدر الله، يقدم لنا شخصية النبي محمد ﷺ، وتكون له أدوار درامية سابقة ولاحقة فيها من الفسق والفجور ما يجعلنا نتقزز وننفر ولا نشعر بالرضا حتى ولو كنا نعلم أنه مجرد تمثيل في تمثيل!! ولا أخفي على القارئ أنني كلما تذكرت خالد بن الوليد قفزت الى مخيلتي صورة الممثل حسين صدقي الذي قام بتمثيل شخصية خالد.. فأين الثرى من الثريا؟!

ثالثًا: بين قراءة النص ومشاهدته، من المؤكد أن الإنسان عندما يشاهد عملًا فنيا- وخاصة اذا كان للعظماء- تنطبع صورهم في ذاكرته ولا تفارقه ويصبح الانسان أسيرًا- في فهمه لهذه الشخصية أو تلك- للعمل الفني حيث يتقيد بقيوده، ويخضع لمزاج المخرج

وهوى الممثل وحركاته وسكناته، وميول المنتج الذي تحركه المادة، ويقتنع بما يقدم إليه من حوار وأفكار، وبما يرى من ملابس وعادات وتقاليد بعضها ملائم وصحيح وبعضها غير صحيح.

أما إذا قرأ الواحد منا المادة الأساسية للعمل الفني بعيدًا عن المسرح أو شاشات التلفزة فإنه من خلال ثقافته وإدراكه ووعيه يقيم مسرحا كبيرا، يضفي عليه وعلى أشخاص الرواية ما يمكن إضفاؤه من الألوان ولغة الحوار، وأنواع الملابس، والقيم المختلفة والتفسيرات المتنوعة التي تتولد تلقائيا عندما يقرأ، وهذا ما يسمى بالمسرحيات المقروءة، أي التي تكتب على شكل مسرحية، غير أنها لا تنقل بالضرورة إلى خشبة المسرح، وبمعنى آخر: في القراءة حرية مطلقة لإطلاق العنان للخيال البشري، ولهذا الصنيع فوائد جمة تنعش الذهن وتنمي العقل، وفي المشاهدة قيود محددة للمخيلة تعطل العقل وتحجر الفكر.

ولعلي أجد- مع هذه الفكرة- حكمة جديدة تضاف إلى سلسلة من الحكم الناصعة عند بداية نزول القرآن بكلمة «اقرأ»، ولم تكن البداية بكلمة: (أبصر أو شاهد أو انظر) مع أن هذه المفردات تجلت فيها وبها جملة من الآيات البينات، فجعل القرآن للبصر والبصيرة موقعًا في حياة البشر، وكذلك الشهيد والشاهد والنظر في الملكوت.

رابعًا: الخروج عن النص، عادة ما يكون الخروج إما بمخالفة الأصول والحقائق التاريخية، وهي نادرة الوقوع، وإما بالزيادة عما ورد في النص الأصلي، وهذا كثيرًا ما يقع، وإما بالحذف أو التحوير وهو الغالب لمقتضيات العمل الدرامي، أما النص الذي نعنيه فهو سورة يوسف كما جاءت في القرآن الكريم وهو المرجع الذي نعتد به ولا مرجع سواه يتقدم عليه، للحقيقة فإن هذا المسلسل لم يخالف النص القرآني كما ورد في قصة يوسف وبالذات فيما يتصل بالخطوط الرئيسة، ولكنه خرج عما جاء فيها بزيادات وتحويرات كثيرة مصدرها إما التوراة وإما التلمود (وهو الكتاب الثاني عند اليهود، ويعد تفسيرًا وشرحا للتوراة)، نذكر على سبيل المثال:

■ إعادة الشباب والبصر الى امرأة العزيز التي فقدت بصرها وطعنت في السن، وهذه الحكاية لم ترد في القرآن، كما لم ترد في التوراة!

■ زواج يوسف من امرأة العزيز، وأن الله تعالى أوحى إليه بذلك، ولم يرد هذا في القرآن ولا في التوراة «السامرية» ولا في التوراة «العبرية» أيضًا ولكنه ورد في التفاسير القرآنية، ولعل مصدر ذلك بعض اليهود الذين أسلموا واختلطوا بالمسلمين، ومصدرهم في ذلك التلمود.

■ في المسلسل حديث مطول بين يعقوب والوحي وبين يوسف وأخيه، فيه جنوح فلسفي عن نية إبراهيم ذبح ولده اسماعيل، وذلك للخلاص من ولده الذي امتلأ قلبه بحبه فلم يعد يتسع لحب الله، فإذا ضحى بولده اصبح قلبه متسعًا لحب الله، وكذلك الحال بالنسبة إلى يعقوب الذي امتلأ قلبه بحب يوسف وأخيه، فإذا تخلى عن هذا الحب بدأ قلبه يتسع لحب الله أيضًا، هذا ما كان يدور بين يوسف وأخيه، وبين يعقوب والوحي، ولا أدري مصدر هذا الجنوح الفلسفي، ومدى موافقته لمذاهب المتصوفة فيما يعتقدونه بالعشق الإلهي، وقد أقحم المخرج هذا الحوار للتشويق، مع أن المسألة لا تعدو أن تكون اختبارًا لابراهيم وولده اسماعيل، ومدى امتثالهما لأمر الله، وكذلك ليعقوب وبنيه، ولهذا الحوار جانب آخر من الأهمية الدينية إذ يجعل اسماعيل هو الذبيح، كما يفهم من سياق النص القرآني ويخالف النص العبري، وهو بهذا يصحح خطأ تاريخيا ودينيا اعتقده كثيرون وتجادلوا فيه كثيرا ومازالوا، وقد تأثر الطبري المفسر بما في التوراة فظن أن الذبيح هو إسحق.

■ في القرآن أن الإخوة ومعهم بنيامين هم الذين دخلوا على يوسف ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ (سورة يوسف: ٦٩)، وفي المسلسل هو الذي دخل عليهم.

■ توجد أجزاء من حلقات المسلسل فيها زيادات كثيرة جاءت خدمة للعمل الدرامي، اقتضتها صناعة السينما

باحث سوري

وهي من ضروب الخيال.

خامسًا: الاسرائيليات، وهي مجمل التعاليم والأخبار الاسرائيلية والنصرانية، ولكثرة ما جاء من الاسرائيليات اندرجت كلها تحت هذا المسمى من باب التغليب، وقد تسللت بنسب متفاوتة الى جميع التفاسير القرآنية، وبذل كثير من الباحثين جهدهم منذ القدم لدراسة الاسرائيليات والتنبيه إليها وتنقية التفاسير منها، غير أن هذا المسلسل فتح الباب مجددًا لدخول الاسرائيليات، وقد أشرنا الى بعضها، ونكتفي بذكر أخطر ما جاء منها فيه، وهو يعد من الأخطاء التاريخية، وهو كلمة «عبري» التي جرت على ألسنة المتحاورين أكثر من مرة، ولاشك أن مصدرها التوراة، فقد وردت في سفر التكوين مرات عدة مثل: العبد العبراني، وغلام عبراني في وصف يوسف، وأرض العبرانيين، ولا يأكلون طعامًا

من الضروري تحريم تجسيد الانبياء في مختلف الأعمال الدرامية

مع العبرانيين، كما وردت في وصف إبراهيم عليه السلام، وهذا من الخطأ التاريخي الذي لابد من التنبيه إليه وهو أن الباحثين اليهود يرغبون في إطلاق هذا الاسم (عبري) على رموزهم من الأنبياء بدءًا من إبراهيم وانتهاء بهم، لتكوين سلسلة من الأنساب لا تنقطع، ومشكلة الباحثين من غير اليهود أنهم يأخذون عن الباحثين اليهود وقلما تجد من يعارضهم الرأي.

من الباحثين من ذهب الى أن من أسماء أجداد إبراهيم «عبري» ومنهم من زعم أن اسمه «عبري»، وقد سمي به لأنه عبر النهر (كذا قالوا)!

وللحقيقة فإن كلمة «عبري» دخلت التاريخ لأول مرة عند خروج موسى من مصر ودخوله مع بني اسرائيل أرض سيناء وتاهوا فيها أربعين سنة، أي بعد عصر إبراهيم ويعقوب ويوسف بزمن بعيد، وكانت تطلق على بدو سيناء، وقد اكتسب بنو اسرائيل هذا الاسم عندما اختلطوا ببدو سيناء العبرانيين أصلًا، وكان يطلق عليهم «عبيرو» لتمييزهم عن «العرب» أو «خابيرو»، إذ يعتقد أنهم أصل العبرانيين وهم القبائل الرحل التي جابت أطراف المشرق الأوسط، وعند دخول بني إسرائيل أرض كنعان مع من لحق بهم من بدو سيناء واستقر قسم منهم في الشمال سموا إسرائيليين وعبرانيين لا لأنهم عبروا نهر الأردن في طريقهم إلى أرض كنعان، كما يتوهم كثيرون، بل لأنهم اختلطوا ببدو سيناء «العبيرو»، ومن استقر منهم في الجنوب سموا «يهودًا»، وحال كلمة «عبري» مثل حال كلمة «يهودي» لم تعرف تاريخيا إلا بعد قيام مملكة يهوذا في الجنوب، أي بعد عصر موسى وهارون أيضًا، وقد رد القرآن على اليهود زعمهم أن إبراهيم كان يهوديا بقوله تعالى ﴿ما كان إبراهيم يهوديّا ولا نصرانيا﴾ (آل عمران: ٦٧).

هذا الخطأ التاريخي وغيره كيف يمكن تصحيحه؟ هل يعاد تصوير المسلسل من أجل هذا؟ وفي ذلك تكلفة باهظة، فضلًا عن الاستحالة، ثم هناك شرائح كبيرة في المجتمعات العربية والإسلامية ربما تابعت هذا المسلسل، فهل يمكن محو ما علق في الذاكرة من أضاليل وخيالات وأساطير.

من هنا أشدد على ضرورة تحريم «تجسيد» الأنبياء في مختلف الأعمال الدرامية، ومن جانب آخر نأمل تجريد الكثير من التفاسير من الإسرائيليات، لما فيها من زيادات ليست من الدين في شيء، ولعل هذا المسلسل شاهد على ذلك، فعلى الرغم من اعتماده قصة يوسف أساسًا موضوعيا للعلم الدرامي- كما جاءت في سورة يوسف - فإننا نجده التجأ الى التوراة والتلمود وأسرف في النقل عنهما ليملأ حلقات المسلسل ويطيلها كما ملأ بعض المفسرين تفاسيرهم وطولوها.

الناقد السينمائي فاروق عبدالعزيز في حوار خاص:

فيلمان وثائقيان .. جديد الساحة الدعوية

حوار: سليمان الرومي وتمام أحمد

أنتج الناقد السينمائي فاروق عبدالعزيز عملًا إعلاميًا دعويًا ضخمًا بأحدث تقنية يتمثل في فيلمين وثائقيين باللغتين العربية والإنجليزية، الأول «موريس والفرعون»، والثاني «من الكون الصغير إلى الكون الكبير»، وذلك بتمويل من وقف أهلي كويتي.

«الوعي الإسلامي» التقت الناقد للتعرف على طبيعة الفيلمين وأهدافهما ومدى آثارهما .. وإليكم نص الحوار:

● أنتجتم أخيرًا فيلمين وثائقيين «موريس والفرعون» و«من الكون الصغير إلى الكون الكبير».. حدثنا عنهما.

– فيلم «موريس والفرعون» يتناول العلاقة بين العلم والدين .. تلاقٍ أم تعارض مع استعراض حياة طبيب الأمعاء الشهير وعضو الجمعية الفرنسية للمصريات د.موريس بوكاي منذ عام ١٩٣٥م، حيث كان في الخامسة عشرة من عمره طالبًا في مدرسة مسيحية، وفي تلك الفترة أعلن الأب بيرونيه وكان أحد علماء الحفريات عن اكتشاف رسوم بشرية في كهف بجنوب اسبانيا أرجع تاريخها إلى ١٥٠٠٠عام، هذا في الوقت الذي ينص فيه كتاب الدين في المدرسة على أن تاريخ ظهور الإنسان الأول على الأرض يرجع إلى ٤٠٠٠ عام قبل ميلاد المسيح.

وهنا تأكد بوكاي أن هناك خطأ، لأن العلم يقول شيئًا والدين يقول شيئًا آخر ليقضي بعد ذلك فترة طويلة من حياته يبحث أوجه الاتفاق والتعارض بين الدين والعلم التجريبي والتاريخي مركزا بحوثه على الأديان الرئيسية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام.

● ما الغاية التي يريد الفيلم إيصالها للجمهور؟

– الفيلم يسعى إلى تلمس لحظات فاصلة في حياة موريس بوكاي، لاسيما أنه في صيف عام ١٩٧٦م نشر كتابًا سرعان ما تحول إلى ظاهرة بعنوان «الإنجيل والقرآن والعلم» ضمنه عرضًا لنتائج بحوثه في مجالات علمية وتاريخية متعددة في علاقتها بالأديان الثلاثة.. وفي عام ٢٠٠٨ م صدرت منه ٢٧طبعة في ١٢ لغة، كما حصل على جائزة «الكتاب الذهبي» الفرنسية، وقدرت مبيعاته بنحو ١٥ مليون نسخة.

ويمكن القول إن الفيلم استهدف تقديم تقرير محايد بقدر الإمكان عن جهود موريس بوكاي العلمية من خلال انتاج استغرق نحو ١٨ شهرًا تضمن اجراء بحوث وتسجيل لقاءات مع شخصيات عرفت بوكاي وزاملته في مواقع تصوير وعمليات ما بعد الإنتاج شملت مصر والكويت وفرنسا والولايات المتحدة وتونس.

● ما أبرز الحقائق التي توصل إليها الفيلم؟

– أبرز هذه الحقائق العلمية ما حققته بحوث موريس بوكاي وفريقه المصري– الفرنسي حول أكثر الفراعنة شهرة وتأثيرًا، في الوقت الذي كانت فيه معظم التقديرات التاريخية السابقة تؤكد أن رمسيس الثاني هو فرعون موسى.. غير أن بوكاي تمكن أخيرًا من وضع إجابة مغايرة وهو برناب تاح ابن رمسيس الثاني.

غاية الفيلم الأولى تتركز حول توصيل هذه الرسالة للعالم

● ماذا عن الفيلم الثاني؟

– فيلم «من الكون الصغير إلى الكون الكبير» عمل وثائقي يتناول ملامح نتائج بحوث بوكاي باعتباره أول عالم غربي يناقش المعطيات الفسيولوجية والجنينية في القرآن، الأمر الذي اعتبر حدثًا غير مسبوق في أوروبا كلها.

«الإنجيل والقرآن والعلم» ظاهرة موريس بوكاي في العالم

الفيلم يتناول العلاقة بين العلم والدين.. تلاقٍ أم تعارض؟

لقطة من الحوار

وينتقل الفيلم من الكون الصغير (علم الأجنة) الى الكون الكبير في أكثر من موضع، موافقا الآيات القرآنية بما ثبت بقدر كاف من المعلومات العلمية من الانفجار العظيم وخلق وتكوين الكون بعد الحالة الغازية الأولى، وتوسع الكون، من الأصل المائي للحياة، إلى السفر عبر أقطار السموات والأرض، ويرصد الفيلم ملامح من نتائج بحوث بوكاي في ضوء لقاءات جديدة مع زملائه.

● ما أهداف الفيلم؟

– تتلخص الأهداف في توصيل رسالة للعالم هي أن القرآن كتاب منزل من عند الله، بالاضافة إلى اقناع المسلمين بضرورة التدبر والتفكر وإعلاء قيمة العلم.

● كم مدة الفيلمين؟ وما اللغة المستخدمة؟

– كل فيلم مدته ٥٠ دقيقة، واستخدمنا اللغة العربية والانجليزية.

● كم التكلفة تقريبًا؟ ومن أين التمويل؟

– التكلفة حوالي ٥٠ ألف دينار كويتي بتمويل وقف أهلي متمثل في ثلث خيرات ناصر عبدالمحسن السعيد.

● أين سيعرض الفيلمان؟

– سيعرضان في المركز العلمي في الكويت، وبعض الجهات المعنية بالغربيين، إلى جانب بثهما عبر شبكة الجزيرة الوثائقية وبعض الفضائيات.

● برأيك ما أبرز الصعوبات التي تواجه السينما الإسلامية؟

– أبرزها ضعف الدعم المادي، وعدم التركيز على المسلسلات القيمية، والتكلفة الضخمة.

● ما مشاريعكم المستقبلية؟

– أحضر حاليًا عملا سينمائيا ضخما «محمد نبي زماننا»، حيث يتناول محاور علاقة الرسول الكريم ﷺ من أقواله وأفعاله بمفردات العصر الحديث مثل البيئة والمرأة والديموقراطية والتعامل مع الآخر والأقليات والسلام.

باحث شرعي

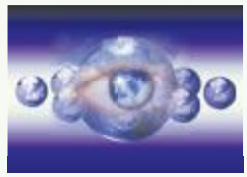

العري في السينما والتلفزيون.. ضرورة فنية أم اختيار فكري؟

إبراهيم آيت حو

تأتي هذه الدراسة المتواضعة في إطار ما أصبح معروفا على الشاشات العربية (سينما وتلفزيون) من مد واكتساح للقطات والمشاهد الفاضحة، وهو موضوع أثار كثيرا من النقاشات في الآونة الأخيرة، حيث توزعت الآراء بين من يرى في ذلك خدشا للحياء واستخفافا بالقيم والأخلاق الفاضلة وتشجيعا على الرذيلة، بل وتشويها للفن الحق الصادق وحرفًا له عن مساره ووظيفته الحقة، ومن يرى في ذلك حرية إبداع وتوجها مشروعا قد يمليه الصدق الفني أو الضرورة الفنية التي يفرضها السياق العام للعمل الفني!

وسنعمل في هذه المحاولة المتواضعة على طرح بعض المغالطات الخطيرة، كالقول إن العري قد يكون «بطريقة فنية» يحتمها السياق العام للعمل الفني... الى آخر المعزوفة التي تكرر دوما لدى كثيرين، وهي في العمق باطل يراد به حق.

وسأعمل بحول الله تعالى على تفنيد الأساس الفني والجمالي لهذا التصور المسموم أملا في أن تتاح الفرصة لاحقا لتعميق وتفصيل القول حول هذا الموضوع الخطير.

فمن المواضيع التي تثار في المجال الفني السينمائي ما يسمى الضرورة الفنية، والمقصود بها حسب ما يفهم من مجمل النقاشات المثارة ذلك السياق الفني والفكري العام الذي يوجب ويحتم توظيف ورود بعض المكونات الفنية والجمالية التي قد تتناسب، أو لا تتناسب، وطبيعة المسار والتوجه العام والطبيعي للعمل الفني، غير أنها مخالفة تغتفر وتتجاوز، بل إنها قد تكون محبذة بل واجبة أحيانا، لأن السياق يفرض ورودها بذلك الشكل، ولأن جمالية وعمق العمل الفني لا يكتملان الا بها، وبهذا الصدد نشير الى أن المجال الشعري كان مصدر ظهور وانطلاق هذه الظاهرة الفنية عبر ما يسمى بالضرورة الشعرية التي يقصد بها عمد الشاعر الى إيراد وتوظيف بعض الكلمات على غير حالتها وشكلها الطبيعي لكي تتلاءم مع الوزن الشعري مثلا، أي استجابة للضرورة الشعرية (احترام وزن البحر الشعري) ثم انتقلت الظاهرة الى مختلف المجالات الفنية.

العري مرفوض مهما كانت درجته ونسبته في أي عمل سينمائي أو تلفزيوني أو فني عموما

وليس مرامنا في هذا المقام تفصيل تمظهرات هذه القضية في كثير من الميادين الفنية، بل همنا الإشارة الى قضية حساسة وهي عمل البعض على شرعنة العري فكريا وجماليا عبر التأكيد أن العري قد تمليه الضرورة الفنية وأن حذف بعض اللقطات أو عدم ايرادها قد يشوه العمل الفني أو ينقص من قيمته الجمالية وعمقه الإبداعي، وأن العري عندما يأتي مبررا فنيا فهو لا يمكن أن يعتبر خدشا للحياء أو مسا بالأخلاق إلا عند من لا يفهم في الفن والابداع شيئًا! أو عند من يخلط الأخلاق بالفن أو الفن بالواقع الحقيقي! وغيرها من التبريرات الكثيرة التي غالبا ما تورد كبراهين وحجج فنية ممنطقة على مشروعية العري في السينما والتلفزيون والفن عموما.

ونحن نؤكد رفضنا للعري مهما كانت درجته ونسبته في أي عمل سينمائي أو تلفزيوني أو فني عموما، وهو تصور لا يتم ولا ينطلق كما يتوهم البعض من أي توجه تضييقي على حرية الابداع إلزاما للمبدع بحدود حمراء تحكم وتلجم الابداع وتئد شرارته وانطلاقته، فنحن مع حرية الابداع في كل المجالات وضد كل اشكال التضييق والتحجير عليها، وندعو بكل قوة الى فتح المجال أمام كل الكفاءات والقدرات والأزهار كي تتفتح وتينع، غير انه لابد من الإشارة الى أن هذه الحرية، كما الحرية في أي ممارسة إنسانية، لا تعني الانفلات والتسيب، وأن

كاتب سوري

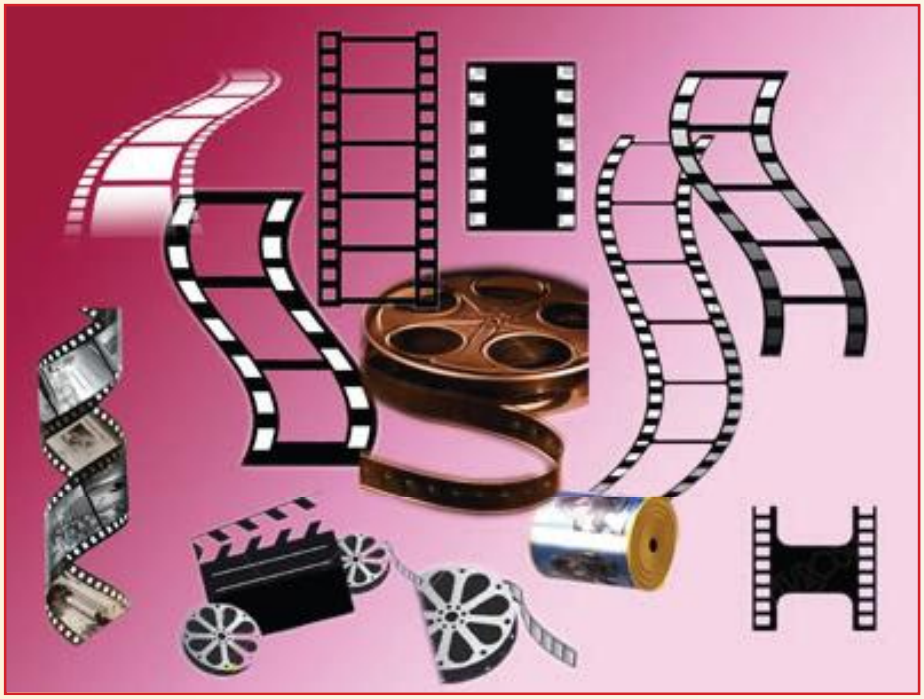

حرية الابداع والخلق لا تعني ولا يجب أن تعني تهميش و«إعدام» القيم والفضيلة والتي هي على أي حال جوهر وروح حضارتنا وقيمنا الإسلامية، وليست أبدا مجرد مواضعات اجتماعية يمكن تغييرها أو قبرها بداعي التطور أو الحداثة كما يتوهم البعض! إن الأخلاق والقيم الفاضلة كما يعلم الجميع في كثير من جوانبها استجابة لأوامر ربانية وهي تعتبر كذلك من مقاييس السمو والتميز الإنساني التي قد تصير الحياة بدونها عبثا وبهيمية ولا إنسانية، هذا مع إقرارنا طبعا بالتشوه في الفهم الذي قد يلحق بعض الممارسات الاجتماعية فيحولها تارة الى قيود متخلفة بدلا من أن تكون ضوابط ترشيدية نحو السمو والتقدم، كما نقر بتسرب بعض العادات والأعراف البالية التي لا تمت للدين أو الأخلاق الفاضلة بصلة فتلبس لبوس الدين زورا وبهتانا، وبعد هذا التوضيح نود الرجوع الى مبرر الضرورة الفنية لنتساءل عن هذه المبررات أو الضرورات الجمالية التي تفرض مثلا ايراد لقطة عري أو مشهد جنسي؟ هل المعنى لن يظهر ويتضح بدونها؟ فأين دور ووظيفة كل الأشكال والوسائل الرمزية والايحائية التي عرفها تاريخ الفن؟ خاصة أن الكل يؤكد أن الفن طريقة تعبير بالاشارة والرمز والايحاء؟ هل يراد بهذه اللفظات- وهذا ما يقال غالبا- اعطاء العمل السينمائي او التلفزيوني قوة وعمقا تعبيريين؟ فما المقصود بذلك؟ أليس هو في عمقه إثارة للمتلقي ومخاطبة لغرائزه، وبالتالي البحث عن الانتشار والإثراء ولو على جثة القيم والفضيلة؟ وهو على أي حال توجه ظهر في أصله كإفراز للمآل الذي سارت اليه المجتمعات الرأسمالية في مرحلة من مراحلها التاريخية، حيث أصبح ينظر للمرأة كجسد ليس إلا، أي كشيء وسلعة يجب توظيفها بكل الطرق- كما وظفت أشياء أخرى- للربح المادي ومضاعفة الايرادات، بينما يفترض من الفن الحق والصادق أن ينظر دوما للانسان في حالته السوية والمتوازنة والتوجه الى مختلف جوانب شخصيته، وحتى عند النظر الى بعض الجوانب او السلوكات الشاذة وإثارتها فلأجل تقويمها وترشيدها وليس إقرارها او طرحها على انها الحالة السوية! ونسارع هنا الى القول ان طبيعة المنطلقات الفكرية والفنية المتبناة هي التي تحدد طبيعة مسار ورؤية أي تناول أو تحليل، وبالتالي تحدد الأجوبة على اسئلة مثل: ما مفهوم الفن (السينما والتلفزيون في حالتنا)؟ وما وظيفته؟ وما دوره وعلاقته بالمجتمع؟ وما موقع الجمهور (المتلقي) من أي عمل فني؟ وهل يجب على المبدع «لحظة إبداعه» أن ينسلخ من كل ارتباطاته الحضارية والثقافية والاجتماعية- هل هذا ممكن حقا خدمة لحرية الابداع وتحقيقا لأقصى درجاته، أم إن الابداع الفني رسالة ومسؤولية ثقيلة حقا؟

وأخيرا نؤكد وفق كل ما سبق أن العري لا يمكن أن يكون أبدا ضرورة فنية أو فكرية، بل هو اختيار فكري وجمالي لدى من يتبنونه، وهنا نود تأكيد أن كثرة غرق وتشبع المشهد الفني عموما عالميا ومحليا بمشاهد العري والجنس (سينما وتلفزيون ومسرح وتشكيل... الخ) اضافة الى التشبع التغريبي والاستيلابي لكثير من «مبدعينا ومثقفينا» بالقيم الابداعية الغربية صالحها وطالحها تجعل كثيرين يرون- أو على الأصح يتوهمون- صعوبة، بل استحالة وجود سينما أو فن من دون عري وعرض لجسد المرأة! بل إن تجريد الفن وفق هذا الرأي من الجسد المكشوف هو اغتيال صريح للفن! إذن فالمسألة في عمقها حضارية وتربوية، تتداخل فيها عوامل ومؤثرات عديدة.

وختاما فالأمل معقود على كل الطاقات الغيورة الصادقة للعمل على تأسيس لبنات فن يستمد ويستفيد من كل انجازات الحضارة الإنسانية، لكن مع الانطلاق دوما وعدم التفريط أبدا في ثوابت وروح هويتنا وحضارتنا الإسلامية.

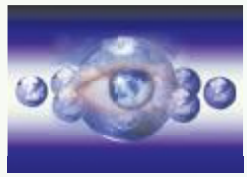

الحضور الإسلامي في السينما المعاصرة.. كيف ولماذا؟!

سيد عبدالحليم الشوربجي

تعد السينما من الأدوات الفاعلة والمؤثرة، بل والموجهة لوجدان وأفكار واتجاهات قطاعات كبيرة من الجماهير المسلمة، وتلعب مع غيرها من المستجدات الإعلامية الحديثة دورًا رئيسا في تشكيل عقلية ووجدان الجماهير، وإذا كان الأمر كذلك فما هو الموقف الإسلامي منها؟ وهل من الممكن تطويع السينما لخدمة قضايا الأمة الإسلامية؟ وهل كن أن تعمل السينما على نشر أفكار إسلامية برؤية سوية بعيدة عن الانحلال الملازم لها، والتشدد الذي يخاف البعض من ولوجه إليها؟ حقيقة إن النظرة الأولية لموقف الإسلام من السينما يعطي انطباعًا وميلاً إلى الرفض المطلق نظرًا لواقع السينما وما تبثه، من خلال أعمالها، من أفكار وممارسات بعيدة إلى حد كبير عن التصور الإسلامي، يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي: «أما السينما ففي اعتقادي أنها آخر فن كن أن يدخل في نطاق الفن الإسلامي، لا لأن السينما في ذاتها محرمة، ولكن لأنها بصورتها الحالية الهابطة العارية المنحلة بعيدة جدا عن الجو الإسلامي لكنها، ككل فن آخر - تستطيع أن تكون إسلامية حين تتبع مفاهيم الفن الإسلامي» (١).

والملاحظ أن نظرة الإسلاميين للمستجدات الحديثة بصفة عامة نظرة متباينة ومتفاوتة، فالسينما والتلفزيون مثلا عند ظهورهما وقف الإسلاميون منهما موقفا معاديًا ومحاربًا لما يبث من خلالهما، ولم تطرح فكرة المشاركة إلا مع ظهور الفضائيات، واستطاعت الفكرة الإسلامية أن تخترق عقول الجماهير من خلالها، وحينما ظهر الكمبيوتر ومن بعده انتشرت شبكة المعلومات (الانترنت) استطاع الإسلاميون أن يستفيدوا استفادة كبيرة منهما واستطاعوا الولوج من خلالهما إلى قطاعات كثيرة من الجماهير المسلمة، حتى أصبح الالتزام الإسلامي ظاهرة جماهيرية يشارك فيها كل فئات المجتمع وطبقاته بعد أن كانت، إلى حد ما، ظاهرة نخبوية.

صناعة سينما اسلامية من الألف إلى الياء أمر في غاية الصعوبة.. في وقتنا المعاصر

كما أن هناك بعض الاشكاليات والعوائق التي من الممكن أن تعترض طريق السينما التي تعالج أفكارًا إسلامية، فالحقيقة أن موضوع السينما موضوع معقد من الناحية العملية والواقعية إذا أردنا أن نخرج من طور النظريات إلى طور الواقع والتطبيق، فهناك عوائق كثيرة في طريق السينما الإسلامية، لعل أبرزها المجتمع الملتزم نفسه، فإن كلمة سينما تستدعي في الذهن كل ما هو حرام وبعيد عن تعاليم الإسلام، وبالتالي فإن المجتمع الملتزم سيكون أول الناقدين إن لم يكن الرافضين لها، خاصة أن المجتمع الملتزم تتجاذبه أفكار كثيرة، تصل بعضها إلى الرفض التام لمثل هذه الأفكار، بل يكاد ينظر فريق من الإسلاميين لمجرد طرح مثل هذا الموضوع على أنه نوع من الخبل، لذلك لا ينبغي أن يكون الجمهور الملتزم هو المستهدف بالدرجة الأولى من صناعة هذه السينما، وإنما ينبغي أن يكون التركيز على الجمهور العادي الذي يعتاد دخول السينما، فتراعى اهتماماته وقضاياه ولكن من خلال رؤية إسلامية تناسب ميوله واهتماماته.

ولعل هناك عائقًا أكبر وأهم من سابقه وهو المرأة، ومعلوم أن المرأة تشكل دورًا رئيسًا في صناعة السينما، فالسينما المعاصرة تقوم على المرأة كمرتكز رئيس في العمل السينمائي، فالعمل السينمائي يحتاج إلى المرأة بكل أطوارها الحياتية، يحتاج إليها في العمل وفي البيت وفي الشارع وفي الملهى وفي المطبخ وفي المسبح وفي غرفة النوم وفي كل مكان،

كاتب مصري

ومن الصعب أن يكون هناك عمل إسلامي تظهر فيه المرأة الملتزمة في بعض هذه الكيفيات، حتى وإن أسندت هذه الأدوار إلى نساء غير ملتزمات فإن الجمهور ربما لا يستسيغ عملاً إسلاميًا تظهر فيه المرأة بثياب مبتذلة أو مشهد غير لائق، خاصة أن النظرة الإسلامية لعمل المرأة في مجال الفن بصفة عامة فيها محاذير كثيرة.

ونرى أن صناعة سينما إسلامية من الألف إلى الياء- كما يقولون- تأليفًا وتمثيلًا وإنتاجًا، بمعنى أن تكون أجواء العمل السينمائي إسلامية مائة بالمائة، أمر في غاية الصعوبة في واقعنا المعاصر، وفي الوقت نفسه فإن ترك الساحة خالية من الأفكار الإسلامية أمر لم يعد مقبولًا، خاصة أن الفكرة الإسلامية أصبحت تنافس في كل قطاعات الحياة، فالحل في نظرنا أن ينشط المبدعون الإسلاميون، خاصة الكتاب والمؤلفين، في طرح موضوعات تحمل أفكار الإسلام وتصوراته الصحيحة عن الكون والحياة، ويكون الهدف من وراء ذلك هو تفعيل وطرح أفكار الإسلام ونشر قيمه ومبادئه في أوساط الشباب، خاصة أنهم يمثلون قطاعا كبيرًا من جمهور السينما، وفي أوساط الجماهير بصفة عامة، وحينما تطرح موضوعات تعالج أفكار إسلامية أو تحمل مضامين الخير والفضيلة بصورة واقعية تناسب الواقع، فإنها ستجد من يتبناها من المخرجين والممثلين والمنتجين ويخرجون بها إلى النور.

أفلام وألعاب العنف وأثرها في الأبناء

كمال عبدالمنعم خليل

للطفل هوايات ورغبات يحاول إشباعها، بغض النظر عن التفريق بين ما هو نافع وما هو ضار، لذلك لابد من توجيه الطفل نحو ما فيه فائدة له، وما هو بعيد عن كل خطر قد يلحق به، والملاحظ عند الأطفال بدءًا من سن السادسة أنهم يهوون رؤية لون معين من الأفلام، سواء كانت كارتونية أو غير ذلك، وهي أفلام الإثارة والعنف والصراع، وهي نوعية أصبحت في متناول كل طفل من دون بذل أي عناء، فإذا لم يجدها الطفل مذاعة على شاشات التلفاز وجدها في أفلام الفيديو، وإذا لم يتيسر هذا ولا ذاك فإن «النت» يسَّر هذه الأفلام وعمل على نشرها بسرعة وبكثافة بين أجهزة الحاسوب، والأطفال بطبعهم يحبون التطلع دائمًا إلى كل جديد، ويحدثون بعضهم بما يرونه ويتوفر لديهم، ويطلبون من والديهم جلب ما يحبون من أفلام وألعاب جلها يحتوي على العنف والضرب والحرب، وتزداد رغبة الابن ويلح في طلبها، وتحت هذا الإلحاح يلبي الأب رغبة ابنه حتى يسكته ويتخلص من إزعاجه وهو - لا شك- خطأ فادح يقع فيه الأب، لأنه المسؤول الأول عن تنشئة أبنائه، فلينظر كيف ينشئهم؟ وعلى أي سلوك يربيهم؟

كذلك فإن الأطفال يهوون أفلام الخيال والأساطير الوهمية مما يؤصل في نفوسهم أفكارًا واعتقادات خطأ، تنمو معهم، وتستقر في عقولهم رغم كبر سنهم، فضلا عن الأفكار والألفاظ التي تخالف العقيدة الإسلامية والتي تمتلئ بها معظم هذه الأفلام.

إن مثل هذه الأفلام لها مردود سيئ على الأطفال في كثير من الجوانب، منها التقليد الأعمى الذي يهواه الطفل، فما يراه أمامه يحاول أن ينفذه عمليًا وذلك بالاعتداء على زملائه، والتعدي على حاجاتهم، وأخذها عنوة، وإذا لم يجد الطفل رادعًا أو ناهيًا له عن هذا الفعل، اعتقد صحته ونشأ عليه ومارسه على أفراد المجتمع عند كبره، ولا نأمن ارتكابه الجرائم بعد ذلك، فمن شب على شيء شاب عليه، وكم من الآباء يشكون عصبية أبنائهم واعتدائهم على بعضهم؟ لدرجة أن بعضهم اتخذ هذه العصبية وهذا العدوان سلوكا يتعامل به مع أقرانه، ويتسبب هذا الطفل في مشكلات جمة لوالديه، ولا يفكر الأب لماذا هذا السلوك العدواني ليبحث له عن حل؟ وربما فكر وتوصل إلى السبب لكنه لا يستطيع علاجه، ذلك لأن الطفل وصل إلى مرحلة إدمان هذا السلوك وتشبع به.

إننا نوجه في هذه الكلمة نداءين: أحدهما للوالدين بضرورة مراقبة ما يراه الابناء ويشاهدونه على شاشتي التلفاز والحاسوب، ليقفا على حقيقة سلوك الأبناء، ومن ثم يمكن تقويم سلوكهم متى اعوج، وتهذيبه متى زاغ.

أما النداء الثاني فهو لشركات الإنتاج الفني الإسلامي- وهي كثيرة- بضرورة توفير الأفلام الهادفة، والألعاب المسلية التي تنمي ذكاء الطفل، وتكسبه معارف جديدة ومفيدة، وعدم الاكتفاء باستيراد المواد الإعلامية التي تخص أطفال الغرب، لأننا لا نأمن جانبها، فمعظمها يربي الطفل على العنف والاعتداء على الآخر، وقل أن تجد فيها شيئًا نافعًا، فلنحذر، ولنراقب أبناءنا قبل أن يفلت الزمام، وعندها ولات حين تقويم أو توجيه.

المسرح الأميركي يسخر من السيد المسيح ويقدمه وحواريه كأشخاص عصرية ماجنة وخليعة

منصور أبو العينين

تجتاح الصحافة الغربية، الأميركية والبريطانية، هذه الأيام حمى السخرية من النصرانية ومن سيدنا عيسى عليه السلام بدعوى الانفتاح وحرية الكلمة، فتارة يقدمون المسيح على خشبة المسرح، في أحدث مسرحياتهم الساخرة، كشخصية خليعة ماجنة، وتارة أخرى يكتبون مقدمة لطبعة شعبية من الإنجيل تدعو إلى قراءته باعتباره نوعا من الأدب وليس باعتباره كلام الله، وكرد فعل لهذه التصرفات تخرج مظاهرات متفرقة تطالب بعدم السخرية من المسيح، كما يرفض أحد موزعي الإنجيل القيام بعمله في توزيع هذه الطبعات، كذلك يرفع أحد المحامين دعوى أمام المحاكم ضد نشر تلك الطبعات من الإنجيل.

عيسى المسيح.. بطل سينمائي!

لم يندهش العاملون في مسرح مانهاتن، أهم مسارح برودواي الأميركية، عندما شاهدوا بعض المتظاهرين الذين احتشدوا أمام المسرح، يستعدون لاقتحامه بسبب افتتاح مسرحية «عيد الجسد» من تأليف الكاتب المسرحي «تيرنس ماكنللي». فقد كانت هذه المظاهرة شيئا متوقعًا، وقد تقدم هذه المظاهرة عدد من الكهنة الفرنسيكان وهم يقومون بتوزيع المنشورات التي تطالب بإجهاض تقديم هذا العمل المسرحي، لأنه يسخر من السيد المسيح ويسيء الى الدين المسيحي، ولم يجد المسؤولون عن المسرح مفرا من استئجار شركة أمن خاصة لتوفير الأمن اللازم للمسرح، إضافة إلى قوات أمن نيويورك، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هناك بد من إلغاء العرض أو تأجيله خوفًا على حياتهم بعد ان وصلتهم رسائل تهديد بالقتل مجهولة المصدر.

يتلخص موضوع المسرحية، كما نشرته مجلة «نيوزويك الأميركية» في تقديم السيد المسيح، باعتباره بطلها، ومعه حواريوه كشباب عصري يتصفون بالخلاعة والمجون والتفسخ الأخلاقي.

ويدافع المؤلف عن مسرحيته، المثيرة للفتنة، قائلًا: إنها تقدم قصة قديمة في ثوب جديد، وذلك كما جاء على لسان أحد شخصياتها في بداية المسرحية وبعد رفع الستار مباشرة قائلًا: «إننا لسنا حواة أو سحرة، إننا نقدم لكم الواقع بعينه»، بعد ذلك يدنو يهوذا الاسخريوطي، الذي قيل إنه خان المسيح، منه ليخاطبه في الحمام أثناء حفل راقص، وتتوالى فصول المسرحية على نحو مثير للفتنة، ومع أن المسرحية لا تتضمن الخوض في المسائل الجنسية بشكل صريح فإنها، كما تقول المجلة الأميركية، تتعرض لهذه الموضوعات بشكل ضمني، كما أنها لا تعرض السخرية والهجاء اللاذع بشكل رخيص وممجوج.

ويصر المؤلف على أن مسرحيته جادة وتحترم قصة المسيح وتقدمها بأسلوب عصري حديث يقترب تمامًا من القصة الأصلية، فهي تقرر، على لسان أحد الحواريين أن المسيح قد شفى سائق شاحنة (!!!) من الجذام، وأحيا الموتى، وتنبأ- أثناء عشائه الأخير- بخيانته، ويعلق أحد الحواريين على نبوءة المسيح أثناء حفل العشاء الأخير قائلا: «إنه ثمل مخمور أيها الشباب.. إن ذلك هو حديث الخمر وليس حديثه هو».

باحث مصري

مثقفون ورجال دين نصارى يتساءلون: هل الإنجيل كتاب مقدس؟!

أما وليام دونوهيو، رئيس الجمعية الأميركية للحقوق الدينية والمدنية وأشد المعارضين للمسرحية سلميا، فإنه يستنكر العنف رغم أنه يهاجم المسرحية التي يقول إنه لم يقرأها أو يشاهدها، ويصفها بأنها لادينية ومثيرة للبغضاء والكراهية، ويعلن أن جمعيته تخطط مع جماعات أخرى للقيام بمظاهرات ليلة افتتاحها، أما جريج لوكاس، المؤلف المسرحي فإنه يدافع عنها بقوله: «إنها عمل شجاع.. وإن الشجاعة تقتضي أن يهدأ هؤلاء الغاضبون ويشاهدوا المسرحية».

وتختتم «النيوزويك» تعليقها بالقول: «لو كان الهدف من المسرحية حقا تقديم تعاليم المسيح حية للمشاهد المعاصر لبادر المسيحيون الأصوليون بدعمها وتأييدها بدلا من محاولة إجهاضها».

هل الإنجيل كتاب مقدس؟

لم تكن مسرحية «عيد الجسد» هي العمل الفني الوحيد الذي يسخر من السيد المسيح بشكل أثار الفتنة، لاسيما بين الأصوليين المسيحيين، بل كانت هناك فتنة من نوع آخر، كانت هذه المرة حول مدى قدسية الإنجيل، وعما اذا كان ينبغي على قرائه أن يقرأوه باعتباره عملا أدبيا وليس باعتباره كلام الله.

مجلة «الإيكونوميست» البريطانية، المعروفة بمصداقيتها وتحفظها، نشرت في عددها الأخير مقالاً بعنوان «إلى أي مدى يمكن اعتبار الإنجيل كتابًا مقدسًا؟» قالت فيه:

«لقد ظلت تفسيرات وتأويلات الإنجيل منذ قرون محل نزاع وصراع وعنف صريح غير متحفظ، أما ما حدث أخيرًا بشأنه فقد كان شيئا استثنائيًا وغير عادي، فقد قامت شركة نشر انجليزية تدعى «إدنبرة» بنشر طبعة من الإنجيل للجيب، شعبية ورخيصة الثمن بقيمة جنيه استرليني واحد للنسخة الواحدة، أما سبب المشكلة فهو اشتراك اثنتي عشرة شخصية بارزة، تضمنت عالمًا وأسقفا (رجل دين كبير) وعشرة كتاب مشهورين آخرين في كتابة مقدمة لهذه الطبعة، كانت نتيجتها تقديم المسؤول عن التوزيع استقالته بعد أن رفض توزيعها

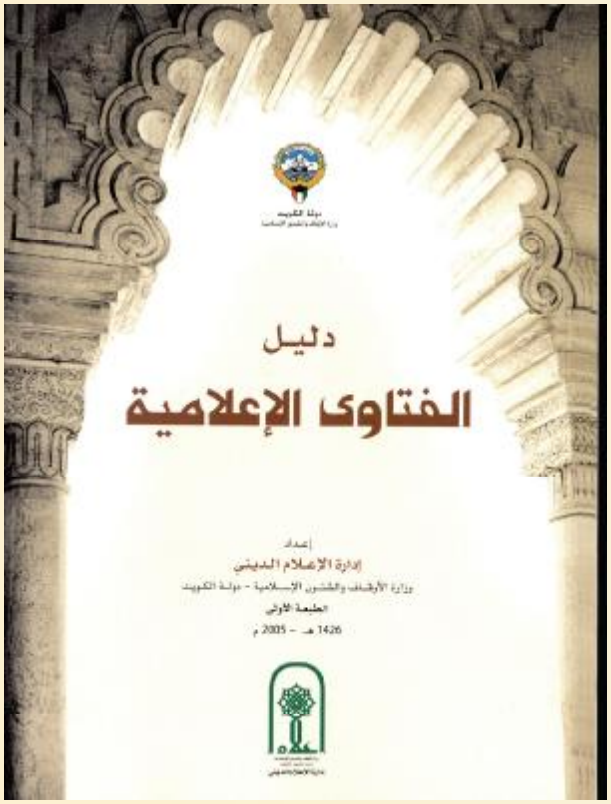

أسقف بريطاني يطالب النصارى بقراءة الإنجيل باعتباره شعرًا وليس كتابًا من عند الله

وقيام محام كبير برفع دعوى قضائية على دار النشر لإيقاف توزيع هذه الطبعة الأخيرة التي أثارت الفتنة، وتتلخص فحوى هذه المقدمة في أنها تطالب قراء الإنجيل بقراءته على أنه عمل أدبي للمتعة، وليس- ببساطة- على انه كتاب من عند الله، ويدافع كتاب المقدمة عن رأيهم بالقول: إن موقف النخبة المثقفة من الإنجيل ورأيهم فيه قد تغير كثيرًا خلال السنوات المائة والخمسين الأخيرة، يقول اسقف إدنبرة الذي شارك في كتابة المقدمة: إن هناك خطرًا في محاولة تفسير النصوص الدينية، فنظرا لعجز الكلمات عن تقديم مدلولاتها فإنه من الحماقة تصور أن ارادة الله يمكن أن تتمثل في الإنجيل، وهكذا فهو يرى أنه على قراء الإنجيل أن يقرأوه على أنه شعر وليس عقيدة، لأنه لا يمكن أن يهديك إلى الله، لكنه يمكن أن يشبع الرغبة الجامحة في الإنسان في معرفة ما وراء نطاق الخبرة البشرية.

فتاوى المجامع الفقهية المعتبرة وأقوال العلماء في حكم تمثيل الأنبياء والصحابة

فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت (٢/ ١٢٧) في حكم التمثيليات والمسرحيات

ورد إلى لجنة الفتوى سؤال بخصوص «التمثيليات الإسلامية والمسرحيات» (الرأي الشرعي فيها، وفي عناصرها، ودور المرأة فيها).

أجابت اللجنة بما يلي:

(أ) الأصل أن التمثيليات والمسرحيات مباح إنتاجها والعمل فيها من تمثيل وإخراج وعرض وغير ذلك إذا روعي فيها الأمور المعتبرة شرعًا، وذلك لأن التمثيل من أحسن الوسائل التثقيفية، وأن تأثيره في النفوس أقوى من كثير من الوسائل التقليدية.

(ب) لابد في التمثيليات التاريخية الإسلامية من أن تكون صادقة تاريخيًا، بأن تتقيد في إيراد الوقائع والظروف المحيطة بها بتمثيل ما كان واقعًا، قدر الإمكان، وذلك بأن تكون موافقة للروايات الصحيحة الواردة في المصادر الإسلامية الموثوقة، وخاصة في التمثيليات التي تتعرض لحياة النبي ﷺ وأصحابه وأبطال الإسلام.

(ج) لا يجوز تمثيل النبي ﷺ وخلفائه الأربعة الراشدين وأمهات المؤمنين، ويستعاض عن ذلك بأن تحكي بعض الشخصيات الأخرى أقوالهم.

(د) لا مانع من ظهور المرأة في التمثيل بشرط أن تكون محتشمة غير مبتذلة في ملابسها وحركاتها وسائر المواقف التمثيلية، على ألا يقتضي التمثيل الخلوة غير المشروعة في أي مرحلة من مراحله.

(هـ) لا مانع أن تكون التمثيليات دائرة حول قصص متخيلة غير حقيقية.

(و) يراعى في أهداف المسرحيات والتمثيليات أن تكون مقررة لمحاسن الأخلاق والآداب ومنفرة عن مساوئها ومرغبة في أن تكون الحياة ملتزمة بالإسلام، بعيدة عن الإثارة الجنسية والإسفاف الخلقي.

(ز) ترى اللجنة أنه يحسن من الوزارة الدعم المادي بالمكافآت التشجيعية للمسرحيات التي تحقق مستوى رفيعًا من الالتزام بالمنهج الإسلامي والدعوة الإسلامية، وتنتج تأثيرًا ثقافيًا واجتماعيًا ممتازًا، وأن تسعى الوزارة للاتصال بمنتجين مختارين لتدفعهم نحو إنتاج مسرحيات تحقق الأهداف الإسلامية.. والله أعلم.

حكم تمثيل الأئمة والعلماء (فتوى رقم/ ٢٢٢ع/ ٢٠٠١)

السؤال: نود أن نعرض عليكم مشروع «قصص الأطفال»، وذلك لمعرفة الحكم الشرعي فيها، حيث إننا نقوم بإنتاج قصص للأطفال (للأئمة والعلماء) مثل الإمامين البخاري ومسلم، وأئمة الفقه الأربعة، وأبي حامد الغزالي وابن تيمية وغيرهم من العلماء، وتكون القصة لتاريخ حياتهم، والمواقف التي مرت عليهم، ولهذا فإننا نحتاج الى رسوم صور تجسد هؤلاء العلماء والأئمة، وذلك تيسيرًا لتعلم الأطفال القراءة، والتعلق بعلماء الأمة، ونود معرفة الحكم الشرعي في هذه الصور، وأخيرًا فإن القصص تهدف إلى مخاطبة الأطفال من سن (٣-٨) سنوات.

وقد أجابت اللجنة بمايلي:

إن تصوير ورسم الأئمة والعلماء في الكتب والمواد التعليمية جائز شرعًا، على أن يلاحظ سلامة المضمون من الناحية الدينية، وأن تكون الصورة مقاربة لحال صاحبها قدر الإمكان، وأن يتجنب تصوير أو رسم الأنبياء والملائكة والخلفاء الراشدين الأربعة وزوجات النبي ﷺ وبناته رضي الله عنهن.

قرار لجنة الفتوى بالأزهر في حكم تمثيل الأنبياء

صدرت فتوى مستفيضة من اللجنة المختصة بالفتوى في «مجلة الأزهر» في عددها الصادر في رجب عام ١٣٧٤هـ، وهذا نص المقصود منه:

التمثيل في المسرح

تشخيص الأفراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التي يراد عرضها على النظارة تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل، أو هو بعبارة موجزة: ترجمة حية للقصة وأصحابها، وقد تلتقط صورة للممثلين في المسرح على شريط خاص يسمونه (الفيلم) ليعرض على النظارة في شاشة السينما.

هل يمكن تمثيل الأنبياء؟ لندع القصص المكذوبة على أنبياء الله جانبا، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذي قدمنا شذرات منه عاجلة، ثم نتساءل:

١- كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة؟ وما هي هذه الشجرة؟ أهي شجرة الحنطة؟ أم هي شجرة التين؟ أم هي النخلة؟

وعلى أي حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾؟! أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن في الرواية ركين؟! سبحانك سبحانك، نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن

هذا الكفر المبين؟!

٢- وكيف يمثل موسى وهو يناجي ربه؟ وكيف يمثل وقد وكز المصري فقتله؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة، ورماه فرعون بأنه مهين، ولا يكاد يبين؟ وكيف تمثل العقدة التي طلب من الله أن يحلها من لسانه؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت- ولابد أن تفلت- منهم فلتة مضحكة أو هازئة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجره إليه؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطري ليطابق هذا الخلق الصناعي وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها؟

٣- وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه؟ وما تفسير الهم في لغة الفن؟

٤- وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة، وبالكهانة والجنون تارة أخرى؟ بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم؟ «وما من نبي إلا رعاها»، بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يستح بعضهم أن يرمي القذر والنجس على خاتم النبيين وهو في الصلاة والكفار يتضاحكون؟ سيقول السفهاء من النظارة- وما أكثرهم- مقالة المستهزئين الكافرين من قبل: ﴿أَهَـٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾؟ وسيغضب فريق لأنبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء، وينتقمون منهم، وتقوم المعارك الدينية لا محالة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم، وازدراء بهم، وحط من مقامهم، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذي اختارهم لرسالته واصطفاهم لدعوته.. لاريب في ذلك كله ولا جدال.

وهذا كله في القصص الحق الذي قصه الله علينا ورسوله، وأما القصص الباطل- وما أكثره- فهو زور على زور، وكفر على كفر، وهو البلاء والطامة.. وما نظن أن أحدا يستطيع أن يجادل في هذه الحقائق الناصعة.. وأكبر علمنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم، فإنهم أرهف حسا، وأشد إدراكا لمقتضيات التمثيل وملابساته.

على أنا لو افترضنا محالا، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة، فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم، وتعريضهم للسخرية والمهانة، فالنتيجة التي لا مناص منها ولا مفر: أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم، أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة .

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة، فقد أجمع العلماء أخذا من كتاب الله وبيان رسوله ﷺ، على أن من أعمال الناس وأقوالهم ما حرمه الله تعالى؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة؛ كالغصب والقذف والقتل بغير حق، وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه؛ لأنه ذريعة إلى المفسدة، ووسيلة إليها، وإن لم يكن هو في نفسه مشتملا على المفسدة، ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بها دما معصوما، فالمناولة في نفسها عارية عن المفسدة، ولكنها وسيلة إليها، ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون، فهو في نفسه جائز، ولكنه منع لجره إلى مفسدة، وهي إطلاق ألسنة المشركين بسب الله تعالى؛ ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية، وقد تخاصم مسلم ويهودي في العهد النبوي، ولطم المسلم وجه اليهودي؛ لأنه أقسم بالذي اصطفى موسى على العالمين، وأقسم المسلم بالذي اصطفى محمدا على العالمين، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين صلى الله وسلم عليهم أجمعين غضب حتى عرف الغضب في وجهه، وقال: «لا تخيروني على موسى»، ثم أثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى؛ سدا لذريعة الفتن، وحرصا على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم، وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه في العقائد أخلق، وفي مقام النبوة أوجب وأحق.

الجامع الأزهر

إن حقا محتوما علينا أن نجل الأنبياء، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص، واحتراما وإجلالا للأنبياء أنفسهم؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل، وهذا بعض حقهم على الإنسانية جزاء ما صنعوا لها من جميل، وأدوا إليها من إحسان.

وجملة القول: إن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخلقية، وأن تمثيلهم تنقيص لهم، أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التي من شعبها إثارة العصبيات والفتن التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

وإن في الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق لميدانا فسيحا للفن والتمثيل، فليتجه إليها الفن ما شاء له الاتجاه، وليبتكر ما شاء له الابتكار، وليدع أنبياء الله ورسله محفوفين- كما حفهم الله تعالى- بالجلال والوقار، وليعمل على أن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فطوبى لمن كان كذلك، والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته لأنبيائه.

قرار رابطة العالم الإسلامي

(مجلة البحوث الإسلامية: ١/ ٢٢٨)

صدر قرارها بخصوص تمثيل رسول الله ﷺ في فيلم، واستعْرَض حكم تمثيل أصحاب رسول الله ﷺ بما نصّه:

«وكما يحرم ذلك كله في حق الرسول ﷺ يحرم تمثيل الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين باتفاق أهل العلم؛ لشرفهم بالصحبة العظيمة، واختصاصهم بها دون من عداهم من الناس، ولكرامتهم عند الله تعالى وثنائه عليهم؛ فهم أحقّاء إجماعا بالتكريم والتعظيم والتوقير؛ ولذلك أجمع أهل العلم على حرمة تصويرهم في الأفلام أو على المسارح؛ لما فيه من المنافاة الصارخة لكل ذلك».

العلماء أجمعوا على عدم جواز تصوير وتمثيل الأنبياء

قرار هيئة كبار العلماء بالسعودية

حول حكم تمثيل النبيّ ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم، (أبحاث هيئة كبار العلماء: ٣/ ٢٩٣)

اطلعت الهيئة على خطاب المقام السامي رقم (٤٤/ ٩٣/ ١) وتاريخ ١/ ١/ ١٣٩٣هـ، الموجه إلى رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والذي جاء فيه ما نصه:

نبعث إليكم مع هذا الرسالة الواردة إلينا من طلال ابن الشيخ محمود البسني المكي مدير عام شركة لونا فيلم من بيروت بشأن اعتزام الشركة عمل فيلم سينمائي يصور حياة بلال (مؤذن رسول الله ﷺ) ونرغب إليكم بعد الاطلاع عليها عرض الموضوع على كبار العلماء لإبداء رأيهم فيه وإخبارنا بالنتيجة.

وقررت الهيئة بالإجماع ما يلي:

١- أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة، وبين منزلتهم العالية، ومكانتهم الرفيعة، وفي إخراج حياة أي واحد منهم على شكل مسرحية أو فيلم سينمائي منافاة لهذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به، وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها.

٢- أن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعا للسخرية والاستهزاء به، ويتولاه أناس غالبا ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة، والأخلاق الإسلامية، مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فيشتمل على الكذب والغيبة، كما يضع تمثيل الصحابة رضي الله عنهم في أنفس الناس وضعا مزريا، فتتزعزع الثقة بأصحاب الرسول ﷺ، وتخفّ الهيبة التي في نفوس المسلمين من المشاهدين، وينفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب محمد ﷺ، ويتضمن ضرورة أن يقف أحد المثلين موقف أبي جهل وأمثاله، ويجري على لسانه سب بلال وسبّ الرسول ﷺ وما جاء به من الإسلام، ولاشك أن هذا منكر، وكما يتخذ هدفا لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

٣- ما يقال من وجود مصلحة، وهي إظهار مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، مع التحري للحقيقة، وضبط السيرة، وعدم الإخلال بشيء من ذلك بوجه من الوجوه؛ رغبة في العبرة والاتعاظ، فهذا مجرد فرض وتقدير، فإن من عرف حال المثلين وما يهدفون إليه عرف أن هذا النوع من التمثيل يأباه واقع المثلين، ورواد التمثيل، وما هو شأنهم في حياتهم وأعمالهم.

٤- من القواعد المقررة في الشريعة أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة؛ فرعاية للمصلحة وسدا للذريعة وحفاظا على كرامة أصحاب محمد ﷺ يجب منع ذلك.

وقد لفت نظر الهيئة ما قاله (طلال) من أن محمدا ﷺ وخلفاءه الراشدين

هم أرفع من أن يظهروا صورة أو صوتا في هذا الفيلم؛ لفت نظرهم إلى أن جرأة أرباب المسارح على تصوير بلال وأمثاله من الصحابة إنما كان لضعف مكانتهم، ونزول درجتهم في الأفضلية عن الخلفاء الأربعة، فليس لهم من الحصانة والوجاهة ما يمنع من تمثيلهم وتعريضهم للسخرية والاستهزاء في نظرهم، فهذا غير صحيح؛ لأن لكل صحابي فضلا يخصه وهم مشتركون جميعا في فضل الصحبة وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله جل وعلا، وهذا القدر المشترك بينهم وهو فضل الصحبة يمنع من الاستهانة بهم.

قرار المنظمات الإسلامية العالمية

وذلك في دورتها المنعقدة في مكة المكرمة في ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ، ونصه:

قرّر المؤتمر استنكاره الشديد لمحاولة إخراج فيلم سينمائي يمثل فيه النبي ﷺ بأية صورة من الصور أو كيفية من الكيفيات، كما يستنكر تمثيل الصحابة رضي الله عنهم، ويناشد المؤتمر كل الحكومات الإسلامية أن تقضي على هذه المحاولة في مهدها.

فتوى الشيخ عبدالحليم محمود (فتاويه: ١٠٩١/١)

إن التمثيل في ذاته وسيلة ثقافية، سواء كان على المسارح أو الشاشة أو التلفزيون، فإن كثيرًا من روائع التاريخ وأحداث السياسة، ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدَّد ذكرُها، ويُنادَى بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة، وذلك إذا كان تمثيلها تمثيلًا واقعيًا صحيحًا. غير أن التمثيليات قد تتجاوز الأهداف الجِدِّيَّة وتُتَّخَذ وسيلةً لِمَا هو ممنوع.

ولَمَّا كان الرسول ﷺ مقامُه أعلى مقام وحرَكاته وسكَناته وحديثه تشريع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فإن منزلته - صلوات الله وسلامه عليه - فوق منزلة الناس، وذلك يُؤْخَذ من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

ولا تُوجَد شخصية تُماثِل شخصية الرسول ﷺ ولا يجوز تمثيله بأي حال من الأحوال، وهذا للاعتبارات الآتية:

١. لأن مقامَه أعلى وأجلُّ من أن يُتَّخَذ وسيلةً للتمثيل وغيره.

٢. كل ما يصدُر عن الرسول ﷺ تشريع؛ لأنه لا يَنْطق عن الهوى.

٣. هو القدوة الحسنة في كل الأعمال.

٤. التمثيل قد ينحرف بالمُمَثِّل إلى ما لا يُناسب مقام الرسول، صلوات الله وسلامه عليه. لكل هذا ينبغي أن يُسَدَّ هذا الباب نهائيًا ولا يَصِحُّ التفكير فيه؛ لأنه فتنة وفساد كبير

فتوى الشيخ رشيد رضا

(فتاوى رشيد رضا: ٢٣٤٨/٦).

السؤال: هل يجوز تمثيل حياة بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل؛ لأجل الاتعاظ بسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته دون إخلال بها من أي وجهة كانت، أم لا؟

الجواب: لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل الصحابة أو أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال.

وأما تمثيل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد عللوه بأنه درس وعظ مؤثر، يعنون أن كل ما كان كذلك فهو جائز، وهذه الكلية المطوية ممنوعة، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة، فإن هذه القصص قد توضع وضعا منفرا، فلا تكون وعظا مؤثرا، وإن من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلا، وكذبا وبدعا، أو مشتملا على مفسدة أو ذريعة إليها، ويشترط في جواز الوعظ أن يكون حقا لا مفسدة فيه، ولا ذريعة إلى مفسدة.

وبناء على هذا الأصل..العُرْف الإسلامي العام يَعُدّ تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزريا بقدرهم.

في التراث العربي

ثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة

د. خالد فهمي

تمثل دراسة ثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة نقطة ضوء تعكس الملمح الإنساني الذي ما يزال باقيا في بنية كثير من العلوم المعاصرة، وهو ما ظهرت تجلياته في غير ما تخصص، ولاسيما المجال القانوني الذي شهد صدور عدد من قوانين حماية ذوي الاحتياجات الخاصة وتعليمهم، وتقديم التسهيلات، وإعادة التأهيل، ومساعدتهم فيما يتعلق بالتقنية.

واستعمال مصطلح «ذوي الاحتياجات الخاصة» مرادفا بديلا للمعاقين أو الإعاقة نشأ بسبب ما يسمى في دراسات التطور اللغوي باللامساس أو الخطر، وهو المكافئ الترجمي لكلمة Taboo، وهو أن «بعض الألفاظ تصاب بما يشبه الحظر على استعمالها في المجتمع؛ لأن الناس يتشاءمون من ذكرها، معنى ذلك أن إرادة تحديد لفظ جديد دليل على معنى الإعاقة من غير أصواتها كان محكوما بإرادة تجنب الإيذاء النفسي الذي قد يتولد من هذا المصطلح الذي صار قد ما بسبب الذي قدمناه في تفسير غيابه، وظهور مرادفه.

إن تأمُّل مصطلح الاحتياجات الخاصة، الذي هو مرادف لمصطلح الإعاقة المهجور، يظهر أنه ناتج منطقي لما يسمى في الجهاز الاصطلاحي لهذا العلم باسم العجز Disability.

مدونات تأصيلية لازمة

تمثل المدونات التأصيلية لحقل من الحقول المعرفية واحدة من اللوازم الأساسية لأية معالجة علمية تتوخى أن تتوصل إلى نتائج مفيدة في هذا المجال.

ولعل أهم أنواع للمدونات التأصيلية اللازمة لتنمية الوعي بثقافة التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة في التراث العربي تتمثل في المحاور التالية:

أ- مدونة الآيات القرآنية الكريمة الخاصة بذوي الاحتياجات، وهذا المطلب لازم لقضية التفسير الموضوعي الذي يلزم النهوض به لاستجلاء نظر الكتاب الكريم في قضية الإعاقة والتعامل معها.

وتقترح الورقة ابتداء صناعة معجم موضوعي لحقول الإعاقة والاحتياجات الخاصة في الكتاب الكريم.

ب- مدونة الأحاديث النبوية الشريفة، وتتجلى الغاية من جمع هذه المدونة ببيان الهدي النبوي الكريم في التواصل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وتقترح الورقة صناعة مدونة حديثية تجمع كل ما روي عن النبي ﷺ في هذا الباب مرتبة موضوعيا، ومفهرسة هجائيًا، مع بيان درجة كل حديث ومظنة الإفادة منه.

ج- مدونة أدب الإعاقة، وتهدف هذه المدونة إلى دراسة الآداب التي أبدعها ذوو الاحتياجات الخاصة في التراث العربي من جانب، والآداب التي تعاطت مع حالاتهم، ذلك أن التلاقي بين الأدب وعلم النفس من جهة والتلاقي بين الأدب وعلم الاجتماع من جهة أخرى قادر على أن يكشف عن مدى ما تحقق من تواصل مجتمعي مع ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمعات العربية على امتداد التاريخ لفحص ما رسخ في الوعي الجمعي من إيجابيات تحتاج إلى مواصلة دعمها، ومن سلبيات تحتاج إلى نفس طويل للتخفيف من آثارها سعيا نحو التخلص منها.

وثمة محاولات- وإن تكن نادرة- توجهت نحو هذا المجال من مثل دراسة د.عبده بدوي عن الشعراء السود، وهو ما يحتاج إلى مواصلة السير في هذا الطريق لدراسة أدب العميان مثلا، وما وصل إلينا من أمثال وحكم تتعاطى مع هذه الطوائف.

المدخل اللساني

إن قراءة المنجز العربي في مجال اللسانيات، ولاسيما في مستوى الأداء الكلامي وفي مستوى التصنيف المعجمي، يستوقفه أمر العناية الظاهرة التي أولاها اللسانيون العرب القدامى لما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة في غير ما مستوى لغوي، وربما كان كافيا في هذا المدخل التأسيسي التوقف أمام المحورين التاليين:

أ- لغة لا تأنف من الملاحظة والتسمية

عرف التصنيف المعجمي عند العرب فرعا مهما سمي في أدبياته باسم «الرسائل اللغوية الصغيرة» أو باسم «المعاجم أحادية الموضوع»، ومن فروعه المهمة ما سمي بمعاجم خلق الإنسان، وهي معجمات موضوعية اشتغلت بجمع الألفاظ اللغوية العربية التي تسمي وتصف أعضاء الجسم الإنساني مرتبة ترتيبا موضوعيا يرعى بنية الجسم الإنساني من رأسه إلى أخمصه، أو مرتبة هجائيا على المألوف من ترتيب أحرف الهجاء العربية.

ومن أهم ما وصل إلينا منها:

- خلق الإنسان، للأصمعي ٢١٣هـ.
- خلق الإنسان، لمحمد بن حبيب ٢٤٥هـ.
- خلق الإنسان، لثابت بن أبي ثابت ٢٧٠هـ.
- خلق الإنسان، للزجاج ٣١١هـ.
- خلق الإنسان، للخطيب الإسكافي ٤٢٠هـ.
- خلق الإنسان في اللغة، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن.
- غاية الإحسان في خلق

أستاذ اللغة في جامعة الزقازيق

الإنسان، للسيوطي ٩١١هـ.

وفي هذه المعجمات وغيرها مما اعتنى بتسمية الإعاقات حصيلة لفظية كثيرة تعكس وعي المعجمية العربية وتقدمها في هذا الباب المهم ولاسيما في الجانب الذي يتعلق بمنهجية الترتيب الموضوعي حيث التفت عدد من أصحاب هذه المعاجم إلى قيمة رصد ألفاظ الإعاقات تحت عنوان تكرر كثيرا فيها باسم باب في الصفات، ومراجعة ما أورده السيوطي مثلا في كتابه في باب صفات العين توقفنا على ما رصده اللسان العربي بأنواع الإعاقات وأنماطها المؤسسة على ملاحظات وتجربة.

ب- آفاق لغوية متعاطفة

ولم تقف حدود العناية اللسانية عند العرب عند حدود العمل المعجمي ولكنها تجاوزتها إلى حقول ومستويات أخرى أظهرت قدرا من التعاطف في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة استهدافا لتحقيق تواصل جيد مع بقية أفراد المجتمع. ولعل أظهر تجليات هذا التعاطف ظاهر في دراسات الأداء اللغوي فيما يحكى لنا في أدبيات البيان من جهود جادة مخلصة تعالج عيوب النطق ومشكلات الكلام من لدن الجاحظ في البيان والتبيين، وهو الأمر الذي رصدت الكتب القديمة آثارا اجتماعية ولغوية من جرائه على ما نقله «يوهان فك» في كتابه «العربية» ص١٢٢.

على أن ثمة نصا مهما جدًّا يعكس وعيا مبكرا لدى العرب بضرورة التواصل الإيجابي مع بعض أنواع الإعاقات، وهو نص رسالة الكندي الفيلسوف في اللثغة، وقد عرض فيه لتشخيص الإعاقة النطقية مقررًا (ص ٥٢٣): «إن تعسر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرضين لازمين، إما من تشنج، وإما لاسترخاء، فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة، وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام» .

وهذا الوعي المبكر على المستوى العلمي في مجال إعاقات الكلام له نظائر أخرى متنوعة في المجالات الأخرى الأمر الذي يمثل سبقا مهما في مجال تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، مما يحتاج إلى استثمار معاصر لم يرق إلى الدرجة المقنعة.

المدخل الحضاري

إن ما حققه العرب من مستوى حضاري متقدم في تاريخ ممتد طويل يحظى بإجماع مؤرخي الحضارات على اختلاف انتماءاتهم يدعونا إلى فحص هذا الأثر في المنجز الذي خلفوه في مجال الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة.

وربما كان صالحا من وجوه كثيرة رصد هذا الملمح الحضاري من عناية الحضارة العربية التراثية بذوي الاحتياجات الخاصة أن نقف عند محورين أساسيين يبرزان متألقين في هذا الميدان وهما:

أ- التأريخ عندما يرعى الإنسان، في هذا المحور يلمس دارسو الحضارة العربية ملمحًا مهما جدًّا يمكن إيجازه في

لا تخلو أحكام الشريعة من رعاية لذوي الاحتياجات الخاصة في ابواب الفقه المختلفة

عبارة أرجو ألا تحمل على الشعرية والمجازية التي تبعدها عن مربع الحق إلى مربعات أخرى من المبالغة، وهي: «عَرَجَةُ تطأ الجنة».

وربما كان تفسير هذه العبارة ظاهرا في الحضارة العربية التي لم تر الإبداع أو التقدم أو الارتقاء حكرا على البشر العاديين غير المعاقين، لقد استطاع الوعي الحضاري العربي أن يرى نفسه مدينا لذوي الاحتياجات الخاصة في بناء صرح هذه الحضارة.

وليس أدل على ذلك من حفاوة عدد من المصنفات المعنية بالشأن الحضاري بكثير من الرموز التي أسهمت في تشييد الصرح الحضاري العربي، حيث رصدت أسماء لكثير من الأشراف، لم يؤخر رتبتهم في الشرف ملابستهم لبعض الإعاقات المختلفة، أي أن الإعاقة لم تكن مانعا في التصور الحضاري العربي التراثي من حيازة الشرف والعلو الطبقي.

ب- أدبيات راعية، ولم تقف حدود الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة وتقدير مراتب الشرف التي حازها نفر كثير منهم عند المصنفات الحضارية التي مر ذكر أمثلة لها، ولكن ظهرت مصنفات مستقلة للعناية بذوي الاحتياجات الخاصة.

وهو الأمر الذي يؤكد هذا الوعي العربي بإنسانية ذوي الاحتياجات الخاصة من جانب، ويعكس الآفاق الرحبة التي تنتظر استثمار هذا التراث العربي لدعم الجهاد المعاصر في هذا الميدان.

وفيما يلي نماذج لعدد من الأدبيات العربية التراثية المؤكدة لهذا المنحى:

١- البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، وهو ينطلق من زاوية تقدر أن التفوق الإنساني ليس ممنوعا منه ذوو الاحتياجات الخاصة، وهو الأمر الذي يظهر في افتتاحه كتابه بقوله ص ٧ «والعرج الأشراف كثير، والعمي الأشراف أكثر» ثم يقول: «إن جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء».

٢- الهميان في نكت العميان، للصفدي ٧٦٤هـ، والذي يفحص هذا الكتاب يلمس تعاطفا نبيلا من الصفدي نحو أصحاب العمى حيث يرجح نبوة الأعمى وإماميته وتوليه القضاء، وهو الذي استقر لديه بعد استجماع الأدلة وتأويلها، يقول (ص٤٤): «إن عمى شعيب وغيره من الأنبياء صحيح، قيل: ومقام النبوة أشرف من مقام القضاء» ومن ثم لا يمنع منه.

إن أقل وصف لفعل التراث العربي في ميادينه المختلفة أنه كان متعاطفا ومتوازنا ومقدرا للمنجز الإنساني وللقدرة الإنسانية بغض النظر عما يمكن أن يلابس بعض الأفراد من إعاقات، فباسم هذا التراث وباسم هذه المرجعية تقدم ذوو الاحتياجات الخاصة فأبدعوا، وقادوا وألفوا، وتألقوا في المجالات المختلفة، وهو الأمر الذي يمثل دعما منقطع النظير أو ينبغي أن يمثله لحركة دعم ذوي الاحتياجات الخاصة المعاصرة والتمكين لها.

محاسن كتابة المصحف الإمام ومبرراته

د. أحمد شرشال

بداية وقبل أن أشرع في تعريف المصحف الإمام الذي سيكون البحث بصدده أود التنويه إلى أن ما نحن بصدده لا يقصد به «المصحف الإمام» المتعارف عليه تاريخيا بأنه المصحف الذي خص الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه به نفسه، ومن ثم فإن هذا البحث ليس تاريخيا يتعلق بتلك القضية، وانما سيكون مدار بحثنا هنا هو القيام بكتابة مصحف يكون إماما لجميع المصاحف التي تتضمن مخالفات من أنواع شتى فنجرد هذا المصحف الإمام من كل الوجوه الضعيفة، والمخالفات، ونجمع فيه كل ما صح وما تناثر في المصاحف الحالية، فيكون من هذا الوجه إمامًا لجميع المصاحف.

ولن يكون عملنا هذا - بحال من الأحوال- خروجًا عما صح رسمه وضبطه في مصحف الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه وما تواتر عن أئمة هذا الفن.

مبررات كتابة المصحف الإمام ومحاسنه

١- تصحيح بعض المخالفات للرسم العثماني.

٢- تصحيح مخالفات في الشكل والضبط.

٣- تصحيح مخالفات في وضع علامات الوصل والوقف.

٤- تصحيح أوضاع بعض الحروف وطرق تصوير هجائها واستبعاد الدخيل منها.

٥- تصحيح الألوان المستعملة في المصاحف، واستبعاد الدخيل منها.

٦- الإشارة بعلامة إلى رؤوس الآي على جميع مذاهب علماء العد لتتقارب مواضع الوقف.

منهجي لكتابة المصحف الإمام يقوم على الأسس الآتية:

الأول، وضوح الحروف، فجمال الخط وروعته في وضوحه، لا في زخرفته.

الثاني، المطابقة التامة بين المكتوب والمقروء في مواضعهما ما أمكن.

الثالث، تجريد المصحف الإمام من جميع المخالفات والأوجه الضعيفة.

ولست مبتدعا، ولا مغيرا، ولا مخالفا في هذا المصحف الإمام، وإنما هو إحياء لما كاد يندثر ويندرس، وإصلاح وتصحيح لما خالف فيه الناس، وجمع لما صح وتناثر في المصاحف وكُتُب الرسم والضبط، والتزامٌ كامل بإذن الله بما نص عليه علماء القراءات والرسم والضبط، ولا أزيد على ذلك.

فالخطأ يجب أن يصحح، وإن طال زمانه، والصواب يجب أن يقبل مهما كان مصدره، وفيما يلي تفصيل لمنهج المصحف الإمام، والله وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أولا: منهج كتابة المصحف الإمام

كتابة المصاحف ونسخها من أصولها، وإعرابها بالنقط والشكل المطابق للتلاوة ليسا ميدانا لكل من هب ودب، وليسا مهمة كل أحد من الناس، وإنما هما صناعة القراء والمقرئين، وقبل هذا فإنهما سنة نبوية، ورثها الخلف عن السلف.

وكتابة المصاحف وإعرابها بالنقط والشكل يتصل سندهما الكتابي بالمصاحف الأمهات التي أرسلها سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية، كما أن التلاوة الصحيحة متصلة السند المتواتر بالمشافهة والتلقي .. هذا في اللفظ، وذاك في الخط، فيجب أن يتطابقا، ولا ينقطعا.

وما لبث وصول تلك المصاحف الأمهات إلى الأمصار الإسلامية حتى بدأ الناس ينسخون مصاحفهم على وفقها، ثم يعرضون مصاحفهم عليها، فلم ينقطع سندها، بل وصفوا هجاءها وصفا دقيقا، وألفوا الكتب في بيان مرسومها وأوصاف حروفها.

واقتداء منا بسنة سيدنا عثمان رضي الله عنه نقوم بكتابة مصحف يكون امامًا لجميع المصاحف لا يعرف الحدود والأمصار، ولا يعرف المذاهب ولا المشارقة ولا المغاربة، فهو لا يعرف إلا الانتماء للمصاحف الأمهات كما نقلها علماء القراءات ووصفوها، فجمال الخط وروعته في وضوحه ومطابقة الخط للتلاوة لأداء أوجهها المنزلة.

فإذا تعارضت مذاهب الخطاطين مع التلاوة، كما هو الحال، حيث رجحوا قواعد خطهم على أحكام التلاوة فأهملوها فإني لا ألتفت إلى مذاهبهم في سبيل تحقيق ألفاظ التلاوة، فالواجب أن يكون الخط مطابقا للتلاوة، ومفصحا عنها، ومعبرا عنها من كل الوجوه بقدر الإمكان.

كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى في مكة المكرمة

إذ هذه المصاحف المتعددة المختلفة تنذر بضياع قواعد الرسم العثماني وبضياع الحروف العربية، فهذا الاختلاف والتعدد دون التزام بما كان عليه سلف هذه الأمة شبيه بما حدث في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه حين أمر باستنساخ مصاحف أمهات، وبإتلاف ما عداها، فنحن نكاد أن نقع فيما أنكره الخليفة الراشد أو أشد منه.

وهذه المخالفات والوجوه الضعيفة ليست وليدة الساعة، وإنما هي قديمة، وتوسع فيها المتأخرون، واستمرت وانتشرت حتى صار المنكر لها متهما لشيوعها بين الناس.

فهذا أبوعمرو الداني يقول: «كما يفعل ذلك قوم من جهلة النقاط، وأغبياء المعلمين» ثم قال: «وهذه المذاهب الفاسدة لا تصح عند التحقيق»، «وإذا فسدت هذه المذاهب الثلاثة بالوجوه التي بيناها صح المذهب الأول».

وهذه المذاهب التي جعلها الداني فاسدة موجودة، في المصاحف التي بين أيدينا والعمل بها جار ومستمر.

وقال أبو داود: «كما يفعله كثير من الجهلة ممن ينتحل كتابة المصحف من أهل عصرنا بغير علم ولا تعلم من عالم معروف مشهور بالرواية وعلم الكتابة»، (أصول الضبط ص ١١٢).

أما الشيخ حسين بن علي الرجراجي (ت ٨٩٩) فقد ضاق ذرعا بالمصاحف الموجودة في عصره، فأسقط الاحتجاج بها في باب الرسم لمخالفتها لقواعده فقال: «إذ لا حجة بالمصاحف الموجودة بين أيدينا اليوم، وإنما الحجة بالمصاحف القديمة التي

المصحف الإمام الذي ننوي القيام به يساهم مساهمة فعالة في نشر تعلم حروف اللغة العربية للشعوب الإسلامية

كتبها الصحابة رضي الله عنهم، وهي التي اطلع عليها أبوعمرو الداني وأبو داود وغيرهما من الشيوخ المقتدى بهم في هذا الشأن»، (تنبيه العطشان ورقة ٤٦).

وقال الشيخ علي النوري الصفاقسي في رده على من أثبت الألف في الكلمة التي فيها قراءات: «فظهر بهذا فساد ما جرى به العمل في أرض المغرب من إثباته الألف، فذلك باطل لا أصل له»، ثم قال: «كذلك جرى عمل أهل المشرق بل لهم في الرسم فساد وتخليط لا يرضى به ذو دين» (غيث النفع ٢١٣).

ولقد وقع مثل هذا الذي أنكره هؤلاء الأئمة وغيره في المصاحف وأشد منه، وأكثر مخالفة لما عليه علماء الرسم والضبط.

ومن هذا المنطلق عقدت العزم على تصحيح هذه المخالفات التي نص عليها العلماء، وتخليته من جميع الوجوه الضعيفة التي نبهوا عليها، ولا أزيد على ذلك أبدًا.

ثانيا: المحافظة على صور الحروف العربية

المصحف الإمام الذي ننوي القيام به يساهم مساهمة فعالة في نشر تعلم حروف اللغة العربية للشعوب الإسلامية والعربية، ولغير الناطقين بها لوضوح حروفه وكلماته، بل إنه سيكون اللبنة الأولى لتعليم الحروف العربية، ولا يحتاج إلى غيره من الكتب التي يتعلم فيها الأطفال حروف الهجاء كالقاعدة البغدادية وغيرها، وذلك لما يجدون فيه من حروف واضحة غير متداخلة، ولا متضايقة، ولما يجدون فيه من الضبط والشكل المطابق للقراءة.

ومن منهجية المصحف الإمام أن نترك فسحة بين كل حرف وآخر ليتسنى لنا دون مضايقة إلحاق المحذوف، والحركات والهمزات والمدات وغير ذلك مما يحتاج إليه من النقط والشكل والإعراب.

ويجب أن تكون هذه الحروف غير مطموسة، ولا مدغمة في بعضها ولا متداخلة ولا مستحدثة لتكون علامات الإعراب فوق الحرف تماما أو تحته، ولا تكون بعيدة عنه، لأن من شأن العلامة أن تكون فوق المعلَم أو تحته.

وهذا من أهم أهداف المصحف الإمام للمحافظة على الحروف العربية، وتكاد صور بعض الحروف تندرس لما أصاب الخط العربي من تطور وزخرفة، فيكون مشروع كتابة المصحف الإمام بعون الله مستودعا للحروف العربية من الضياع والتلف لارتباطها بالقرآن الكريم، فالمصحف الإمام هو المستودع الحافظ لأشكال الحروف العربية، وصورها الجميلة المعبّرة.

وسنستبعد من المصحف الإمام الأشكال المحدثة لبعض الحروف الهجائية الدخيلة، ونصحح بعضها، ونتمم النقص الحاصل لبعضها الآخر، فهو يحقق غرضين في آن واحد، تعليم حروف اللغة العربية بسهولة ويسر، وقراءة القرآن.

وقد رأيت صعوبة في قراءة القرآن عند المبتدئين والأطفال والكبار في جنوب شرق آسيا، ولعل السبب في عدم وضوح بعض الحروف هو محاولة الخطاط أن تكون نهاية الصفحة هي نهاية للآية، فتتداخل الحروف وتتزاحم ويضايق بعضها بعضا.

فتولد من ذلك خطأ آخر، وهو أن علامات الإعراب والنقط والشكل وإضافة ما نقص من هجائه لا تكون في موضعها تماما على الحرف أو تحته نتيجة المضايقة، وإدماج الحروف بعضها في بعض.

ونحن في مشروع كتابة المصحف الإمام نتجنب كل هذا ونعالجه بعون الله وتوفيقه، وكان الواجب أن تتوافر العناية الكاملة المطلقة لكتاب الله عز وجل من جميع الوجوه في رسمه وحروفه وإعرابه وأوقافه وتجزئته، لأنه محل اقتداء واهتداء في شكله وموضوعه، فالناس يقتدون به في كل شيء، واقتداؤهم به والعمل بما جاء فيه مطلوب، لا يرتاب فيه أحد.

ثالثًا: ترتيب الحروف وشكلها على حسب ترتيبها في التلاوة

منهجنا في كتابة المصحف الإمام أن نرتب الحروف وشكلها على حسب ترتيبها في التلاوة، لا العكس كما هو حاصل في بعض المواضع في بعض المصاحف، فيجب أن يكون الخط تابعًا للتلاوة، ومعبّرًا عنها، لأن اللفظ أسبق في الوجود، إذ إن الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب،

فيكون الخط مطابقًا من جميع الوجوه للتلاوة والقراءة، ولذلك جعل كتاب المصاحف علامة لكل صوت في كتابة المصاحف وإعرابها حتى ولو كان ناقصًا وخفيًا كالاختلاس والاشمام والروم، ولذلك كتب الباكستانيون التنوين نونًا صغيرة معرقة، اذا كان بعده ألف ساكن «أحدن الله» مبالغة منهم في تحقيق النطق الصحيح للتلاوة، فخالفوا الاجماع، وهو حق في النطق.

ونحن في كتابة المصحف الإمام سنلتزم بالترتيب، فلا يصح أن نكتب الهمزة قبل اللام ألفا في نحو: «ءلايات» ونحو «ءلاكلون» ونحو: الملأ، ونحو «لأملأن» كما جرى به العمل في الصاحف التي برواية ورش وقالون عن نافع، فهذا فيه تقديم وتقدير للخط ولو كان مخالفًا للتلاوة، وفيه ترجيح للمرجوح دون التفات الى ضبط التلاوة، وما نقوم به هو الموافق للأصل واللفظ والترتيب، فلا نراعي المذاهب ولا نلتزم بها، وإنما نراعي ما تتحقق به التلاوة في المصحف الامام.

وبناء على هذه القاعدة، يجب وضع علامة المد على الطرف الثاني بعد اللام هكذا: «كلآ إنها»، ونحو ءآلله في المصحف الإمام، وتقع الهمزة في الخط على حسب موقعها في النطق هكذا: (لأملأن) ونحوه.

وقد أنكر الشيخان أبوعمرو الداني وأبوداود على من قدم علامة المد على حرف المد، فيجب ترتيب الحروف وعلامات الإعراب والنقط والشكل على حسب ترتيبها في التلاوة والأداء.

رابعًا: تعميم نقط الإعجام على كل الحروف التي تنقط

منهجنا في كتابة المصحف الامام أن نعمم نقط الاعجام على كل الحروف التي تنقط، ونجعل ذلك بالسواد للحروف، لانه يتعلق بذات الحرف، وهو من ماهيته، وليست له صورة، وهو رأي لبعض العلماء.

إن حرف الياء إذا وقع في الطرف في بعض المصاحف لا ينقطونه، والحروف المجموعة في قولهم: ينفق «اذا» وقعت في الطرف في المصاحف التي برواية ورش وقالون لا ينقطونها.

وحجتهم أن حرف الياء إذا وقع في الطرف، لا يلتبس بغيره، فلا يحتاج الى نقط يميزه، ويجاب عن هذا: بأن حرف القاف اذا وقع في الطرف، لا يلتبس بغيره، فلماذا ينقطونه؟! وحرف النون اذا وقع طرفًا لا يلتبس بغيره، فلماذا ينقطونه؟! بل الياء إذا جاء بعدها همزة لا ينقطونها نحو: «شيء» وهي واقعة في الوسط.

والأغرب من هذا ان حرف الياء التي لا حس لها ولا وجود في اللفظ ولا يقرعها اللسان ينقطونها نحو: «بأييكم المفتون»، والياء المدية نحو: فيها، والياء التي لها وجود لفظي وخطي ويقرعها اللسان لا تنقط إذا كانت في الطرف نحو: «إلي» ونحو: «علي» فتشتبه بـ «إلى» و«على» عند بعض المبتدئين.

ومن العجيب أيضًا أنهم ينقطون حرف الياء في كلمة «يحيى»، اسمًا كان أو فعلًا، نحو «يا يحيى» ونحو «ولا يحيى»، ولا ينقطونها في نحو: (لدي) ونحو: (إلي)، ومع أن الياء في كلمة «يحيى» وقعت في الطرف أيضًا.

المنهجية العلمية التي تقتضيها كتابة المصحف الإمام تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة

ومنهجنا في كتابة المصحف الإمام نتوخى فيه تعميم النقط على كل الحروف التي تنقط، اتباعًا لناصر الحروف نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، وقياسًا على تعميم الضبط على كل حروف الكلمة، وهو مذهب إمام الصنعة أبي عمرو الداني، لأن نقط الإعجام يبين ذات الحرف، وهو من حقيقته وماهيته، لذلك اخترنا أن تكون مثل الحروف بالسواد، فنقطة الحرف تبين ذاته وتحدده، والحركة تبين ما يعرض للحرف.

إن نقط الإعجام يفرق به أيضًا بين معنيين مختلفين نحو قوله: «إلى الله» وقوله: «إلي المصير» ونحو: «أنعمت علي وعلى والدي» فالفرق بين «على» و«علي» واضح بنقط الياء، وبغير النقط ربما يحصل بينهما اشتباه ولبس، لذا وجب علينا في المصحف الامام تعميم نقط الاعجام كنقط الاعراب لأمن اللبس.

خامسًا: تعميم الضبط على كل حروف الكلمة

المنهجية العلمية التي تقتضيها كتابة المصحف الإمام تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة، فسبيل كل حرف أن يوفى حقه من النقط والشكل، حسب التلاوة.

ومن ثم يلزمنا في كتابة المصحف الإمام أن نضبط اللام في الكلمات الآتية: «التي» مفردًا وجمعًا ومثلها: «الىء» ونحو: «والليل» ونحو: «لله» وغيرها.

فنضع الشدة على اللام، والفتحة فوقها، ونلحق الألف الحمراء بعد اللام الدالة على الجمع مطابقة للتلاوة وتحقيقًا للفظ، فيستقيم اللفظ والوزن ويرتفع اللبس بين صيغة المفرد، وصيغة الجمع، هذا منهجنا في المصحف الإمام.

أما ما جرى به العمل في المصحف برواية ورش وقالون من تعرية اللام من الشدة والفتحة وعدم إلحاق الألف الحمراء بعد اللام في صيغة الجمع لا أساس له من الصحة، وهو وهم، وتلتبس صيغة المفرد بصيغة الجمع، ويقع الجاهل الذي ما وضع الضبط إلا من أجله في الخطأ.

والعجيب الغريب أن علامة الشدة إذا اقتضاها أمر عارض يجعلونها على اللام، وإذا اقتضتها الأصالة، لايجعلونها عليها نحو قوله: «عليم لله»، فيشددون اللام الأولى لعارض الإدغام ولا يشددون اللام الثانية، والشد فيها أصلي، وهذا من المفارقات الغريبة، يجب تنزيه المصحف الإمام من هذا كله.

يجب تعميم النقط والشكل على كل حروف الكلمة مطابقة للتلاوة وتحقيقًا للألفاظ.

ولقد اتفق على ذلك شيوخ الرسم، والخلاف الذي ذكروه بين أبي عمرو الداني وأبي داود وهم، وقد ظهر لي من استقراء كلام أبي عمرو في كتابيه «المحكم» و«المقنع» أن تعميم الشكل

والضبط على كل حروف الكلمة هو مذهب الداني، وقد صرح في كتابه «المحكم» باستيفاء ضبط الحرف بكل ما يستحقه، وأنكر على من يخص بعض الحروف بالضبط دون بعض، وحينئذ فلا خلاف بين الشيخين في ضبط الذي والتي وبابهما حتى لا يقع اللبس بين المفرد والجمع كما هو الحاصل في المصاحف.

سادسًا: تركيب التنوين وتتابعه

مما يجب أن يتنزه عنه المصحف الإمام طريقة تركيب التنوين بهذه الكيفية قبل حروف الحلق، فإن هذه العلامة الثانية المردودة إلى الخلف لم ترد في تاريخ المصاحف قديمًا ولا حديثًا، ولم يتكلم عليها علماء القراءات، فإنها من الدخيل على شكل المصاحف.

والذي نص عليه علماء الرسم والضبط في التركيب أن تكون إحداهما فوق الأخرى هكذا: «ً ً» نحو: ﴿عليمٌ حكيم﴾، وفي التتابع هكذا: «- - - » قبل غير حروف الحلق نحو ﴿غفورًا رحيمًا﴾.

وأكثر مخالفة من هذا أنهم جعلوا التنوين المنصوب في التتابع هكذا: «ً ً» قبل غير حروف الحلق نحو: ﴿لأيةً لكم﴾ ونحو: ﴿متعاً لَّكم﴾، وهذا مخالف لأصول التلاوة، ويجب أن ننزه المصحف الإمام من جميع هذه الوجوه المخالفة، ونجعله موافقًا لما نص عليه علماء الرسم والضبط هكذا: ﴿لأيـةَ لَكم﴾ ونحو: ﴿متاعًا لَّكم﴾ ونحو: ﴿غفوراً رحيمًا﴾، لأن التنوين هنا يدغم في اللام والراء لموجب القرب في اللفظ، والخط يتبعه في القرب أيضًا، يجب أن يكون مثلما هو في المصحف برواية ورش وقالون عندما تلاقيه حروف الإخفاء وحروف الإدغام، اما عند حروف الحلق فتكون إحدى العلامتين فوق الأخرى كما هو مبسوط في مواضعه في كتاب القراءات والرسم والضبط.

وما جرى به العمل لم يقل به أحد، ولم يتكلم عليه علماء الرسم والضبط، ولا أدري كيف ارتضاه الناس لمصاحفهم، ومصادره مجهولة، وهو لا يؤدي الغرض من التلاوة.

سابعًا: منهجية المصحف الإمام في الحذف والإثبات

منهجنا في كتابة المصحف الإمام الالتزام الكامل بما نص عليه علماء القراءات والرسم والضبط في باب الحذف والإثبات، وكثير من المصاحف لم تلتزم بقاعدة الحذف والإثبات، فأثبتوا الألف في كلمات نص علماء القراءات على أن الألف محذوفة منها، لأنها تضمنت قراءات وهذا النوع من الحذف مشهور عندهم باسم حذف الإشارة، فكل كلمة تقرأ بالحذف والإثبات ترسم في جميع المصاحف بحذف الألف رعاية لهذا الوجه من القراءة.

فالكلمات ذات الوجوه المتعددة ترسم بوجه يحتمل بقية الوجوه الأخرى وهذه قاعدة أساسية استقرئت من المصاحف التي نسخت من المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان إلى الأمصار الإسلامية، وكل من أثبت الألف في هذا النوع يعد مخالفًا للمصاحف الأمهات.

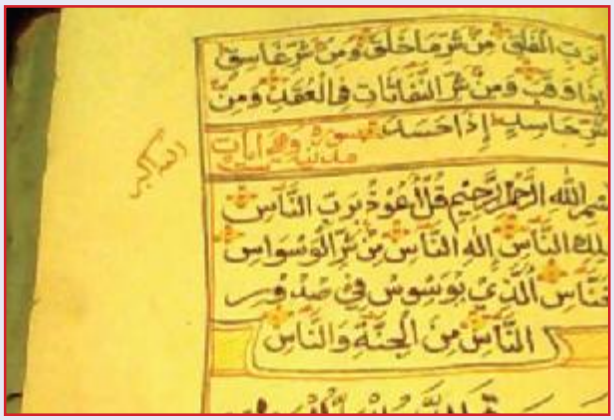

ومن ثم نحن في كتابة المصحف الإمام لا نتردد في كتابة قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ (التوبة: ١٩) بحذف الألف التي بعد القاف، وبحذف الألف التي بعد الميم رعاية لمن قرأ: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾، بحذف الألف فيهما «سقية الحاج وعمرة».

وقد نص على حذف الألف فيهما الإمام ابن الجزري فقال: «وقد رأيتهما في المصاحف القديمة محذوفتي الألف كقيامة وجمالة، ثم رأيتهما كذلك في مصحف المدينة الشريفة، ولم أعلم أحدًا نص على إثبات الألف فيهما ولا في إحداهما، وهذه الرواية تدل على حذفهما منهما إذ هي محتملة للرسم» (١).

ولا نتردد في كتابة قوله تعالى: ﴿فخراج ربك خير﴾ (المؤمنون: ٧٢) بحذف الألف التي بعد الراء رعاية للقراءة الأخرى بحذف الألف، وهكذا نفعل في كل كلمة تقرأ بالحذف والإثبات.

وقد رآها علم الدين السخاوي في المصحف الشامي العتيق بحذف الألف وزاد ابن وثيق الأندلسي على ذلك، فقال: «بحذف الألف في مصحف الشاميين الذي بعث به عثمان الى الشام»، وقراءة أهل الشام تؤيده.

قال الشيخ علي النوري الصفاقسي في رده على من أثبت الألف في الكلمة التي فيها قراءات: «فظهر بهذا فساد ما جرى به العمل... من إثباته، فذلك باطل لا أصل له» (٢).

وهذا الذي انكره الشيخ وقع مثله، ونحن في المصحف الإمام نلتزم بما نص عليه علماء القراءات حذفًا واثباتًا، وهو الموافق للمصاحف الأمهات.

ولمجرد سكوت أبي داود عن حذف الألف الواقع بعد اللام في بعض الكلمات اليسيرة استثناها الخراز في مورده من الحذف، وتابعه على ذلك بعض شراحه فأثبتوا الألف فيها، وجرى بها العمل في بعض المصاحف.

وقد نص الداني على حذف الألف في بعضها في فصل «ما أجمع عليه كتاب المصاحف» بل إن صاحب نثر المرجان نص على الحذف في جميعها، فقال: حيثما وقع وكيفما وقع، ونص ابن الوثيق الأندلسي على الحذف في جميع مواضعه.

وإن أبا عبدالله الصنهاجي ذكر أن حذف الألف بعد اللام المفردة مثل حذف الألف الواقعة بين اللامين، ونسب ذلك كله إلى مصحف عثمان رضي الله عنه.

ونحن ملتزمون في كتابة

المصحف الإمام بما نص عليه هؤلاء العلماء وخاصة ما عزوه لمصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، فيكون ذلك آكد لنا في اتباعه والعمل به، وبخاصة أننا ننشد المصحف الإمام.

ثامنًا: التلوين الدخيل على مرسوم الصحابة رضي الله عنهم في المصاحف.

طلعت علينا في هذه الأيام مصاحف منوعة، وبدأت تنتشر بين الناس، تحمل ألوانًا عديدة، منها ما هو متقارب جدًا، ومنها ما هو متشابه جدا، وكل لون يدلّ على حكم معين من أحكام التجويد، وكل حكم من أحكام التلاوة له لونه الخاص، بل إن اللون الواحد بتدرجاته ودرجاته المتقاربة جدا إلى الحد الذي يعسر التمييز بينها، تدل على أحكام عدة.

وقد جعل الخطاطون اللون الأحمر الغامق علامة للمد اللازم، وجعلوا اللون الأحمر القاني علامة للمد المتصل والمنفصل وعلامة للصلة الكبرى، وجعلوا اللون البرتقالي علامة للمد الجائز والعارض للسكون واللين، وجعلوا اللون الأحمر الكمّوني لمواضع المد الطبيعي.

وهذا من الغرائب فيحتاج الناس لمعرفة هذا اللون إلى معرفة لون «الكمون»، إن هذا لهو الفساد.

ورسموا الحروف التي فيها غنة باللون الأخضر، ورسموا الحرف الذي لا يلفظ باللون الرمادي الخافت حتى يكاد يختفي، وجعلوا اللون الأزرق الغامق لتفخيم الراء، وجعلوا لمواضع القلقلة اللون الأزرق ورسموا حروف المدّ باللون البرتقالي.

ولقد أسرف هؤلاء في التلوين، وأدخلوا فيه الآيات المتعلقة بموضوع واحد حسب زعمهم، ولا يزال هذا الدخيل مستمرًا بدون رقيب مما ينذر معه بضياع قواعد الرسم العثماني.

وطبع هذا المصحف بثلاثة ألوان رئيسية: أحمر بتدرجاته المختلفة وأخضر وأزرق فصارت ثمانية ألوان، من العسير جدًا التفريق بين هذه الألوان المتقاربة والمتشابهة.

وأقرّ هذا المصحف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وجاء في تقريره: «إن فكرة التلوين فكرة مبتكرة، وجيدة، ولا تتنافى مع الرسم والضبط كما تساعد القارئ على فهم أحكام التجويد وتطبيقه» أ هـ.

ولنا على هذا الإقرار ملحظان، الأول: أن التلوين غير صحيح، وهو محدث، وهذا الإقرار من الأزهر غير صحيح وفي غير محله، ويتنافى تمامًا مع الرسم والضبط ويشوش على القارئ فلا فائدة منه.

فهذا التلوين دخيل على رسم الصحابة في المصاحف ، وهو خارج عما اصطلح عليه كتاب المصاحف قديما وغير جائز عند علماء القراءات، وهذا النوع من التلوين غير معمول به، وهو بداية المسخ لمرسوم الصحابة رضي الله عنهم، وهو بداية التغيير للرسم العثماني وقواعده.

إن طريقة التلوين التي جرى عليها العلماء قديمًا، واستعملوها في إعراب مصاحفهم ليست بهذه الطريقة الدخيلة، إذ هي لا تمس جوهر الحروف، وإنما هي فيما يعرض للحروف من حركات وسكنات وشد ومد وهمز، وما يلحق من الحروف مما نقص من هجائه فقط.

إن فكرة تلوين الحروف بهذه الطريقة المشوشة- بفتح الواو وكسرها- تتنافى تماما مع الرسم العثماني وقواعده والضبط، وفيها خلط واختلاط بين رسم الصحابة وضبط التابعين، ودخيلة على مرسوم الصحابة رضي الله عنهم، فكأني بهؤلاء لا يفرقون بين الرسم العثماني، والضبط، فأدخلوا هذا في هذا.

ولذا يجب تجريد المصاحف من هذا الدخيل، فإن الألوان لا تكون إلا في الضبط والشكل وإلحاق ما نقص من هجائه فقط، وهو من وضع التابعين.

أما ذات الحروف فلا تكون، ولا تكون إلا بالسواد، لأنه من عمل الصحابة، فلا يجوز أن يلون، ليبقى عمل الصحابة متميزًا عن عمل التابعين، لذلك اختلف العلماء في الضبط والشكل إذا كان بالسواد ولم يختلفوا أبدا في الرسم أنه بالسواد.

بل إن بعضهم منع أن يكتب الشكل والضبط بالسواد، وشدّد في الإنكار على ذلك أبوعمرو الداني لأنه يؤدي إلى اختلاط رسم الصحابة بضبط التابعين فقال: «فأما نقط المصاحف بالسواد من الحبر وغيره فلا أستجيزه، بل أنهى عنه، وأنكره اقتداء بمن ابتدأ النقط من السلف، واتباعه له في استعماله لذلك صبغا يخالف لون المداد، إذ كان لا يحدث في المرسوم تغييرًا ولا تخليطًا، والسواد يحدث ذلك فيه» (١).

ثم بين أبو عمرو الداني الألوان المستعملة في مصاحف أهل المدينة قديما وحديثًا فقال: «والذي يستعمله نقاط أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه في نقط مصاحفهم الحُمرة والصُفرة لا غير، فأما الحمرة فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة فللهمزات خاصة» (٢).

ثانيًا: إن هذه الألوان لا تساعد القارئ على فهم قواعد التجويد وتطبيق أحكام التلاوة، بل إنها تشوش عليه، فحكم واحد وهو المد جعلوا له أربعة ألوان متقاربة جدًا يعسر التمييز بينها لتشابهها إذ يجمعها اللون الأحمر بتدرجاته ودرجاته المختلفة في الحمرة، ودرجات الحمرة تدل على نوع من أنواع المدود، ويستحيل على المعلم فضلا عن المتعلم أن يميز بين هذه الدرجات المتقاربة والمتشابهة مع اللون الأصلي.

فيستحيل على الطالب أن يحفظ هذه الألوان، ويحفظ ما ترشد إليه وتدل عليه كما يقولون، فتكون عبئًا ثقيلًا آخر عليه، وعليه أن يبذل مجهودًا كبيرًا للتمييز بين هذه الألوان المتقاربة ليربطه بما دل عليه، واصطلح له، فلا فائدة ترجى من هذا التلوين.

فما فائدة تلوين حروف المد باللون الرمادي الخافت، إذ يكاد يبين وينطق بها كل الناس نطقًا صحيحًا عن طريق السماع والتقليد، الصغير والكبير والجاهل والأمي، سواء كانت في القرآن أو في الحديث أو كلام الناس، كلهم يمدون المد الطبيعي.

هذا من العبث والفساد، روّج له الخطاطون وسكت عنه العارفون، فهذا عمل مكروه يجب تجريد المصاحف منه.

صناديق الاستثمار الإسلامية.. خطوات نحو التقدم في السوق

شهدت صناعة المال الإسلامية تطورًا ملحوظًا على مدار العقود الأربعة الماضية، فلم يعد الدور المطلوب منها أن تجد موضع قدم، أو تتحدى تجربة البقاء في السوق، وقد ساعدتها على ذلك تلك الرغبة الكبيرة من المدخرين الراغبين في التعامل وفق الشريعة الإسلامية، والبعد عن شبهة الربا. وتطورت الفكرة الإسلامية من مجرد تكوين بعض البنوك الإسلامية هنا وهناك إلى ابتكار عديد من الأدوات المالية الإسلامية، وأضافت التجربة وجود أسواق المال الإسلامية عبر دولتي ماليزيا والبحرين، ثم اتساع نشاط التأمين التكافلي، ولم تعد صناعة المال الإسلامية قاصرة على الدول العربية والإسلامية، بل اقتحمت الدول الأوروبية وأقبل عليها غير المسلمين، ولعل الأزمة المالية العالمية- التي تجتاح العالم منذ سبتمبر ٢٠٠٨، ولم تتوقف آثارها السلبية بعد- بينت هذا الإقبال من قبل غير المسلمين على التعاملات المالية وفق قواعد الشريعة الإسلامية، فتنادت الأصوات الغربية بالنظر في قواعد الشريعة الإسلامية الخاصة بالجوانب الاقتصادية، من أجل الخروج من دوامة الاقتصاد الورقي غير الحقيقي الذي أهدرت فيه الثروات ووضع الاقتصاد العالمي في مأزق حقيقي.

عبدالحافظ الصاوي
باحث متخصص في الإقتصاد الإسلامي

وتعد صناديق الاستثمار الإسلامية واحدة من الأدوات التي تتعامل فيها صناعة المال الإسلامية، وتخضع للضوابط الشرعية العامة الحاكمة لكل التعاملات المندرجة تحت مسمى الاقتصاد الإسلامي ذاتها، ولا يكاد يخلو منها بلد توجد به سوق مال، حيث تحرص البنوك الإسلامية على تأسيس هذه الصناديق، من أجل توظيف أفضل وأكبر لما لديها من مدخرات، وكذلك تلبية لرغبة شريحة من العملاء يرون في سوق المال فرصة استثمارية لا يجب تفويتها، ولكن في إطار يراعي طبيعة مدخراتهم، ويراعي كذلك قواعد الشريعة الإسلامية في المعاملات المالية.

وفي هذه السطور نستطلع واقع تجربة صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر، حيث كانت مصر المنبت الأول لبذرة البنوك الإسلامية، منذ منتصف السبعينيات من القرن الفائت، حيث أسس بنك فيصل الإسلامي، ومن قبل ذلك بنحو عقد من الزمن، حيث تجربة بنوك الادخار، لرائد العمل المصرفي الإسلامي د.أحمد النجار (رحمه الله).

آلية عمل صناديق الاستثمار

يبيِّن أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر د. فياض عبدالمنعم أنه في حالة وجود أسواق المال فإنها تشتمل على عدد من الأدوات، ومن أهمها الأسهم، وأدوات أخرى مثل السندات وأذون الخزانة، غير أن الأسهم تعد السلعة أو الأداة المالية الوحيدة التي تتعامل فيها صناديق الاستثمار الإسلامية، نظرًا لارتباط الأدوات الأخرى بسعر الفائدة المحرم شرعًا، وفي الأسهم لا يأتي تعامل الصناديق الإسلامية على إطلاقه، ولكنه مقيد بضوابط عمل الشركات صاحبة هذه الأسهم من حيث شرعية عملها وبعدها عن الممارسات المنهي عنها شرعًا، وحرصها على التمويل الإسلامي في مشروعاتها، سواء كان ذلك عبر التمويل الذاتي أو المصرفي، ويضيف فياض أنه في بعض الأسواق يكون أمام صناديق الاستثمار الإسلامية أدوات أخرى غير الأسهم المباحة شرعًا مثل الصكوك الإسلامية التي شهدت رواجًا كبيرًا خلال الفترات الماضية، وخاصة بعد إقبال بعض الحكومات على الاعتماد عليها، سواء في تمويل مشروعات عامة، أو في سداد عجز الموازنة، ولم يقف التعامل بهذه

الصكوك على الدول العربية والإسلامية، ولكنه امتد إلى بلدان أوروبية، حيث مولت بها بعض المقاطعات الألمانية والإنجليزية مشروعاتها العامة.

ويدخل صندوق الاستثمار الإسلامي لسوق المال، عبر رأس ماله المملوك لمجموعة من المساهمين، في شكل صكوك يصدرها الصندوق بقيم صغيرة تناسب صغار المدخرين. ويقوم الصندوق بشراء وبيع الأسهم والأدوات المالية الإسلامية الأخرى، مثل الصكوك الإسلامية، محققًا ربحًا أو خسارة، عملًا بقاعدة الغنم بالغرم، ويعتبر الصندوق في هذه الحالة بيت خبرة للمدخرين، ويكون بمنزلة حائط صد لتقليل خسائر المدخرين في حالة وقوع خسائر، كما يُمكِّن

الاقتصاد الحقيقي هو محل وعمل الاقتصاد الإسلامي وصناعة المال الإسلامية لوجود قواعد الغرم بالغرم

المدخرين من الدخول إلى السوق والخروج منها بطريقة أفضل من التعامل المباشر مع سوق الأوراق المالية، ويضيف فياض أن الصناديق لها دور مهم آخر لمصلحة السوق يتمثل في أداء وظيفة صانع السوق، حيث يحافظ على توازنه وعدم انهياره بمعدلات كبيرة.

واقع التجربة في مصر

من بين ٥٢ صندوق استثمار في مصر توجد نحو ٦ صناديق إسلامية، بما يمثل ١٢٪، وحسب بيانات عام ٢٠٠٨ يبلغ حجم استثمارات جميع صناديق الاستثمار في مصر نحو ٤٢,١ مليار جنيه. تمثل صناديق الدخل الثابت (أذون الخزانة والسندات العامة) منها ٣٦,٧ مليار جنيه بما يبلغ ٨٧٪، في حين يبلغ حجم الصناديق المتوازنة (أسهم وسندات) ١,٣ مليار جنيه، بما يمثل ٣٪ فقط. أما صناديق الأسهم فقط فيبلغ حجم استثماراتها ٣,٣ مليارات جنيه، بما يمثل نسبة ٨٪. في حين أن الصناديق الإسلامية تبلغ استثماراتها ١,١٤ مليار جنيه. وفي الوقت الذي شهد فيه السوق المصرية ميلاد أول صندوق استثمار في فبراير ١٩٩٥ تأخر أول صندوق استثمار إسلامي عن هذا التاريخ نحو ٩ سنوات فأنشأ بنك فيصل الإسلامي أول صندوق إسلامي في ديسمبر ٢٠٠٤.

وتعمل الصناديق الإسلامية في الأسهم المتداولة في البورصة المصرية، ولكل صندوق منها لجنة شرعية تقوم على أمر اختيار الأسهم التي تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وبالطبع تحتوي هذه الصناديق على أسهم فقط، ولا تملك أي أدوات أخرى، خصوصًا أدوات العائد الثابت، حيث لا تتوافر في مصر أداة الصكوك الإسلامية، مما يحرم هذه الصناديق من الاستثمار في هذه الأداة. ويصل رأس مال كل صناديق الاستثمار الإسلامية نحو ٥٠ مليون جنيه، إذ يمتلك كل من بنكي فيصل الإسلامي المصري والتمويل السعودي صندوقًا مستقلًا لكل منهما، كما يشارك كل منهما بنكا آخر في صندوق استثماري، بينما يملك أيضًا بنك مصر صندوق استثمار اسلاميًا منفردًا، ويشترك في رأس مال الصندوق الإسلامي السادس كل من البنك الوطني للتنمية وبنك الشركة المصرفية الدولية.

البنوك التقليدية تملك صناديق استثمار إسلامية

ويبين مدير إدارة الاستثمار ببنك مصر إيران الأستاذ ناجي هندي أن جميع هذه الصناديق مؤسسة من قبل بنوك، وتعمل من خلال البنوك الإسلامية، على الرغم من وجود مشاركات من قبل البنوك التقليدية مع البنوك الإسلامية في رأس مال هذه الصناديق، ومنها على سبيل المثال صندوق «بشاير» الذي

يشترك فيه كل من البنك الأهلي مع التمويل السعودي، أو صندوق «أمان» الذي يشترك فيه كل من بنك فيصل والبنك التجاري الدولي، ومن وجهة نظر هندي فإن إقبال البنوك التقليدية على العمل في صناديق الاستثمار الإسلامية يعكس حجم الطلب والإقبال على الأدوات المالية الإسلامية، التي لم يتوافر منها في مصر سوى صناديق الاستثمار الإسلامية، بخلاف الأوعية الادخارية داخل البنوك الإسلامية.

ويضيف هندي أن الدراسات التي تمت بمعرفة بنوك أجنبية عن القطاع المصرفي المصري أثبتت أن هناك فرصا كبيرة داخل هذا القطاع بسبب وفرة المدخرات التي وصلت إلى نحو ٧٠٠ مليار جنيه، وتبحث هذه المدخرات عن من يجتذبها ويعمل على توظيفها بشكل جيد. وبطبيعة الحال فإن هذه المدخرات تبحث عن وسائل استثمارها بمعرفة المؤسسات المالية التي جمعتها. ويظهر جليًا دور صناديق الاستثمار الإسلامية في هذه القضية، من خلال استخدام أدوات استثمارية جاذبة، تستطيع معها جذب مدخرات الأفراد الذين يبحثون عن وسائل استثمار تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية.

المستقبل مشروط بوجود مديرين أكفاء

وعن أداء صناديق الاستثمار الإسلامية في السوق المصرية يرى هندي أن كل الأفكار المالية الحالية المطروحة فيها من قبل صناديق الاستثمار الإسلامية لم تتعد حدود الاستثمار في الأسهم المتداولة في البورصة، على الرغم من وجود فرص لتكوين صناديق استثمار للمرابحة، أو النشاط العقاري، أو وجود صناديق تعمل في مجال الاستثمار المباشر وفق أحكام الشريعة الإسلامية، كما أن مستقبل الصناديق الإسلامية بمصر أمامه مساحات واسعة من العملاء الراغبين في التعامل معها، ولكن نجاح هذه الصناديق يتوقف على وجود مديرين أكفاء لهذه الصناديق، لهم خبرة بالسوق المصرية وثقافة المستثمر المصري، وفي الوقت نفسه لديهم الخبرة اللازمة في المعاملات المالية الإسلامية.

مستقبل صناديق الإستثمار الإسلامية في المنطقة العربية كبير وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية

وترى مستشارة بنك التمويل المصري السعودي بسنت فهمي أن مستقبل صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر وفي المنطقة العربية كبير، وخاصة بعد الأزمة المالية العالمية، حيث تبين للعالم أن الاقتصاد الحقيقي هو الملاذ الآمن، وهو محل عمل الاقتصاد الإسلامي، وصناعة المال الإسلامية، لوجود قواعد الغنم بالغرم، وعدم بيع الإنسان ما لا يملك، أو بيع الديون، وكلها أمور كانت تقوم عليها أسواق المال التي ابتعدت عن الممارسات الإسلامية. وفي مصر ترى فهمي أن دخول البنوك الخليجية في السوق المصرية أخيرًا- وهي مصارف تعمل وفق ضوابط الشريعة الإسلامية- سوف يساعد على نمو هذه الصناديق، وبشكل عام فإن المصارف الإسلامية، أو الفروع الإسلامية في البنوك التقليدية تتمتع بفائض سيولة عال، وهو من أهم عوامل الأمان المالي في أي بنك. ولذلك سنجد توسعًا في مصر في عمل هذه الصناديق، وترجع فهمي قلة عدد صناديق الاستثمار الإسلامية في مصر إلى تأخر نشأة سوق المال في مصر، حيث بدأت في عام ١٩٩، مقارنة بإنشاء البنوك الإسلامية التي بدأت في السبعينيات من القرن الفائت، كما تعد السوق المصرية سوقا ناشئة، والشركات الموجودة بها ليست كثيرة، كما أن الظروف التي مر بها الاقتصاد المصري خلال الفترة الماضية لم تساعد على وجود سوق مال قوية.

عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية بدار علوم القاهرة د. حسن الشافعي:

مشكلة المثقفين العرب تكمن في القطيعة بين التراث والمعاصرة

حوار: علاء فاروق

يعاني المجتمع العربي الثقافي من مشكلات عدة تتلخص في سطحية الكثير من هؤلاء المثقفين واعتمادهم المباشر على الوسائل السريعة و«الملخصة» مثل الانترنت والقراءة «الجرائدية» للقضايا الثقافية المثارة- وهذا ليس انتقاصا من هذه الوسائل- ولكن هذا الاعتماد الوحيد على هذه الوسائل عمل على خلق جيل من أنصاف المثقفين، وتلاشت أو كادت صورة المثقف غزير العلم عميق الفكر صاحب وجهة النظر المقنعة مصطحبا معه الأدلة الدامغة في مناقشته للقضايا، ما جعل «الوعي الإسلامي» ترصد هذا الضعف وتحاول أن تتعرف على أسبابه وطرق علاجه كي تعود أمة رائدة في الثقافة وغزارة العلم وذلك خلال اللقاء برئيس الجامعة الاسلامية بباكستان سابقا وعضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية بدار علوم القاهرة د. حسن الشافعي.. وإليكم نص الحوار:

■ المزاوجة بين التراث والمعاصرة.. هل حدثت قطيعة بين الصنفين؟

- تلك مشكلة قائمة فيما يتعلق بالمشهد الثقافي الراهن في الواقع العربي والإسلامي، ومرد ذلك أن بعض المثقفين يزكون القطيعة بين التراث والمعاصرة، بل إن هناك بعض المثقفين يتخذ من هذا منهجًا زاعمًا أن القطيعة هي إحدى متطلبات الساحة الثقافية المعاصرة.

لكني أؤمن أن وجوب القطيعة مع الماضي والتراث خطأ ثقافي بحت، بل إن هذا ليس صحيحًا بالنسبة للثقافة الغربية التي نهضت على إثر الثقافات القديمة.

وأنا أرجع ذلك إلى نظام التعليم الخاطئ الذي جعل هؤلاء المثقفين أبناء هذا النظام الخاطئ يتصورون ذلك ويتخذون الفصل بين الماضي والحاضر منهجًا وطريقًا، فهم معذورون.

و أرى أن تعدد وجهات الإشراف على الثقافة هو أحد الأسباب، فتجد

وسائل الإعلام لا تغني عن القراءة والإطلاع لتكوين الشخص المثقف

وزيرًا للتعليم وآخر للتعليم العالي وثالثا للثقافة ورابعًا للإعلام.

ومن وجهة نظري فإن كل هذه الوزارات طريقها واحد، فالحل أن تكون هناك مركزية عند هذه الوزارات، وليس بالضروري توحيد هذه الوزارات، بل وجود جهاز مشترك يشرف على الجانب الثقافي المكمل للأجهزة التعليمية التي تنهض بها وزارة التربية والتعليم.

■ وهل هناك تأثير للأجهزة الإعلامية على الثقافة العربية الآن؟

- حقيقة الحال أن أغلب المثقفين يتلقون ثقافاتهم من الأجهزة الإعلامية المسموعة أو المرئية، وأرى أن هناك تسليمًا بأن الإعلام أصبح مفروضًا على الجميع، ولكن هذا لا يغني عن القراءة والاطلاع والأبحاث بجانب هذه الأجهزة الإعلامية لأنها لا تكفي بمفردها لتكوين شخص مثقف.

وهذا أيضًا يبين الدور المهم والكبير المنوط بأجهزة الإعلام لما لها من تأثير واضح على عقول المثقفين من تقديم الوجبة الثقافية الدسمة لهؤلاء المستمعين لها، وأرى أن الكثير من الكتاب الآن قلما تجدهم يمسكون بالكتاب وخاصة القراء العرب.

■ هناك من يرى أن جماعة التراث هم أسباب تأخر المثقفين والكتاب العرب، وآخرون يرون أن أجهزة الإعلام هي المسؤولة عن ذلك.. فما ردكم؟

- أرى أن فريقًا كبيرًا من جماعة التراث عليهم بعض المسؤولية من حيث إنهم أسهموا في هذه القطيعة بعدم خدمة التراث نفسه ومن الوسائل التي تقربهم من المثقف المعاصر، بل إن الكثير من مثقفي التراث لم يقدموه بالشكل الذي يجعله مقبولًا لدى المعاصرين الجدد، ولكن في الوقت نفسه فإن التيار الإعلامي هو الأقرب للحداثة، بل إنه مغموس فيها وله النصيب الأكبر في هذه القطيعة، والقول الفصل إن كلا الفريقين مسؤول عن القطيعة.

■ ما الطريقة التي يقدم بها دارسوا التراث مادة التراث بلغة لا تصيب بالملل أو عدم الفهم لها؟

- في الحقيقة، إن هؤلاء الأصوليين كالغزالي والآمدي وغيرهم برغم أنهم لم يأتوا في عصر عنفوان الثقافة العربية، وجاءوا في عصر المتأخرين،

د. الشافعي متحدثاً إلى «الوعي الإسلامي»

لكنهم كانوا أقدر على مواجهة الأزمة الثقافية في عصرهم مما يدل على أن اللغة ليست هي المشكلة فحسب، بل يشاركها مناهج البحث الجديدة.

ولو أن أهل التراث تعلموا ذلك بإخلاص البحث الجديد لتقديم بضاعتهم القديمة ولكن في كائن جديد سائغ شرابه لعمت الفائدة.

■ وماذا عن قضية الضبط اللغوي للمطبوعات.

– مجمع اللغة العربية المصري يحرص كل الحرص على هذا الضبط للأبحاث التي يصدرها، وكذلك المطبوعات المختلفة، ولكن الناشر التجاري لا يخضع لهذا الضبط لأنه غير مستعد لبذل الجهد والتكلفة التي يسببها الضبط اللغوي.

لذا يجب أن تكون هناك هيئة علمية تمثل المجامع اللغوية تقوم بالإشراف على الترجمة والمنهج العلمي وتحاول أيضًا أن تقدم الضبط الدقيق لكلمات الأبحاث المقدمة، مما يعمل على مساعدة الناشر «التجاري» على تقبل الأمر، ولكن يتم تكليف الناشر بهذه المهمة بمفرده ويعد أمرًا صعبًا.

■ توفيق العمل بين المجامع اللغوية في كل مكان.. كيف يتم ذلك حتى لا تتكرر الأعمال؟

– الوسيلة موجودة، وخاصة عند اجتماع رؤساء المجامع بصورة دورية وطرح الموضوعات التي تصدرها المجامع المختلفة، وخاصة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهناك اتحاد المجامع ولكنها لجنة تحتاج لدعم وميزانية لكي تقوم بواجبها المنوط بها، وأنا أقول إن هذا الأمر – توحيد المجامع وخاصة في الألفاظ والكلمات – مهم جدًا، وخاصة في أسماء المدن، فقد تجد من ينطق اسم بلد منها فلسطين باسمها العبري مما يعني التحريف لها.

أطالب باحترام اللغة واحترام ما تصدره المجامع من قبل وسائل الإعلام وغيرها من المؤلفات، بل يجب أن تسن القوانين التي تلزم هؤلاء بذلك.

■ نظام «الشللية» في قضية النشر يفقد بعض المصنفات القيمة مكانتها.. ما رأيكم في ذلك؟

– أجهزة النشر سواء كانت حكومية أو حرة ينقصها الكثير، وقد يوجد أحيانًا نشر لمن لا يستحق وإغفال لمن يستحق أن يخرج للناس، بل إن بعض الجهات تعمل على وضع العقبات أمام المؤلفين والعلماء مما يعمل على عزوف هؤلاء العلماء عن تقديم مصنفاتهم لهذه الهيئات خوفًا من رد فعل هذه المؤسسات.

وأظن أن العلاج أن يكون النشر داخل الهيئات المعروفة والرسمية مثل الهيئة العامة للكتاب وكذلك المجلات الثقافية والمعارض وغيرها.

وهناك حاجة أن يكون داخل هذه المؤسسات لجان من العلماء تقوم بتقييم الأعمال واختيار المصنفات التي تستحق النشر.

■ كلمة أخيرة للمثقفين والكتاب العرب؟

– يجب أن يركز هؤلاء العلماء والمثقفون على ما ينفع الناس ويقدمونه لهم بصورة مقبولة وليست صعبة مستحيلة، كما أتمنى أن يشاركونا العمل لكي نرتقي بأمتنا ونعود بها إلى دور الريادة.

في سطور

- حسن محمود عبداللطيف الشافعي.
- بني سويف مركز ببا قرية بني ماضي.
- ١٩٣٠م.
- عضو بإدارة الجمعية التربوية الإسلامية بالقاهرة.
- عضو الجمعية الفلسفية الإسلامية بالقاهرة.
- ٢٤ كتابًا وبحثًا أكاديميًا أهمها كتاب: الآدمي، الفلسفة منهجًا وتطبيقا، في فكرنا الحديث والمعاصر.

وارثو الأرض

الدنيا تدور وتدور، وكلما دارت تنسحب إلى فَلَكها الأصل، فهل وارثو الأرض الحقيقيون جاهزون لاسترداد ميراثهم الذي أضاعوه، فخطفه غيرُهم قبل مدة؟ إن الحق الأول شيء، والحق المستلم بالتمثيل شيء آخر، فالحق إن لم يُمَثّل حسب مقاييس قيَمه الذاتية، يمكن أن يُسترد في كل وقت، وإن مُنح ابتداءً لأمة معينة وَجَمْع معين فيُستَرد منهم، ويُسَلَم إلى من يكونون الأسبق والأفضل نسبيًا في الخير، إلى أن ينشأ المَمثلون الحقيقيون.

لن يغفر التاريخ لناحٍ ضحينا بالدين في سبيل إعمار دنيانا

يقول الله تعالى في الفرقان البديع البيان: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) ولا ينبغي أن يتردد امرؤ في توقع مجيء هذا اليوم، وهو وعد الله المؤكد، ولن تنحصر هذه الوراثة بالأرض وحدها، ذلك بأن مَن يرث الأرض ويحكمها، يحكم عمق الفضاء والسماء أيضًا، إذن هي حاكمة في الكون كذلك، ولما كانت هذه الحاكمية بالنيابة والخلافة، فحيازة خصال التمثيل التي يريدها صاحبُ السموات والأرض الحق لازمة وضرورية، بل يصح القول إن تلك الرؤيا وذلك الرجاء، يتحققان بقدر إدراك هذه الخصال ومعايشتها.

ولئن حرّم مالكُ الملك الحقُّ الإرثَ عمن ادعى وراثة الأرض الحقيقية في مرحلة تاريخية كثيفة بالضباب والدخان، لأنهم لم يبذلوا الجهد اللائق بالوراثة السماوية كما ينبغي، فإن الخلاص من هذا الحرمان يبدأ من اللجوء إليه تعالى مجددًا.

لقد وعد الله بإرث الأرض للصالحين من عباده، وهم ممثلو الروحية المحمدية والأخلاق القرآنية، المنشغلون بالاتحاد والاجتماع، المدركون لأحوال عصرهم، المسلحون بالعلم والفن، المقيمون لميزان الدنيا، والعقبى الحاصلة وعد لعقبان الروح وللمعنى الذي يدورون به في مدار نجوم السماء النبوية، وسادتنا الصحابة الكرام، إنه سنة الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) سنّة ثابتة وشريعة فطرية لن تتغير.

فيلزم لوراثة الأرض السعي الجاد في الصالحات ابتداءً، بمعنى معايشة الدين كما هو في القرآن والسنة، وجعل الإسلام إحياءً للحياة، ثم احتواء علوم العصر وفنونه، ولنتذكر دائمًا أن المجتمعات التي لا تلتفت إلى الشريعة الفطرية المتجلية من القدرة والإرادة، وإلى مجموعة القوانين الإلهية الظاهرة من صفة الكلام في الكائنات، وأن الأمم والشعوب التي تتعرض إلى التبدل داخليا في حياتها المعنوية، مصيرها إلى الخذلان غدًا، مهما كانت ظاهرةً اليوم، ذا هو التاريخ- وما أشبهه بمقبرة للأمم المنقرضة- يصرخ عاليا بصوت الحقيقة: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرّعد:١١)، التآكل الروحي والمعنوي في عالم

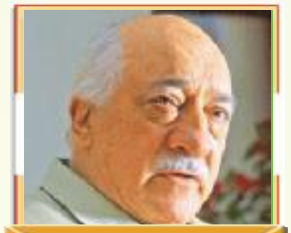

فتح الله كولن

الداخل الذاتي للمجتمع يوصل إلى انقطاع الأنعم الإلهية عنه، هذه الآية الكريمة تذكّرنا بقاعدة مهمة في الظهور والخذلان، أو العز والذل، وتحدد هذا الفراغ الهائل في مسلمي العصر الحاضر.

ولعلنا نوجز هذا الفراغ بالتآكل الذي أصاب المسلمين جميعًا في بنائهم الداخلي من حيث الحياة القلبية والروحية، وتخلفهم بمراحل طويلة عن العصر في بنائهم الداخلي، وسواءٌ علينا في الحاصل إن كانت العلة في هذا التآكل أو التخلف من الموانع الخارجية المتتالية منذ قرن أو قرنين، أو هي جهلنا وضعفنا وعجزنا، لكن الثابت هو أن أمة الإسلام تنزف الدم في القرون الأخيرة، وتبدو غير مبالية بمصادر قوتها التي بها انتصبت على قدميها وجعلتها في عزها وارثة الأرض حقًا وصدقًا.

أرجوكم التفكر مليًا، هل نجرؤ على القول إن الذين ادّعوا تمثيل الإسلام في مرحلة تعيسة من حياة شعبنا هم أصحاب حياة قلبية وروحية عميقة الغور

مفكر تركي

بمقاييس الأوائل؟ وهل نشهد أن مسلمي تلك المرحلة كانوا في توتر وانشداد وحماس من أجل ديمومة نمط الحياة للصحابة الكرام، بله الرغب إلى حياة كحياة الصحابة؟ كم وجهًا بهيًّا نلقى في تلك المرحلة، يختار أن يموت عزيزًا على أن يعيش ذليلًا كما في القول الذي سار مثلًا: «إما الدولة في الأمجاد أو الغربان على الأجساد» (١)، وكم روحًا منورًا لم يستسلم أبدًا لأعدائنا ولم يحد مطلقًا عن استقامة دربه؟

وإن ضعف الإدارة ورجالها، خاصة في تلك المرحلة، يورث حرقة في الفؤاد وغصة في الحلق، فقد عجزنا عن إنقاذ أنفسنا من العيش تحت الوصاية، والقرآن يحرم علينا الحياة تحت وطأة الوصاية. أننكر أننا نتذلل على أعتاب الظالمين الذين يسحقوننا بتحكمهم؟ وهل نزعم أننا استطعنا أن نستجيب- كما يليق بوارثي الأرض- لنداء القرآن بالاستعداد الكامل والتأهب الحذر ضد الأعداء الألداء لديننا ووطننا وفكرنا؟ وتذكروا قَسَم الرب الجليل في القرآن الكريم بالخيل ووسائل القتال في سورة العاديات، وأمره الجليل أن ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ (الأنفال:٦٠).

الصحيح هو أننا ارتكبنا خطأ من أعظم ما لا يغفره التاريخ، ضحينا بالدين في سبيل الدنيا، طمعًا في عمارة دنيانا، وتبنينا فهما يرجح الدنيا على الدين، فوجدنا أنفسنا مذاك أسرى في شباك الممتَنعات، وضاع الدين وفرّت الدنيا، وعاش هذا العالم المجيد- التعيس، مرحلة التفريغ، رفضٌ لميراث مبارك من ألف عام، وتلبيس على الشعب بمبدأ مصطنع، وتركيب الدولة العظيمة وتصميم بنائها على قاعدة هشة ومتهاوية، وتعريض التاريخ والقوم والأرومة والثقافة الموروثة إلى الازدراء والتزييف، وإلقاء النفس في أحضان أعداء «الألف سنة»، ثم دس أشد الأفكار إلحادًا بأفحش الألفاظ طرا في جسم الوطن، بل شهدنا انهمار الجوائز والمكافآت على من يزخرف هذه الأفكار بالشعر والنثر، بل السعي لإحياء الشيوعية في العواطف والأفكار والأخلاق في عالم المسحوقين والضعفاء والمظلومين.

وكما يتدرع أحيانا نفرٌ من المصابين بداء الإلحاد، العاجزين والشاكّين حتى في أنفسهم، بدرع أيديولوجية سياسية ورجال ومفاهيم ممنوعة من المس - وهم يلجأون اليوم خاصة إلى أقبح هذه الأساليب وأخزاها- لمهاجمة الدين وإلصاق التهم بالمقدسات، فإني أذكر زمانا كان أمثال هؤلاء التعساء يقيئون حقدهم وكرههم وغيظهم، ويناضلون نضال المستميت لكبح صوت الدين والمسلم، أيام رواج الشيوعية والاشتراكية، متكئين على نظم لا أنساب لها، وما

أجمل أبيات شاعر النشيد الوطني وأمل الاستقلال الذي صار نشيده أسطورة تروي انبعاث الشعب من جديد، في تصويره- بالضد- هذه المرحلة المظلمة، إذ يُرتقب فيه المسلم والإسلام ويقتفى أثره، ليقتل وتُطفأ شعلته وتُفسد طبائعه:

قد انسلخ الحياء وانحسر
فالعار ملء البوادي والقفار
كم وجه قبيح لم نعرفه
اختفى خلف رقيق الستار
فلا وفاء والعهد عدم
والأمانة لفظ بلا مدلول
والكذب رائج والخيانة ملتزمة
في كل حال والحق في المجهول
العقل مرتعب جزع يا رب كم
رهيب هذا الانقلاب
ضاع الدين والإيمان، فالدين
خراب والإيمان تراب. (٢)

أبيات مفعمة بحسرة وانكسار تقصم ظهر الشاعر، لكن هذا التسلط القهري والكفري والمزاجي طوال هذه السنين، عجز عن الاستحواذ تمامًا على إرادة هذا الشعب الأصيل، ولم يطفئ أبدًا شعلة أفكاره، ذات البُعد الأزلي والأبدي، إن هذه الأفكار صارت حسب الظروف جمرة تحت الرماد، أو شرارة تقدح وتتدلع نارًا بحركة طفيفة، أو مصدرًا للنور كافيًا لإضاءة الدنيا، لكنها بعوامل التدبير والتمكين الجاذبة نحو المركز انكمشت في جوف نواة، وتقلصت فاستطاعت أن تجتاز أعظم محن العصر لتصل إلى الجيل القادر على أداء العمل، في انتظار أن تغمر الأرض كلها بالنور.

من الممكن أن نقيّم سنين التيه الطويلة بمقياس عذاب متجرعٍ وجهدٍ مبذول، فلنسعَ مرة أخرى إلى إثبات أننا وارثو الأرض الحقيقيون بفهم الإسلام، مصدرنا الكافي لانبعاثنا المادي والمعنوي، كما هو في أصله، ثم بالانخراط في جموع عباد الله الصالحين السالمين المتينين عاطفة وفكرًا وحسًّا وشعورًا وإرادة، الثابتين القائمين على إعلاء كلمة الله، المنظّمين في حياتهم العلمية، الموثوقين في سلوكيات العمل، المستقرين في شخصياتهم، القادرين على دحر نوازعهم النفسانية، الموفقين إلى ارتفاق القلب والعقل.

فعلينا أن نواصل المسير في هذا التوجه المفقود والخط المضيّع، بتوفيق الله تعالى ومشيئته.

الهوامش

«١» مثل تركي يضرب لافتداء الرجل بنفسه من أجل غاية عزيزة، وغيره يستفيد، وربما للإصرار على بلوغ المنى بالمنايا، فإما الموت أو الأرب (المترجم).
«٢» من ديوان «الصفحات» للشاعر محمد عاكف، ص ٤٢٠، وهذه ترجمة من التركية (المترجم).

عن دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة

طرح شكيب أرسلان في مطلع القرن العشرين سؤالًا: لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟ وهو سؤال جوهري أجاب عنه في رسالة كتبها، وأجاب غيره عن السؤال نفسه، وبغض النظر عن قيمة الأجوبة فيجب أن يتغير السؤال في تقديري بعد مرور ما يقرب من قرن على سؤال شكيب أرسلان ليصبح: لماذا لم ننهض؟

د. غازي التوبة

من الجليّ الواضح أن النهضة لم تتحقق، مع أنها شغلت أحلام عدة أجيال من أبناء أمتنا، واستنزفت طاقات وجهود معظم قيادات الأمة، واستهلكت أوقاتًا ودماءً، ويتضح عدم تحقق النهضة في عدة مظاهر منها: الفشل في تحقيق الوحدة، والفشل في إقامة مجتمع صناعي، والفشل في تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي، والفشل في التحرر من التبعية والاستعمار، والفشل في تحقيق نهضة علمية، والفشل في مواجهة العدو الصهيوني في عدة حروب، والفشل في إلغاء أمية القراءة والكتابة التي بلغت أربعين في المائة إلخ... والسؤال الآن ثانية: لماذا لم ننهض؟ ولماذا فشلنا في تحقيق كل مظاهر النهضة؟

للإجابة عن السؤال السابق يجب أن يتجه البحث والتقصي والتدقيق إلى الفكر القومي العربي، لأنه هو الفكر الذي قاد المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، وهو الذي أصبح فكر القيادات النافذة والفاعلة في عدد من الأقطار العربية، وهو الذي قاد السياسة الإعلامية في المنطقة، وهو الذي رسم البرامج التربوية، وهو الذي خطط للبناء الاقتصادي، وهو الذي بنى المناهج العسكرية القتالية إلخ...، ويتأكد كل ذلك إذا علمنا أن هذا الفكر العربي هو الذي حكم منطقة بلاد الشام والعراق بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك بعد أن أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦، والتي تبنت الفكر القومي العربي في مواجهة الخلافة العثمانية والقومية التركية، وقد صاغ الملك فيصل دولة العراق صياغة قومية عربية، وقد ساعده في ذلك ساطع الحصري رائد القومية العربية وأبرز منظريها على الإطلاق في هذه الصياغة والبناء، فقد بنى ساطع الحصري المناهج التربوية والسياسية والإعلامية إلخ... ونظّر لترسيخ مفهوم القومية العربية في مواجهة الايديولوجية الدينية التي كانت سائدة من قبل، ولم يتوقف نفوذ الفكر القومي العربي عند العراق وبلاد الشام، لكن نطاقه اتسع بعد الحرب العالمية الثانية، فانتشر في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، وحل محل القومية الفرعونية التي حكمت مصر بعد الحرب العالمية الأولى من خلال حزب الوفد وسعد زغلول، ثم استطاع جمال عبدالناصر أن يوسع نطاق الفكر القومي العربي، فأصبح هو الفكر النافذ في اليمن وفي عدن وفي السودان وفي الجزائر وفي ليبيا إلخ...، إن هذا الاتساع في نطاق سيطرة الفكر القومي العربي جعله أكثر قدرة على تحقيق النهضة، لكنه فشل مع ذلك، فلماذا كان هذا الفشل؟ يجب أن يتجه التدقيق والتمحيص والتبيين إلى مضمون الفكر القومي العربي، وبنيته، ومحتواه، وعناصره الداخلية، ولكن قبل القيام بذلك أود أن أبرز ملاحظتين هما:

الأولى: أن الأهداف التي وضعتها الأمة من أجل تحقيق النهضة من مثل: الوحدة، وبناء المجتمع الصناعي، وتحقيق التحرر والاستقلال والتخلص من التبعية، وبناء جيوش قوية، وتحقيق نهضة علمية إلخ... كلها **أهداف واقعية وسليمة وممكنة التحقيق**، وليس كما يدّعي بعض المغرضين والمنهزمين أمام الغرب بأنها أهداف خيالية، وأنها أوهام، وأننا كنا نركض وراء سراب واضغاث أحلام، لذلك علينا أن نتخلى عنها ونعود إلى القطرية، وإلى الاستسلام إلى الغرب واسرائيل إلخ... لا أرى ذلك ولا أرى القصور في الأهداف التي رسمتها الأمة، لكن القصور في مضمون الفكر القومي العربي الذي حاول تحقيق هذه الأهداف، وهو ما سنبينه بعد قليل.

الثانية: يقرن أصحاب التيار القومي العروبة بالقومية العربية ويقولون إنهما صنوان، وهم عروبيون وقوميون عرب في الوقت نفسه، وأنهم في تبنيهم القومية العربية يحمون العروبة من أعدائها كالقوميين الأتراك، والحقيقة ان القومية العربية غير العروبة، فالقومية العربية ايديولوجيا حديثة منقولة عن الغرب، والعروبة إرث ثقافي ينبني علي أمرين هما: الجنس العربي، واللغة العربية، وهذه العروبة بهذا التحديد كانت لصيقة بالإسلام، ووضعها متين وقوي، ولا خطر عليها، وكل ما حصل في التاريخ كان بعض التشويش من قبل الشعوبية، لكن أمكن حصره والتغلب عليه.

والآن لننتقل إلى التدقيق في بنية الفكر القومي العربي وفي المحتوى الايديولوجي للقومية العربية، لأنها هي التي تتحمل المسؤولية الكبرى- في تقديري- عن فشل النهضة فماذا نجد؟

أولا: نجد أن الفكر القومي العربي انطلق من أجل تحديد العوامل التي بنت الأمة من المقايسة والمشابهة بين أمتنا والأمة الألمانية، وأسقط الوضع الألماني على وضع أمتنا، ولم ينطلق من التحليل العضوي الداخلي لأحوال هذه الأمة

باحث أكاديمي

للتوصل إلى العوامل التي بنتها، فساطع الحصري رائد الفكر القومي العربي والذي يعتبر المنظر الرئيسي لهذا الفكر، والأغزر انتاجًا، حدد العوامل التي بنت الأمة العربية التي تقطن- الآن- من المغرب إلى الخليج بعاملين، هما: اللغة والتاريخ، وهو عندما فعل ذلك انطلق من المشابهة بين الأمة الألمانية والأمة العربية، وقاس وضع الأمة العربية المجزأ على وضع الأمة الألمانية في القرن التاسع عشر، ووجد تشابها بين عراقة اللغة الألمانية واللغة العربية ورسوخهما في شعبيهما، كما نظر إلى عمق التاريخ في الشعبين، فتوصل إلى أن الأمة العربية مثل الأمة الألمانية تقوم على عنصري اللغة والتاريخ، وأن المشكلة الكبرى التي تواجه الأمة العربية هي التجزئة كما أنها هي المشكلة الكبرى التي واجهت ألمانيا في القرن التاسع عشر وتغلبت عليها بالتوصل إلى الوحدة من خلال مراحل تدريجية، فساطع الحصري انطلق من المقايسة والمشابهة بين الأمتين الألمانية والعربية، ولم ينطلق من دراسة واقع الأمة العربية من أجل تحديد العوامل التي بنتها، فلم يحلل الواقع بما يشتمل عليه من أخلاق ومواجد وعواطف واشواق وأذواق وتطلعات وبناء نفسي وعقلي إلخ... فلو حلّل هذا الواقع لتوصل إلى العوامل الموضوعية التي بنت الأمة، لكنه لم يفعل شيئًا من ذلك.

ثانيًا: لا يستطيع الفكر القومي العربي أن يفسر لنا من خلال عاملي اللغة والتاريخ الوحدة الثقافية في الأمة ولا وحدة العادات والتقاليد، ولا وحدة المشاعر، ولا وحدة الآمال، ولا وحدة الآلام، ولا وحدة

الأهداف التي وضعتها الأمة من أجل تحقيق النهضة أهداف سليمة وممكنة التحقيق

الأخلاق، ولا وحدة الخيال، ولا وحدة البناء النفسي، ولا وحدة البناء العقلي إلخ... ولم يقم ساطع الحصري ولا غيره من المفكرين القوميين بذلك أصلًا، ولا يمكن أن نفسر الوحدة في كل الأمور التي ذكرناها سابقًا إلا من خلال الدين الإسلامي بكل معطياته، ومن خلال المفردات التي قررها وتعاهدتها الأمة على مدار ما يزيد عن ألف سنة من مثل الإيمان بالإله الواحد الأحد ووجود الآخرة، والإيمان بعالم الغيب من ملائكة وشياطين، والحث على تزكية النفوس، والتوجيه إلى أكل الحلال، والابتعاد عن تناول الحرام، والأمر بالتطهر والعفاف، والابتعاد عن النجاسة والفجور، والتطلع إلى الآخرة، وفي الوقت نفسه التطلع إلى الدنيا والتمتع بالطيبات، ووجود السنة المشرفة التي تأمر بمكارم الأخلاق، وتقرر التميز بالعبادات والشعائر عن الآخرين، والإعلاء من شأن العقل والحث على التفكير، والأمر بالنظر إلى سنن التاريخ، والتوجيه إلى التعامل مع الحواس وعالم الشهادة وبأنه صنو عالم الغيب إلخ... إن تلك المفردات التي ذكرناها- وهناك عشرات لم نذكرها- هي التي يمكن أن تفسر لنا الوحدة الثقافية عند هذه الأمة، وغيرها من عوامل الوحدة، والتي لا يمكن ان تفسر إلا من خلال مفردات الدين الإسلامي وأفكاره وحقائقه وتوجيهاته وأوامره ونواهيه إلخ...

ثالثًا: اعتبر ساطع الحصري وغيره من المفكرين القوميين العرب أن عاملي اللغة والتاريخ هما العاملان الرئيسيان في تكوين الأمة العربية، فقد اعتبر ساطع الحصري «أن اللغة تكوّن روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكوّن ذاكرة الأمة وشعورها»، ولكن السؤال الذي يرد: ما دور

الدين الإسلامي في جعل هذين العنصرين بهذا التأثير في الأمة العربية؟

من الواضح أن القرآن الكريم هو الذي حفظ اللغة العربية، فقد كانت هناك عدة لهجات عربية في الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم، وكان يمكن أن تتطور كل لهجة لتكون لغة مستقلة، وبالتالي كان يمكن أن تنشأ لغات عدة في الجزيرة العربية نتيجة وجود اللهجات المختلفة للقبائل، لكن القرآن الكريم عندما كتب بلسان قريش، جعل الديمومة والهيمنة لهذه اللهجة على غيرها من اللهجات مما أنشأ لغة عربية واحدة وقضى على إمكانية نشوء لغات عربية عدة، وقد أكد عثمان رضي الله عنه هذا المعنى عندما قال للرجال الذين نسخوا عدة نسخ من المصحف الذي كان عند حفصة بنت عمر زوج الرسول ﷺ وأرسلها إلى مختلف الأمصار، عندما قال لهم «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم» (صحيح البخاري).

ثم إن الرعاية التي رعاها المسلمون للعربية لغة القرآن الكريم كانت انطلاقًا من ظروف دينية، فعندما وضع أبوالأسود الدؤلي قواعد النحو، وأتم ذلك سيبويه في مصنفة «الكتاب»، وعندما نقط حروف العربية وشكلها كل من أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي، وعندما وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي أصول معاجم اللغة، وعندما جمع العلماء مفردات العربية ومعانيها في معاجم لغوية، إنما قاموا بكل هاتيك الأعمال من أجل خدمة القرآن الكريم من أن يدخله التحريف واللحن، ومن

أجل خدمة آيات القرآن الكريم لتفهم على الوجه الصحيح، ومما يؤكد الدافع الديني وراء تلك الخدمات الجلى التي قدمها أولئك الرجال النوابغ أن قسمًا كبيرًا منهم ليسوا عربًا وليس لسانهم العربية، إنما اهتموا بالعربية وأفرغوا جهودهم للمحافظة عليها وضبط ألفاظها انطلاقًا من دينهم وإسلامهم.

أما بالنسبة لوحدة التاريخ فقد ارتبط تاريخ الأمة العربية بتاريخ الإسلام بشكل كامل، فقد كانت وقائع نشأة الأمة مرتبطة بالصراع مع مشركي مكة والمدينة حول حقائق الإسلام، ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الرسول ﷺ بحروب مع مشركي الجزيرة العربية من أجل نشر الإسلام في الجزيرة العربية، ثم ارتبط بالفتوحات الكبيرة في عهد الخلفاء الراشدين من أجل نشر الإسلام في الدول المجاورة فكانت معارك اليرموك والقادسية ونهاوند وفتح مصر إلخ... ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة الأموية بالصراع مع الدولة الرومانية من أجل نشر الإسلام وتوسيع رقعة خلافته، ثم ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة العباسية في جانب كبير منه بمواجهة الحملات الصليبية التي استهدفت اقتلاع الإسلام وإعادة السيطرة المسيحية على بلاد الشام بشكل عام وعلى القدس بشكل خاص، لكن هذه الحملات فشلت بعد قتال استمر قرنين من الزمان اشتركت فيه كل دول وشعوب أوروبا، وقد ارتبط تاريخ الأمة في عهد الدولة المملوكية بالدفاع عن الإسلام في مواجهة الغزوة المغولية التي هدمت الجانب الشرقي من الخلافة الإسلامية.

ذلك جانب من الارتباط السياسي بين الدول التي قامت على مدار التاريخ الماضي وبين الإسلام، أما بقية جوانب التاريخ كالناحية العلمية والفنية والاجتماعية والاقتصادية إلخ... فهي مرتبطة بالإسلام أشد الارتباط، ولو اخذنا مثالا -العلوم-، لوجدنا أن العلوم الإسلامية المرتبطة بالقرآن والسنة كاللغة العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث كلها قامت لحفظ نصوص القرآن والحديث، ولفهم معناها، أما العلوم الأخرى كالفلك والجبر والرياضيات فنجد أن جانبًا كبيرًا منها مرتبط بالإسلام، فنجد أن علم الفلك وتقدمه قام من أجل تحديد قبلة المسجد، وتحديد أوقات الصلوات، ونجد أن علوم الجبر والرياضيات قامت من أجل المساعدة في حل مشكلات الميراث وتوزيع الإرث، وجباية الخراج، وتحديد أنصبة الزكاة ومقاديرها في مختلف المجالات الزراعية والتجارية إلخ... أما انبثاق التجريب الذي هو أصل العلوم جميعًا، والذي أخذته أوروبا من حضارتنا، فقد جاء نتيجة توجيه الإسلام إلى احترام الحواس واستخدامها في الحكم على الأشياء، وإلى الحث على التفكير، واحترام العقل فيما يتعلق بعالم الشهادة، أما انبثاق علم العمران الذي أصبح علم الاجتماع في أوروبا فقد جاء نتيجة حث الإسلام المسلمين على السير في الأرض ورؤية مصير الأمم الغابرة إلخ... أما الأمور الفنية كالتجويد والتفنن في الخط العربي فيعود في جانب كبير منه إلى موقف الإسلام من التصوير والتمثيل وتركيزه على الجانب العملي في حياة الفرد، أما الأمور الاجتماعية كوجود الأسرة، والترابط الاجتماعي الشديد، والحرص على الطهارة والعفاف إلخ... فقد جاء نتيجة تقديس مؤسسة الزواج في الدين الإسلامي، وتحريمه الزنا، والأمر بغض البصر، ونتيجة الحرص على ستر العورات إلخ... أما الأمور الاقتصادية في الأمة فهي مرتبطة بشكل أكيد بأحكام الزكاة والخراج وتحريم الربا والتطفيف والاحتكار وبأحكام الحث على العمل، وامتداح الكسب والتعفف عن السؤال، والحض على إعمار الأرض إلخ...

لا يستطيع الفكر القومي العربي أن يفسر لنا وحدة الأمة إلا من خلال الإسلام بكل متطلباته

الخلاصة: إن الدين الإسلامي هو الذي صاغ هذين العاملين ولا يمكن أن نفسر دورهما في إنشاء وحدة الأمة إلا من خلال الدين الإسلامي، وهو ما تجاهله ساطع الحصري حينًا، وأنكره حيناً آخر.

رابعًا: عندما استبعد الفكر القومي العربي الدين الإسلامي من عناصر بناء هذه الأمة كان فكراً فقيرًا معنويًا، وقد أشار إلى هذا المعنى د.محمد عابد الجابري في إحدى كتاباته، وقد سهل هذا الفقر المعنوي استجلاب الفكر القومي العربي لمضامين اخرى مثل الاشتراكية العلمية في بعض الأحيان، كما سهل غياب الفكر القومي العربي بصورة كاملة في أحيان أخرى، وأبرز مثال على ذلك حركة القوميين العرب التي بدأت متطرفة ومتشددة في توجهها القومي العربي، ثم أصبحت ماركسية بعد ذلك بشكل كامل حتى كدنا أن ننسى أنها ذات توجه قومي عربي في أصل نشأتها.

خامسًا: إن هذا الفقر المعنوي هو الذي جعل الفكر القومي في معظم مراحله نخبويًا، فالبعثيون الذي قادوا الانقلاب في العراق عام ١٩٦٨ كانو بضع عشرات، وكذلك القوميون العرب بعد أكثر من عقدين، وقس على ذلك بقية التجارب القومية، وربما كان الاستثناء الوحيد هو التجربة الناصرية في مصر، والسبب في ذلك أن الشعارات الوطنية مثل: الوحدة، والتحرير، ومقاومة الاستعمار، وبناء التصنيع إلخ... كانت هي الغالبة على طرح جمال عبدالناصر، وكان المضمون الفكري باهتًا محدود البروز، ويؤكد ذلك أن السادات استطاع أن يعود إلى مصر الفرعونية دون أن يجد أي رصيد فكري يقاومه، ويحول بينه وبين النجاح في ذلك، ويدل على أن الجماهير التي تبعت عبد الناصر لم تتبع مضمونا فكريا إنما تبعت شعارات طرحها، مما جعل السادات قادرًا على أن ينتقل إلى نقيض ما طرحه عبدالناصر، إلى القومية المصرية وإلى الرأسمالية، انقلابًا على القومية العربية والاشتراكية.

رأينا- فيما سبق - دور الفكر القومي العربي في إعاقة النهضة واسباب ذلك، ومن الواضح أنه يجب على أصحاب هذا الفكر وممثليه أن يعيدوا النظر في بنيته، والعوامل التي قام عليها إذا كانوا يرغبون في أن يكون لهذا الفكر دور في بناء الأمة ونهضتها في المراحل المقبلة.

لغة وأدب

الجذور الأدبية

من المتعارف عليه بين المهتمين بالمعاجم اللغوية ان المعجم العربي من أكبر معاجم اللغات الحية الرئيسية ان لم يكن أكبرها على الاطلاق، وذلك لأسباب موضوعية وذاتية تميزه عما سواه ليس المجال مجال بسطها هنا.

وإنما ما نجزم به هنا هو ان هذه الضخامة والغزارة والدقة والتنوع والتراكم الدلالي التي وسمت معجم العربية مكنت لغته من مطاوعة أدبائها في تصوير أدق ما تجيش به نفوسهم وإبراز أخفى ما يعتمل في صدورهم، فلكأنك وأنت تقرأ قصيدة ملتاع أو نصيحة واعظ أو خطبة حكيم أو مثل خبير -برغم تباعد الأيام- تهش في وجه قائلها أو تحييه بصوت مرتفع، وقد نسيت أن ما بين يديك هو أثر وليس عينا.

وإن هذا التراث الأدبي الزاخر ليس من القلة بحيث يعيينا تلمسه، بل هو من الكثرة التي تملأ المكتبات الورقية والضوئية (الالكترونية).

فما بالنا لا نحييه في مقرراتنا الدراسية بالقدر الكافي، ولا ننشره في وسائل اعلامنا المتنوعة لنصل حاضرنا بماضينا، ولا نتدارسه ونفخر به تدارس الأمم الأخرى لما اندثر أو كاد من تراثها الأدبي؟.

إن المجد الذي نبكيه ونحن إليه يشتاق هو أيضاً لملاقاتنا وإسنادنا ولكن بروحه هو ووجهه هو ولغته وآدابه.

المحرر

علي أحمد باكثير.. فاق أقرانه شاعراً وكاتباً

عبدالعزيز العسكر

قامة عالية في أدبنا العربي وتاريخنا الإسلامي، لمع نجمه على مدى ستين عامًا وفي أنحاء من العالم الإسلامي، أبرزها: حضرموت ومصر وإندونيسيا.

فلقي ترحيبا حينا من الزمن وعودي زمنًا آخر وعاش آمالًا وآلامًا، وعبر عن كل ذلك بتراث أدبي نفيس شعرًا ونثرًا، ذلك هو: علي أحمد باكثير، وهذه السطور المتواضعة تشير الى مواقف من حياته رحمه الله وروائع من تراثه المنشور.

ولد أديب العربية والرحالة الكبير علي أحمد باكثير في مدينة «سورابايا» بإندونيسيا سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م من أبوين حضرميين عربيين، ولما بلغ التاسعة من عمره أرسله والده إلى موطنه الأصلي في «حضرموت» ليتقن اللغة العربية وعلوم الدين، وظهر نبوغه في وقت مبكر، ونظم الشعر وهو في سن الثالثة عشرة، وأصدر سنة ١٣٥ هـ مجلة باسم «التهذيب» في حضرموت.

وتزوج في حضرموت مرتين ولكل زواج قصة مثيرة، فالأولى أحبها وتزوجها بعد فترة حب نزيه طريف طال به ومل من طول انتظار كان اثناءه يسافر الى إندونيسيا ويرجع ليسلي نفسه، ولكنه حقق مراده وتزوج عام ١٣٤٦هـ في مدينة «المكلا» وفي ذلك يقول:

حبيبة قلبي ما أرى العيش سائغًا
بدون ارتحالي نحوكم ووصولي
متى نلتقي يا هند في بلدة الهنا
ونبرد في ظل هناك ظليل
على عفة ما أن تزن بريبة
وفي مأمن من راقب وعذول
يشرف حبينا زواج مقدس
على خير دين.. دين خير رسول

ويشاء الله أن تمرض زوجته بعد إنجابها بنتًا واحدة ماتت غرقًا في بركة ماء، وتموت تلك الزوجة بعد زمن قصير من الزواج، وتزوج امرأة حضرمية لم يحبها فطلقها بعد فترة قصيرة من الزواج، وفي سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٤م سافر إلى مصر والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية وتخرج فيه سنة ١٣٥٩هـ- ١٩٣٩م.

عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية لمدة أربعة عشر عامًا.

وفي عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م حصل على الجنسية المصرية، وسافر الى فرنسا والاتحاد السوفييتي، والصومال والحبشة، ورحل الى الحجاز سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٣٢م فتنقل بين جدة ومكة والطائف، ونشأت له صداقات مع بعض أدبائها .

وفي عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م سافر الى العراق وشارك في مؤتمر الأدباء العرب في بغداد، ثم الى تركيا للتعرف على مدينة القسطنطينية، ثم سافر الى لندن، ثم زار عدن وحضرموت، موطنه الأصلي، وألقى أحاديث في التلفزيون وبعض المحاضرات ثم عاد الى القاهرة، ولكنه لقي مضايقات عنيفة ممن كان يخالفه في الفكر والتصورات ففكر في العودة إلى حضرموت، وقال قولته المشهورة «لأن اكون راعي غنم في حضرموت خير لي من هذا الصمت المميت»، على أن هذه المقولة تغيرت بعد أن وجد خصومه في مصر هم في حضرموت كذلك فقال: «لقد ذبحوني في كل العالم العربي حين ذبحوني هنا»، وعرض عليه وقتها تدريس الأدب العربي في جامعة «كمبردج» في بريطانيا، ولكن ذلك لم يتم اذ أصيب بأزمة قلبية كانت تعاوده في آخر أيامه إلى أن توفي في القاهرة في رمضان ١٣٨٩هـ الموافق ١٩٦٩/١١/١٠م، ودفن في مقبرة عائلة زوجته المصرية.. رحمه الله وغفر له.

ولقد ترك علي أحمد باكثير ثروة أدبية قيمة، ونبغ في النثر كما نبغ في الشعر، ومن كتبه ومؤلفاته:

أ- الروايات، ومنها: وإسلاماه- والثائر الأحمر- وليلة النهر- وسيرة شجاع.

ب- المسرحيات، ومنها: همام، والدكتور حازم، والدنيا فوضى، ومسمار جحا، والزعيم الأوحد، ومن مسرحياته ما استمد أحداثه من أحداث القضية الفلسطينية ومنها: شعب الله المختار، وإله اسرائيل، وشيلوك الجديد، والدودة والثعبان، ومن التاريخ: مسرحية عمر المختار، والفرعون الموعود، وأبو دلامة، ودار ابن لقمان، وزادت رواياته ومسرحياته المطبوعة على ثمان وثلاثين، ولايزال بعضها مخطوطًا.

ج- الشعر: طبع له دواوين شعر منها: أزهار الربى في شعر الصبا، وباكورة الشعر، والحجازيات، والعدنيات.

والناظر في شعر باكثير يحار في اختيار النماذج الرائعة لكثرتها وتنوعها وندرتها، على أن أجود شعره وأجمله، وهو ما يستشهد به على أصالة الشاعر وعلو همته، نماذج نذكر طرفًا منها.

لقد كان باكثير يرى أن البلاد العربية والإسلامية بلد واحد، والأديب الحق من

عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

يعيش آلام أمته وآمالها، ويذود عنها كلها ويسعى لرقيها وعزتها، وفي ذلك يقول:

وددت لو أني في فلسطين ثائر
لأهلي تنعاني الظبا لا القصائد
أو أنني في إسكندرونة شاهر
حسامي عليه من دم الوحش حاسد
وفي برقة أو في الجزائر قاصم
ظهور الأعادي والباترات رواعد
ثمانون مليون يباهون كلهم
بخير لغات الأرض والذكر شاهد

وفي مقطوعة أخرى يخاطب باكثير أفراد أمته وبلاده بخطاب الغيور المشفق مستنكرًا الخمول الذي يغلف حياتها، والكسل الذي يشل قواها فيقول:

يأيها الشعب الكريـ
ـم أما لموتك من نشور
مضت الدهور عليك في
ندم على أثر الدهور
هبت شعوب وارتقت
أمم وأنت على الحصير
متثاقل متثائب
كسلان أوهنه الفتور
فيك الجمود لقد تغلـ
ـغل للقلوب من الصدور
ومن القلوب إلى العقو
ل فلم يدع لك من شعور
أنت الأسير مكبلاً
بقيوده ويح الأسير
أسر العدو أخف من
أسر الجمود لدى البصير
هذا على الأجسام والثـ
ـاني على الأرواح نير

وحيما زار باكثير الحجاز ووطئت قدمه جزيرة العرب وأبصرت عينه مكة فرأى ما ينعم به الحجاج والعمار من أمن وطمأنينة، وما تعيشه الحجاز ونجد وغيرهما من سعادة في ظل حكم أسد الجزيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وأعجب بالملك عبدالعزيز وأحبه من أعماق قلبه، أحبه لا لأنه زعيم يطمع الناس في القرب منه لمصلحة شخصية، كلا، فما ذلك من شيم باكثير ولكنه أحب عبدالعزيز لأنه إمام صدع بكلمة التوحيد وبنى بلاده على نور من ربه، فكانت بلاده منبع النور وموضع القدوة وحصن العقيدة ودوحة الإسلام والسلام، وكان من غرر نظم باكثير في إعجابه بعبدالعزيز وثنائه عليه هذه الأبيات التي يسخر في مطلعها ممن جعل الدين طقوسًا شركية وأعمالاً وثنية ما أنزل الله بها من سلطان.. يقول باكثير:

هدم «السعودي» القباب فضج فيه الدين يجأر
وهل الديانة غير أبنية على الموتى تعمر؟!
فالاحتلال أخف من هدم القباب لمن تفكر
أسفًا عليها! لا على حرية الحرمين تقبر!
«عبدالعزيز» بسيفه سيعز الحرم المطهر
سيصونه من معتد ويحوطه من كل منكر
وسيطرد الأعداء منه بعسكر من خلف عسكر
من ذا يغالبه وطوع يمينه الأسد الغضنفر؟!

وفي قصيدة أخرى يخاطب بها الملك عبدالعزيز، وفيها يذكر فضل موحد الجزيرة في إعادة الناس الى صفاء العقيدة واستقامة السلوك وسلامة المنهج، يقول باكثير:

«عبدالعزيز» مجدد الـ
آمال في الزمن الأخير
ومطهر الحرمين من
بدع تناستها العصور
هي علة الإسلام أنـ
ذرنا بها الهادي البشير
وإذا تدلت أمة
تخذت علالتها القبور
تلهو بها عما تطلـ
ـبه نسيات الأمور

وحق لمن كان ذلك هدفه وتلك آماله أن ينجح ويظفر بالنصر المؤزر، والتأييد من المسلمين عامة، وأن يسعد برضا الله تعالى ثم بحب شعبه له يقول باكثير:

«عبدالعزيز» تهن بالنـ
ـعمى وبالملك الخطير
فلأنت ذخر في الخطو
ب وأنت في الظلمات نور
أنقذت مهد الدين من
خطر تهدده مبير
فحفظت مجد العرب منه
وكان منه على شفير
اضرب بسيفك من بغوا
وأذق لحومهم النسور
رأس الفساد قطعته
فلتقطع الذنب الأخير

ويفصح علي أحمد باكثير عن عميق حبه لعبدالعزيز وإخلاصه فيه فيقول:

واقبل فديت تحية
من شاعر حر الضمير
هجر الصبابة والتغزل فـ
ـي سوى الوطن الكبير
وطن العروبة من ربى
نجد إلى اليمن الغرير

وفي نداء الى إخوانه من المسلمين في إفريقيا بعد صلح تحقق في جيبوتي، ونظم في التهنئة به قصيدة في ستة وخمسين بيتًا.. في ذلك النداء تتجلى غيرة باكثير على العقيدة ودعوته لتنقيتها وينبه على خطر البدع والخرافات فيقول:

توبوا إلى هدي النبي وصحبه
تجدوه سهلًا واضحًا مطروقًا
وعقيدة السلف النقية إنها
أقوى وأقوم حجة وطريقا
واقضوا على البدع المضلة إنها
بدع هوت بالمسلمين سحيقًا
هي ضيعت أوطانهم هي مزقت
سلطانهم وكيانهم تمزيقا
والدين دين الله دين محمد
لا يعرف التابوت والصندوق
أنا لا أبالي إذ نصحت بني أبي
أدعيت ضدا أم دعيت صديقا

إذ قد علمت بأنهم من بعدها
سيصدقون مقالتي تصديقا

ويبلغ علي أحمد باكثير قمة السمو وعلو الهمة وبعد النظر في نظره لجهاد المسلمين في فلسطين ضد اليهود المحتلين، وذلك عندما يتحدث على لسان شهيد في سبيل الله يخاطب من يبكون لفقده:

فيم احتشادكم هذا لتأبيني
أنتم أحق بتأبين الورى دوني
فما الشهادة إلا ميتة كرمت
عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إني نزلت بدار الخلد في رغد
بين الخمائل فيها والرياحين
في جنة ما بها خوف ولا حزن
لولا رثاء لحال العرب يشجيني
قامت عليها وحوش البغي قاطبة
ومن ثعلبان ومن دب وتسنين
فما انتظاركم والحق حقكم
يعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكامًا في مجامعهم
بل استردوه قسرًا في الميادين
والمسلمون جميعًا من ورائكم
بإندونيسيا وباكستان والصين
لا تندبوني فإني لم أمت ضرعًا
فإن علمتم علي الذل فابكوني
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتي
فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم
وليث أيوب يرعاكم بحطين

ولفلسطين مكانة خاصة في نفس شاعرنا وفي شعره، فهو لا ينساها وإن لم يكن غرض شعره وصف الجهاد، فهو يخاطب الزعيم الاندونيسي ويشرح له مأساة الفلسطينين فيقول:

وفلسطين هل أطيق مقالاً
عن فلسطين أم أحير جوابا؟
كلماتي تموت بين لساني
ولهاتي تعثرًا واضطرابًا!
إن فيها هولًا وحر دم ينسا
ب فوق الأرض الحرام انسيابا
نزفته قحطان من قلبها الدا
مي فخطت به كتابًا عجابًا!
وفلسطين آه ويح فلسطين
تعاني على العذاب عذابًا
إن فيها أراملاً ويتامى
لا طعامًا يرونه أو شرابًا
حصد الموت كاسبيهم شيوخًا
وكهولًا وفتية وشبابًا
تركوهم لرحمة الله والإسـ
ـلام، واستقبلوا الردى الصخابا

هذا بعض ما قاله باكثير في شعره الإسلامي الأصيل، وقارئ شعره يجد ما يجد دارس حياته، فقد جمع إلى أصالة الخلق وسموه جودة الشعر وصدقه، والذي نحسبه أن الرجل لا يتحدث إلا عن طبع وسجية ولا يصف إلا سلوكًا يتحلى به وشيمًا طبع عليها.

وفي ذلك يقول لمن ينقد منهجه في الغزل وموقفه منه:

رب غاو يلومني في نشيدي
وهو لا ينتهي عن الفحشاء
ليس مني الفسوق تأباه في جسـ
ـمي دماء الجدود والآباء
ينهل الحسن من غرامي ولكن
هو صديان يلتظي من إبائي
كل حبي طهر وقدس وتسبيـ
ـح لربي وصيغة من دعاء

وفي قصيدة نظمها بإندونيسيا، يقول من قصيدة بعنوان «إلى بنات عباد المسيح» وهو يتحدث عن الحب بمنظوره هو لا بمنظور المتمردين والآداب:

أبنات عباد المسيح ترفقن
بمتيّم في حبكن مغالي
متمسك بالدين لولا دينه
لم يكترث في حبكن بغالي
نصبو لمرآكن ثم يصده
قول الإله فينثني في الحال

رحم الله علي أحمد باكثير وغفر له، وعسى أن يكون في هذه السطور إضاءة تحفز الهمم لقراءة أوسع لما خلفه باكثير من شعر ونثر لأن تراثه في ذلك يعد بحق من نفائس الأدب الحديث عند العرب، ولقد كانت معرفتي بهذا الأديب قبل أكثر من ثلاثة عقود من الزمن حيث كان من أول ما قرأت من قصص وروايات وأنا على كرسي الدراسة الثانوية «وا إسلاماه» لباكثير، وأعدت قراءاتها مرارًا لأنها تحكي مأساة طفلين كريمين سقط ملك آبائهم وبيعوا بيع الرقيق ولم أتمالك نفسي ساعة قراءتها أن ذرفت عيناي دموع الألم على ما صارت إليه حالهما.

ومن ذلك الحين وشغفي بتراث هذا الأديب وإعجابي به لا يفارقني، ولذا كنت أتابع ما يكتب عنه وما يخرج من دواوين، ومن آخرها ما يقوم به أخي د.محمد أبوبكر حميد من جمع لشعر باكثير ونثره وتحقيق ذلك، وفقه الله وأعانه ورحم شاعرنا رحمة واسعة.

مراجع

١- أحاديث علي أحمد باكثير، من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة، جمع وتقديم: د.محمد أبوبكر حميد - ط١ عام ١٤١٨هـ.
٢- الأعلام للزركلي ج٤.
٣- ديوان سحر عدن وفخر اليمن، تحقيق وتقديم د.محمد أبوبكر حميد، ط١ عام ١٤٢٩هـ.
٤- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تأليف: أحمد الجدع وحسني جرار ط٢، ١٤٠٥هـ.
٥- علي أحمد باكثير، حياته شعره الوطني والإسلامي، تأليف د.أحمد عبدالله السومحي.

الفاء الفصيحة

عبدالهادي صافي

في النحو العربي حروف وأدوات ذات معانٍ ودلالات مفيدة، وكل حرف من هذه الحروف والأدوات يؤدي معنى أو معاني كثيرة، وتسمى هذه الحروف حروف المعاني، وقد امتلأت كتب النحو بشرح هذه المعاني، ونذكر في هذا المجال كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام المصري (٧٠٨ - ٧٦١هـ) (١)، فقد قسمه قسمين كبيرين؛ قسمًا أفرده للحروف والأدوات التي تشبه مفاتيح البيان في لغتنا، ومضى يوضح وظائفها وطرق استخدامها، أما القسم الثاني فتحدث فيه عن أحكام الجملة وأقسامها المتنوعة. (٢)

وقد التمس ابن هشام شواهد كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي المحتج به، وهذه الحروف مثل حروف الجر والعطف والنداء والاستفهام والناسخة، ونعجب من كثرة هذه المعاني التي تفيدها، حتى قيل عن «حتى» إنها حتت عقول العلماء لما فيها من المعاني والتفريعات الكثيرة.

أريد هنا أن أقدم لمحة موجزة عن «الفاء» التي تفيد معنى العطف والترتيب والتعقيب والسببية، وتقع رابطة لجواب الشرط، وهناك فاء يسميها بعض النحاة «الفاء الفصيحة» وهي التي أقف عندها، وسميت هذه الفاء «الفصيحة» لأنها تفصح عن شرط مقدر غير ظاهر، وسياق الكلام يكشف وجوده، وحيثما جاءت الفاء بعد كلام يوحي بالشرط ويومئ اليه تكون هذه هي «الفاء الفصيحة».

وقد تعقبت في القرآن الكريم آيات وقعت الفاء فيها فصيحة أحددها على النحو التالي:

١- في قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران: ١٣٧)، والمعنى إن تشككتم بما حلّ بمن كان قبلكم فانظروا في الآثار الباقية التي تدل على عاقبتهم، والشرط أداته مقدران وليس ظاهرين.

٢- في سورة النساء جاء قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا. فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾ (النساء:٤٠-٤١)، والمراد بالآيتين، والله أعلم، إن تنكروا يوم الحساب وعدالة الله سبحانه فكيف تصنعون إن جئنا يوم القيامة من كل أمة بشهيد يشهد على أعمالكم، فالفاء في ﴿فكيف﴾ هي هنا الفصيحة.

٣- ونحو ذلك في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا. فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقا﴾ (النساء:٦١-٦٢)، ومعنى الآيتين، إن يعرض المنافقون عن الدعوة إلى حكم الله والرسول، فكيف يكون حالهم إذا أصابتهم المصائب بسبب ذنوبهم، أيبقون معرضين عنك؟! والشرط المقدر هو، إن يعرضوا ويصدوا فكيف يصنعون إذا حلّت عليهم المصائب والويلات بسبب إعراضهم وصدودهم عن حكم الله ورسوله.

٤- في سورة آل عمران ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ (آل عمران: ١٦٨)، جاء حول الآية في كتاب «إعراب القرآن وبيانه» للأستاذ محيي الدين الدرويش، رحمه الله، ما يلي: الجملة مستأنفة وقل فعل أمر والفاء هي الفصيحة، أي إذا صحت دعواكم فادرأوا عن انفسكم أي ادفعوا عن أنفسكم (٣).

وفي الشعر العربي شواهد كثيرة على الفاء الفصيحة التي تأتي بعد شرط مقدر تكون هي الرابطة، قال الشاعر:

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة
فكيف إذا خب المطي بنا عشرا

يريد الشاعر ان يقول: إني أشعر بالشوق والحنين إلى الأهل والاصحاب ولم يمض على سفري وفراقي الوطن سوى ليلة واحدة فماذا أصنع وكيف تكون شدة الشوق إذا طال هذا السفر وامتد هذا الفراق؟ فأرى أن الفاء في «كيف» التي جاءت في الشطر الثاني جاءت فصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر.

إن لغتنا العربية حافلة بهذه الكنوز اللغوية والنحوية، وبهذه الخصائص التي تنفرد بها عن سائر لغات العالم، وبطون كتب التراث تحتوي على جواهر هذه اللغة، وتنتظر من يستخرجها، ويعيد صياغتها بأسلوب عصري حديث وبمنهجية علمية جديدة.

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

مراجع

١- هو جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام المصري، ولد بالقاهرة، وبها توفي، وقد طارت شهرته بالعربية منذ حياته، فأقبل عليه الطلاب من كل فج يستفيدون من علمه ومباحثه النحوية، شوقي ضيف، المدارس النحوية ص ٣٤٦.
٢- شوقي ضيف، المدارس النحوية ص ٣٤٧.
٣- محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، المجلد الثاني ص ١٠٥.

اللغة العربية أصل اللغات وأقدمها

سيد الشوربجي

تحتل اللغة العربية مكانة بارزة بين لغات البشر، فقد اختصها الله تعالى من بين جميع اللغات بنزول القرآن بها، وجعلها وعاء لتعاليم دينه وأحكام شرعه، وجعلها اللغة الرسمية لدينه الخاتم الذي جاء لنفع البشرية في كل عصر ومصر.

وقد شغلت أولية اللغة أذهان كثير من علماء اللغة، فأي اللغات كان أولا؟، وما هي اللغة التي تكلم بها آدم أبو البشر وعلمه الله تعالى بها الأسماء؟

عقد الأستاذ العقاد في كتابه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب) بحثين خلص منهما إلى أن اللغة العربية أقدم اللغات، بل هي أصل اللغات جميعا مستدلا بعدة أمور منها:

بحث للشيخ (محمد أحمد مظهر) بمجلة الأديان التي تصدر بالانجليزية في الباكستان نشره تباعا تحت عنوان «العربية أم جميع اللغات» وسرد فيه مئات من الكلمات الأجنبية يحسبها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية، أو المعنوية، وقد وفق كل التوفيق في بعض هذه الكلمات، ولكنه أوغل جدا في التخريجات المتتابعة للوصول بالكلمة إلى جذرها العربي فيما يراه.

فهو يقول مثلا: إن كلمة الذرة (atom) (أتوم) معناها لا يتجزأ أو لا ينقطع، فهو على هذا مأخوذة من كلمة (قطم) العربية بمعنى قطع، لأن الهمزة الأولى زائدة بمعنى النفي في اليونانية، و(توم) هي (قطع) بعينها، إذا لاحظنا أن الأوروبيين يضعون التاء موضع الطاء.

ويقول إن كلمة (bit) في الانجليزية بمعنى قطع، وهي من مادة (بت) العربية.

ويقول إن كلمة (arrive) (أرايف) في الانجليزية بمعنى وصل الى المرفأ، فهي مأخوذة من (أرفأ) العربية بهذا المعنى.

ويقول إن كلمة (aspire) (أسبير) في الفرنسية بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية.

ويقول إن كلمة (captive) (كبتيف) بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكف العربية.

وعلى هذا النحو أجرى البحث المقابلة بين مئات من المفردات تتشابه بالحروف لإثبات جذورها العربية.

ومن الأدلة التي ساقها الأستاذ العقاد ليدلل على قدم اللغة العربية على كل اللغات اشتقاق أسماء الحيوان فيها، فإن اللغة التي ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها، تسبق اللغات التي تتلقى هذه الأسماء جامدة، أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها في أحاديث المتخاطبين بها، فأسماء الأسد، والكلب، والنسر، والصقر، والغراب، والفرس، والحمار، والبغل، والجمل، والخروف ....) وعشرات غيرها من أسماء الحيوان، هي كلمات ذات معنى يفهمه المتكلمون بها، ويطلقونه أحيانًا إطلاق الصفات عند المشابهة بين هذه الحيوانات، وبين غيرها في إحدى صفاتها، مثال ذلك:

- يقال أسد الكلب للصيد أغراه به، وأسد عليه اجترأ، وأسد بين القوم أفسد بينهم، ومعنى هذا على كل احتمال، أن العرب عرفوا هذا الحيوان، وهم يتكلمون بلغتهم هذه، ويستخدمونها للوصف أو للاشتقاق والمجاز.

- وكذلك معنى الكلب من العض، أو القبض، وسائر معاني التكالب وألفاظه.

- والنسر من الجرح والنقض والتمزيق لفظ أصيل في اللغة على الحقيقة أو على

باحث مصري

المجاز.

- والصقر من الحدة في الحرارة أو في الطعم أو في اللمس أصل صالح لإطلاقه على الطائر المسمى باسم الصقر أو الموصوف بهذه الصفة.

- والغراب من الغرابة حيث يعيش هذا الطائر ويتشاءم الناس بنعيقه في الأماكن التي هجرها سكانها وتخلفت بها البقايا التي يحوم عليها.

- والفرس من حدة النظر والاستعانة به على الافتراس، ويقابل هذا في اللغة الانجليزية اسماء كلها منقولة من غيرها او مقصورة في مسمياتها التي لا يعرض لها التصريف في لهجات الخطاب.

فالأسد (lion) من (ليو) leo اللاتينية، والحصان (horse) من (روس) ross الجرمانية، والحمار (آس) ass من (اسنس) اللاتينية التي يرجح أنها محرفة عن كلمة (أتان) السامية، وأكثر هذه الكلمات جامدة في أصولها التي نقلت عنها.

ثم يقول الأستاذ العقاد بعد هذا: «فلا حرج إذن من الحكم بسبق اللغة العربية لجميع اللغات.. ولا خلاف في دلالة أسماء الحيوان بألفاظها المشتقة على قدم اللغة العربية عند المقابلة بينها وبين اللغات الأوروبية من أقدم عهودها التاريخية». (١)

ونذكر في هذا المقام بعضا من مقال للدكتور مصطفى

اللغة العربية تستمد مكانتها من أن الله تعالى جعلها لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية لدينه الخاتم

محمود منشور بجريدة الأهرام المصرية تحت عنوان: «اللغة التي تكلم بها آدم»، ويعلق في المقال على كتاب عنوانه: «اللغة العربية أصل اللغات» وهو كتاب باللغة الانجليزية مؤلفته د. تحية عبدالعزيز اسماعيل استاذة متخصصة في علم اللغويات.

فيقول: ألفت نظر القارئ أولا أن يمر بعينيه على الجداول الملحقة، ويلاحظ الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والإنجليزية، وبين العربية واللاتينية، وبين العربية والهيروغليفية، وبين العربية والألمانية، وبين العربية والانجلوساكسونية، وبين العربية والفرنسية، وبين العربية والأوروبية القديمة... الخ، ليشهد هذا الشارع العربي المشترك الذي تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة، ويتساءل الكاتب: لماذا خرجت المؤلفة بهذه النتيجة القاطعة: أن اللغة العربية كانت الأصل والمنبع، وأن جميع اللغات الأخرى كانت روافد منها؟!

تقول المؤلفة في كتابها: إن السبب الأول هو سعة اللغة العربية وغناها، وضيق اللغات الأخرى ومقرها النسبي، فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوي فقط والسكسونية ألف جذر، بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوي.

يضاف الى هذه السعة سعة أخرى في التفعيل والاشتقاق والتركيب، ففي الانجليزية مثلا لفظ Tall بمعنى طويل، والتشابه بين الكلمتين في النطق واضح، ولكن نجد أن اللفظة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد (طال - يطول - طائل - طائلة - طويل - طويلة - ذو الطول - مستطيل ... الخ) بينما اللفظ الانجليزي Tall لا يخرج منه شيء، ونفس الملاحظة في لفظة أخرى مثل: (Good) جيد بالعربية، وكلاهما متشابه في النطق، ولكنا نجد ان كلمة جيد يخرج منها (الجود والجودة والاجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد.... الخ)، ولا نجد لفظ Good يخرج منه شيء، ثم نجد في اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطي اكثر من معنى بمجرد تكوين الوزن، فمثلا: (قاتل وقتيل) و(فيض وفيضان) و(رحيم ورحمن) و(رضى ورضوان) و(عنف وعنفوان)، نجد اختلافات في المعنى أحيانا تصل الى العكس كما في قاتل وقتيل، وهذا التلوين في الايقاع الوزني غير معروف في اللغات الأخرى، واذا احتاج الأمر لا يجد الانجليزي بدا من استخدام كلمتين مثل: (very) - (Good) للتعبير عن الجيد والأجود. (٢).

من خلال هذه النصوص يتبين مكانة اللغة العربية وأوليتها وتفردها بين اللغات الأخرى.

هوامش

١- عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص ١٤ وما بعدها، دار المعارف، مصر.

٢- جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١٦م.

أحكي لكم

د. إيمان الجوهري

اسمي فهمي عبدالستار.. على المعاش، يقولون إني حكيم ولي خبرة في الناس والحياة، عائلتي كبيرة جدًا لكني كنت منشغلاً عنهم بعملي، والآن قررت أن أزورهم.. أصبحت أحتاج إليهم بعدما أصبحت الدنيا فارغة من حولي..

وهأنذا أدق جرس أول باب..

فتحت منال الباب وصاحت بدهشة وفرح:

- عمي فهمي! أهلا وسهلا.
- كيف حالك يابنة أخي؟!
- بخير.. تفضل.

دخلت أتلفت حولي ثم قلت:

- أين عصام؟
- على وشك أن يأتي من عمله.

نظرت في ساعتي فلاحقتني قائلة:

لم يعد يأتي مبكرًا بعدما التحق بعمله الجديد.

لاحظت الوجوم على وجه منال ولم أعهدها كذلك، كانت دائما بشوشة مبتسمة الوجه، وخشيت أن تكون زيارتي هي السبب فقلت في اضطراب:

- يبدو أني حضرت في وقت غير مناسب؟

فردت مسرعة:

- لا يا عمي أنت تشرف في أي وقت.
- ولكني ألاحظ علامات الضيق على وجهك وأخشى أن تكون زيارتي هي السبب؟
- لا والله يا عمي، إنما هي مشكلة بيني وبين عصام.
- خيرا يا ابنتي
- رجعت قبل يومين من عملي متعبة جدًا بعد يوم طويل وشاق، فأعددت الطعام لزوجي وأولادي، وبعد الغذاء تمنيت أن أنام ولو ساعة واحدة، ولكن قبل أن يغمض لي جفن.. دخل علي زوجي ليوقظني ويطلب مني أن نذهب إلى والدته لمرضها.. كنت أتمنى أن يذهب هو للاطمئنان عليها أولا.. ثم أذهب أنا فيما بعد.. ولكني أردت أن أرضيه.. فأخذت فنجانا من القهوة لكي أستطيع أن أفتح عيني وأوقظ عقلي النائم.. وذهبت معه.. وعندما وصلنا.. وجدنا أخاه هناك، وهمس طالبا منه أن يقوم معه إلى الحجرة المجاورة، وطلب مني أن أظل مع والدته فأومأت له برأسي موافقة، جلست أقرأ في جريدة كانت على الكرسي المجاور، ونصف ساعة ثم أخرى ولم اسمع لزوجي صوتا، فقلت في نفسي أتصل به... فإذا محموله مغلق.. فانتظرت تحسبا أن يكون بين الأخوين حديث مهم.. خمس ساعات انتظار.. حتى فاض بي.. طرقت الباب فلم يجبني أحد.. اشتد بي الغضب، فانصرفت إلى بيتي، ومن شدة الغيظ والتعب لم أستطع النوم، وعندما شعرت به يفتح الباب وضعت الوسادة على رأسي ولم أجبه عندما ناداني.. كنت أشعر أني لا أطيق أن أسمع صوته وخشيت أن انفعل بكلام لا ينبغي أن أقوله.

نظرت إليها ثم أسندت ذقني على يدي أفكر فيما قالت ثم سألتها:

-وبم تفسرين ما حدث؟

- لا إجابة عندي سوى تعمده لإهمالي.
- هل سألته وطلبت منه تفسيرا لما فعل؟
- لا، لم أفعل.
- ولماذا؟

سكتت منال ولم تجد ما ترد به، فاستكملت كلامي:

- يا منال كلما افتقدنا روح الحوار بيننا افتقدنا الكثير من المشاعر، ويدخل قلوبنا الجفاء والجمود، فلماذا لا نتعاتب حتى يعرف كل منا عذر الآخر؟

دق جرس الباب فقلت:

دعيني أفتح لعصام، أريد أن أفاجئه.

فتحت الباب ودخل عصام فاغرا فاه وهتف:

عم فهمي! أخيرًا ظهرت.

وعانقني بشدة وشوق.. قلت له:

كيف حالك يا بني؟

بخير.. الحمد لله.

قالت منال في حزم وجدية:

سأذهب لإعداد الطعام.

جلست مع عصام نتحدث في مواضيع شتى، وحاولت أن أخرج ما في جعبته، فقلت:

هيه.. كيف حال منال معك؟

في الحقيقة.. يا عمي إنها نعم الزوجة.. ولكن..

ولكن ماذا؟

حدث موقف منذ يومين لا أجد له تفسيرا.

خيرا؟

منذ يومين مرضت أمي.. فطلبت من منال أن نذهب لنطمئن عليها.. كنت أشعر بأنها متعبة وقدرت لها جهدها وشعرت بالرضا لمرافقتها لي.. بعد أن اطمأننت على أمي ورأيتها راحت في النوم أردت أن أنفرد بأخي لانشغالنا عن بعضنا منذ فترة طويلة.. فدخلت معه الحجرة وتحدثنا معا في أمور متنوعة، ولأني كنت مرهقا رحت في النوم دون أن أدري، وعندما استيقظت وجدت أخي يغط في نومه ولم أدر عدد الساعات التي نمتها.. أردت أن أعرف الساعة فبحثت عن المحمول فإذا هو مغلق، ويبدو أن شحن البطارية قد نفد، بحثت عن منال فلم أجدها ولم

أجد تفسيرا لانصرافها وحدها دون علمي، فغضبت وكانت ثورتي كالبركان.. وأحمد الله أنها كانت نائمة عندما ناديت عليها.

هل سألتها عن سبب انصرافها؟

-لا.

-قل لي يا عصام: ألم تفكر في احتمالات تبرر لك ما حدث؟

-لا، لم أفعل.. لم أجد مبررا.

-كم عدد الساعات التي نمتها؟

-حوالي خمس ساعات.

-ألا تعتقد ان خمس ساعات كثيرة؟

ربما.. لا.. فعلا كثير ولكن يجب عليها أن تطرق الباب وتدخل.. تتحدث معي.. تراني ماذا أفعل.. شيء من هذا القبيل..

ألم يخطر في بالك أنها بالفعل طرقت الباب ولأنك نائم لم تجب عليها؟

-ربما!

-إذن هناك احتمال للأعذار؟

سكت عصام بينما تابعت:

-اسألها يا بني واسمع منها، فالعتاب يزيل ما ترسبه المواقف في أعماقنا فتعود المشاعر للصفاء والنقاء.

أومأ عصام برأسه.. دخلت منال.. وقعت عيناها علي ثم على زوجها وقالت:

- الطعام جاهز يا عصام.. تفضل يا عمي.

قلت لها:

- لقد سبقتكما.. تفضلا أنتما.

نظرت إلي منال ثم إلى عصام، وكأنني أقول لهما هيا فلتبدآ.. فقالا في نفس واحد:

- أريد..

ضحكنا جميعا.. فقلت لهما:

- يجب أن أنصرف.

قالت منال:

- لم تجلس معنا إلا القليل.

- أعدكم بزيارة أخرى إن شاء الله.

انصرفت.. وأغلقت الباب ورائي تاركًا بابًا آخر مفتوحًا بين زوجين يصفيان قلبيهما بمصفاة التسامح والغفران.

يابن الشهيد

د. عبدالمنعم حسن

تبكي أباك بدمعك الهتان
وأبوك حيّ في حمى الرحمن
فرحُ بما آتاه ربك من رضا
مستبشر بمنازل الغفران
لقي الشهادة باسمًا لما رأى
روح الشهيد تزف للرضوان
والمسك من دمه يفوح أريجه
عبقا يعطر كالشذى الريحان
ومضى ليحيا عند ربك ناهلا
رزقًا وفيرًا في ظلال جنان
فلمَ البكاء على أبيك، وإنّه
في خير منزلة، وخير مكان؟
يابن الشهيد أراك تجترع الأسى
وتغوص في بحر بلا شطآن
وأرى الدموع بمقلتيك تفجرت
منهلا عليك سحائب الأحزان
يدك الصغيرة فوق عينك حاولت
مسح الدموع، فزلزلت وجداني
تبكي الذي كان الحياة جميعها
وتخاف تحياها بغير معاني
تبكي الذي كان الحنان ونبعه
وتخاف أن تحيا بغير حنان
تبكي الذي كان الأمان، وقد مضى
وتخاف أن تحيا بغير أمان
تبكي الذي كان العطاء جميعه
وتخاف أن تحيا على الحرمان
لا يا بنيّ.. أبوك خلّف ثروة
لك ضخمة تبقى على الأزمان
تترك البطولة والشجاعة والفدى
أغلى من الأموال والعقيان
لك أن تقول بملء فيك مفاخرًا
هذا الشهيد أبي.. فما أغناني!
يابن الشهيد، وكم بدمعك من أسى
قد مسني فتضاعفت أشجاني
كفّ الدموع، وسر على درب الذي
بالروح جاد بهمة وتفانِ
وُضِعَت على كتفيك شارات الفدى
وعلى جبينك أعظم التيجان

الحياة العلمية المعاصرة في دولة الكويت

كتاب «ثَبَت الكويت»

التحرير

هو الثَبَت الجامع لمجالس قراءة وسماع كتب الحديث في الكويت في الفترة (١٤٢٦-١٤٣٠هـ).

فنّ الأَثْبات

جرتْ عادة أهل الحديث على بذلهم الجهد في جمع أقصى ما يمكن جمعه من الإجازات والقراءات والسماعات من خلال رحلات مكثفة وموسّعة عبر مراكز العلم المنتشرة في الأقطار الإسلامية، ثم يعكفون في نهاية المطاف على تأليف أسماء شيوخهم، وتفاصيل إجازاتهم وأسانيدهم التي تحصّلوا عليها، وذلك نظرًا لأهمية ما تنطوي عليه من وثائق تاريخية قيّمة يجب الاحتفاظ بها، وأهل العلم المتقدِّمون كانوا يطلقون لفظة «المشيخة» و«المعجم» و«البرنامج» و«الثَّبَت» و«الفهرسة»، وفيما يلي عرضٌ لمعاني هذه الألفاظ والمصطلحات.

أولاً: الثبَت (بفتح الموحَّدة) ما يُثبت فيه المحدِّث مسموعاته، مع أسماء المشاركين له فيه؛ لأنه كالحجّة عند الشخص لسماعه وسماع غيره.

وعلى هذا فالثَّبَت كالفهرسة التي يجمع فيها المحدِّث مروياّته وأشياخه؛ كأنه أخذ من الحجّة؛ لأنّ أسانيده وشيوخه حجّة له.

ثانياً: المشيخة (بفتح الميم وكسرها وسكون الشين وفتح التّحتيّة وضمّها، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإسكان الياء) جمْع شَيْخ (بالفتح) وهو لغةً: مَن استبانت فيه السِّنّ وظهر عليه الشيب، ويطلق الشيخ مجازًا على المعلم والأستاذ لكبره وعظمته، ثمّ أُطلقت «المشيخة» على الكراريس التي يَجمع فيها العالِم شيوخَه.

ثالثاً: الفهرس هو الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخَه وأسانيده وما يتعلّق بذلك، أو هو كتابٌ تُذكر فيه الأعمال، وقد يكتب فيه أسماء الأشياء، وهي لغة المشارقة.

رابعاً: البرنامج (بفتح الموحّدة والميم، وقيل بكسر الميم، وقيل بكسرهما) الورقة الجامعة للحساب، أو هو: زِمامٌ يُرسَم فيه متاع التّجار وسَلَفُهُم، وأصله فارسيّ، وأهل الأندلس يستعملونه كثيرًا بمعنى الفهرسة.

شرف السَّماع والإسناد

إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمة وشرّفها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم- قديمها وحديثها- إسناد موصولٌ، إنّما هي صحفٌ في أيديهم، وقد خَلَطوا بكتبهم أخبارَهم؛ فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل و ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات.

قال ابن حزم رحمه الله: نقْل الثقة عن الثقة حتى يبلغَ به النبيّ ﷺ شيءٌ خُصّ به المسلمون دون جميع الملل والنحل، وهذه الأمة الشّريفة- زادها الله شرفا بنبيّها- إنما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشدّ البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأطول فالأطول مجالسةً لمن فوقه، فمن كان أقصر مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر، حتى يهذّبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه، ويعدُّوه عدًّا.

وكفى الرّاوي المنتظم في سلسلة الأسانيد شرفًا وفضلاً وجلالةً ونبلاً أنْ يكون اسمه منتظماً مع اسم المصطفى في طِرْس واحد، على رغم أنف الحاسد المعاند، وبقاء سلسلة الإسناد من شرف هذه الأمة المحمدية، واتصالها بنبيها خصوصية لها بين البرية.

وقد ثبت عند أهل هذا الفنّ أنه لا يتصدّى لإقراء كتب السنة والحديث قراءةَ دراية أو تبرّك ورواية إلاّ مَن أخذ أسانيد تلك الكتب عن أهلها، ممّن أتقن درايتها وروايتها، ورحل إلى البلدان فظفر بعوالي المرويّات، وباحَثَ الأقران؛ فأحاط بمدارك الدِّرايات، وجلس في مجالس الإملاءات على الرُّكَب، وتردّد إلى المشايخ بالخضوع والأدب.

ولأجل جلالة الحديث الشريف في نفوس العلماء، عُقدتْ مجالس الإملاء؛ فقيل إن مجلس يزيد بن هارون كان يحضره سبعون ألفًا، وهكذا تنافس من وفّقه الله من الأمراء والأعيان لرعاية مثل هذه المجالس، وأنشأ لها دور الحديث وأوقف عليها الأوقاف، واستقدم لأجلها المسنِدين وأكرمهم، خدمة للسنة ونشرا لها.

ثَبَت الكويت

لقد منّ الله تعالى على دولة الكويت منّةً عظيمة حيث شرّفها وأهلها لتحمِل مِشْعل

الكويت بهذا الثبت العملاق دخلت التاريخ العلمي الحديثي من بابه الواسع

رواية حديث النبيّ ﷺ؛ فقرئتْ بها الكتبُ السبعة، ومسند الإمام أحمد، وعشراتٌ من السّنن والمسانيد والأجزاء والكتب الفقهية وغيرها؛ قراءةَ رواية ودراية، وكان ذلك في ظرف زمنيّ لم يتجاوز الثّلاث سنوات تقريبًا، وانتفع بتلك السماعات والأسانيد خلقٌ من داخل الكويت وخارجها، رجالاً ونساء، شيبًا وشبانًا، وكانت فكرة سماع وقراءة كتب السّنّة من كرامات وفضائل دولة الكويت، وقد تبنّت الفكرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، التي أخذت على عاتقها تهيئة الأجواء العلمية والفنية والتنظيمية لهذا المشروع الحافل بالخيرات والحسنات، وتمّ لها ذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل القائمين عليه من طلبة العلم وبعض المحسنين من الكويت وخارجها؛ جُهدًا ومتابعةً وهمًّا، من أول لحظة إلى آخر نقطة من المشروع.

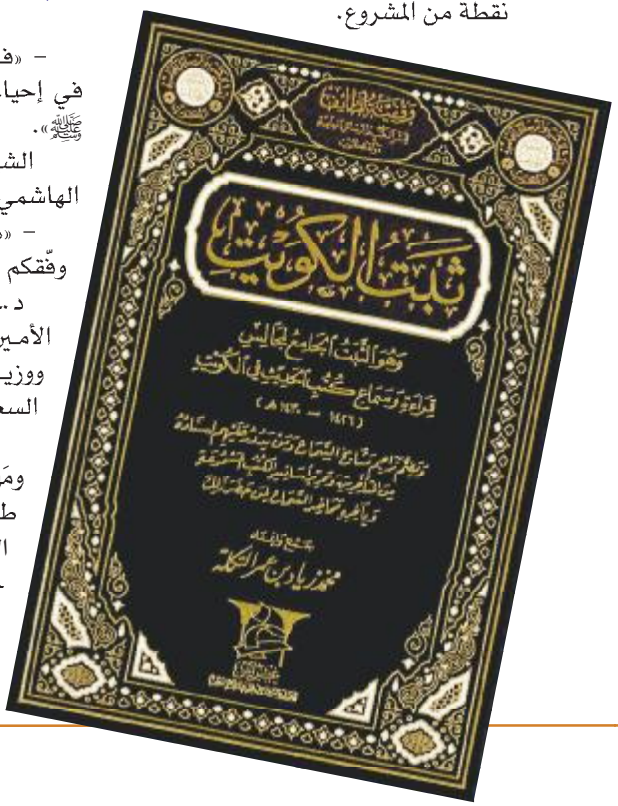

ومن أعظم المنافع المُحصّلة من تلك المجالس روايةُ كتب الحديث بأسانيد متصلة إلى رسول الله ﷺ، عن طريق كبار مسندي عصرنا، من الهند وباكستان والسودان واليمن والشام وغيرها، وقد كان يرحل في الحديث الواحد مسافات لا يعلم قدرها إلا الله تعالى، وبهذا الإنجاز اختُصرت على طلبة الحديث وعاشقي الأسانيد رِحلاتٌ ورحلاتٌ.

ولمّا كَثُرت إجازات هذه السماعات، وتوالت أسانيد هذه اللقاءات؛ نَشَأتْ فكرة هذه الثَّبت العظيم الذي يضمّ بين دفّتيه مقروءات ومسموعات دولة الكويت وأسماء مُسْنديها الأجلّاء وأسانيدهم، ومحاضر سماع كلّ مجلس منها، والتي كانت تسمى عند المتقدِّمين بـ «الطِّباق»، وأسماء الحاضرين فيها بالتفصيل، وتقييد كلّ ما يهم المتتبّع لأحوال الرّواة والسّامعين.

والكويت بهذا الثَّبت العملاق دخلت التاريخ العلميّ لأهل الحديث من بابه الواسع، وهي بهذا سبقتْ دول الخليج كافة، ودول العالم العربي والإسلاميّ كلّه في العصر الحاضر.

المجالس الحديثيّة الكويتيّة في عيون أهل العلم

- «فزتم وربّ الكعبة يا أهل الكويت في إحياء سنّة سماع أحاديث رسول الله ﷺ».

الشيخ المسنِد عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي.

- «هذه المجالس تُسامي كليةً كاملةً، وفّقكم الله تعالى وسدّد خطاكم».

د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ووزير الأوقاف في المملكة العربية السعودية سابقًا.

- «لتصيرنّ الكويت كعبة الطّلاب، ومَهوى الأحباب، ومنبعَ العلم لسنوات طويلة، فقد دخلت التاريخ من أوسع الأبواب، وسجّلت اسمها أنّها إحدى حواضر العلم في هذا العصر». د. صفوان داوودي،

فَلَقَدْ بَدَتْ أَرْضُ الكُوَيتِ مَسَرةً
لِلنّاظِرِينَ وَعُزْوةً لا تُفْصَمُ
لله مَجْلِسُكُمْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ
وَسَكِينَةٌ فِي جَانِبَيْهِ تُخَيِّمُ

من شعر عمر النشوقاتي الدمشقي في ختم جامع الترمذي.

ويمِّمْ إلى أرض الكويت فإنّها
بِلادٌ بِها مِن كلِّ شَهْمٍ وفاضِلِ
تجدْ مجلساً للعلْم قدْ صَارَ مَنْهَلاً
يَؤُمُّ لَهُ النُّزّاعُ بين القَبائِلِ
وأَكْرِمْ بِأَوْقَافِ الكُوَيْتِ فَإنّها
أَعَادَتْ رُسُومَ السَّالِفِينَ الأَوَائِلِ
أَعِذهُمُ إِلَهَ العَرْشِ مِن كَيْدِ حَاسِدٍ
وَصُنْهُمْ إِلَهِي مِنْ جَمِيعِ القَلاقِلِ

من شعر بدر بن طامي العتيبي.

محتويات الثَّبَت

١- مقدمة عن سماع مجالس الحديث.
٢- تراجم الشيوخ المسندين.
٣- تراجم مَن عليهم مدار الأسانيد.
٤- تحرير أسانيد الكتب المقروءة.
٥- صُوَر جميع محاضر السّماع المذكورة في الكتاب (ومحضر السماع أوالطِّباق: أوراقٌ إداريّةٌ موثّقةٌ، يُقيّد فيها وقائع المجالس، ويُثْبَت فيها أسماء مَن حضر جميع السماع بلا فوت، ومَن فاته شيء يسيرٌ منه، ومن فاته الكثير، وتسجيل بداية ونهاية ومكان السّماع، وعلى مَن قُرئ، ونصّ الإجازة ورجال الإسناد، وذلك بدقة فائقة).
٦- صُوَر توثيقيّةٌ للمشايخ ولكثير من الحضور.

فهارس الثَّبَت

احتوى الثَّبَت فهارس متنوعة، وهي:
١- فهرس الأعلام المترجم لهم.
٢- فهرس الكتب المقروءة في المجالس.
٣- فهرس الموضوعات.

الشيوخ المُسْمِعون المترجَم لهم

١- الشيخ عبدالقيوم الرحماني البستوي.
٢- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل.
٣- الشيخ محمد إسرائيل بن محمد إبراهيم السلفي الندوي.
٤- الشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق

الهاشمي.
٥- الشيخ ثناء الله بن عيسى خان المدني.
٦- الشيخ مساعد البشير الحسيني.
٧- الشيخ محمد بن علي المنصور.
٨- الشيخ محمد قاسم الوشلي.
٩- الشيخ غلام الله بن رحمة الله البشاوري.
١٠- الشيخ إسماعيل بن محمد بدران الدوماني.
١١- الشيخ أنيس الرحمن الأعظمي.
١٢- الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب الأهدل.
١٣- الشيخ عبدالسلام بن أبي أسلم المدني.
١٤- الشيخ عبدالرحمن بن محمد شفيع الليثي.
١٥- الشيخ عبدالرشيد بن عبدالسلام البستوي.
١٦- الشيخ كريِّم بن سعيد راجح.
١٧- الشيخ إرشاد الحق الأثري.

الشيوخ المترجَم لهم ممّن دارت عليهم أسانيد المتأخرين

١- الشيخ عبدالجبار الشكراوي.
٢- الشيخ عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي.
٣- الشيخ عبدالحكيم الجيروي.
٤- الشيخ عبدالله بن روشن دين الرُّوبري.
٥- الشيخ أحمد الله بن أمير الله القرشي البرتابكرهي الدهلوي.
٦- الشيخ علي بن ناصر أبووادي.
٧- الشيخ عبدالوهاب الملتاني.
٨- الشيخ محمد حسين البتالوي.
٩- الشيخ عبدالمنان الوزيرآبادي.
١٠- الشيخ عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي.
١١- الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني.
١٢- الشيخ نذير حسين الدهلوي.
١٣- الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الحسني.
١٤- الشيخ الشاه محمد إسحاق الدهلوي.
١٥- الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي.
١٦- الشيخ عبدالقادر بن ولي الله الدهلوي.
١٧- الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي.
١٨- الشيخ تاج الدين محمد بن عبدالمحسن القلعي.
١٩- الشيخ أبوطاهر محمد عبدالسميع الكوراني.
٢٠- الشيخ عبدالله بن سالم البصري.
٢١- الشيخ أحمد بن محمد النخلي.
٢٢- الشيخ حسن بن علي العجيمي.
٢٣- الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني.
٢٤- الشيخ عيسى الثعالبي المغربي.
٢٥- الشيخ محمد بن العلاء البابلي.
٢٦- الشيخ سالم بن محمد السنهوري.
٢٧- الشيخ النجم محمد بن أحمد الغيطي.

كرم الله أمتنا وشرفها بين الأمم بعلم الإسناد

الجهة النّاشرة للثَّبَت

هيّأ الله سبحانه بفضله ومِنّته لهذه الفكرة الوطنيّة العلميّة السامية أهلَ الخير الحريصين على نشر العلم وإذاعة فضائل هذا البلد الحبيب، واختصّتْ بفضل طباعة هذا الثَّبَت طباعةً فاخرةً «وقفيّةٌ لطائفْ لنشر الكتب والرّسائل العلميّة» لصاحبها أ. د.وليد بن عبدالله المنيّس، ويقع الثَّبَت مطبوعًا في ١٠٥٦ صفحة، مجلّد كبير فاخر.

ووقفيّةُ «لطائفْ» وقفيةٌ خيريةٌ تُعنى بنشر الكتب والرّسائل العلمية.

والثَّبَت من جمع وإعداد الباحث محمد زياد بن عمر التكلة جزاه الله خيراً

على ضفاف الاستقامة

علاء الدين حسن

إنَّ الثبات على الطاعة من أخلاق المؤمنين، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة الَّتي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون. نزلاً من غفور رحيم﴾ (فصّلت: ٣٠ - ٣١).

قالوا ربُّنا الله، أي وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، وأخلصوا العبادة له، وعلموا أن له الخلق والأمر، فأقرّوا بأنَّ الله هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق، وهو الرازق وحده، وما سواه مرزوق، وهو المالك وحده، وما سواه مملوك. وهذا هو أصل الدين وأساسه، ولأجل هذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب، فلا خضوع إلا لله، ولا انقياد إلا لله، ولا تسليم إلا لله، ولا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا من الله، ولا تفويض إلا إلى الله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله .. هو الواحد المتفرد بأسماء الجلال وصفات الكمال، لا ندَّ له، ولا ضدَّ له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فلابدَّ من الولاء لله، ولابدَّ من الاستقامة على منهج الله.

باحث مصري

العاقبة الطيّبة

والعاقبة الطيبة للراسخين في الإيمان، المثابرين على العمل بطاعة الرحمن، فمن آمن بالله واستقام على طاعته، تنزلت عليه الملائكة عند المهمات الدنيوية بما يشرح صدره ويدفع عنه الهمَّ والحزن، وقالت له: لا تخف من الموت وما بعده، ولا تحزن على ما خلَّفتَ من أهل وولد، وأبشر بالجنة التي وعدك الله إيّاها، إكراماً من الله كما يكرم صاحب المنزل ضيفه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أولئك أصحاب الجنّة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (الأحقاف: ١٣ - ١٤)

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم» (١) .

أصل الاستقامة

وأصل الاستقامة استقامة القلب «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢) .

وأهم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح «اللسان»، وفي الحديث عن أحمد وغيره من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولن يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (٣).

وقال ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه » (٤).

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٥) .

اكتمال المحاسن

الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها خروج عن المعهودات، ومفارقة للعادات، ولأنها قيام بين يدي الله بصدق، فالاستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن.

الاستقامة: درجة قصوى في كمال المعارف والأحوال، وصفاء للقلب في الأقوال والأفعال، وتنزيه للعقائد من سفاسف الأهواء والضلال .

الاستقامة: أن تتبع الصراط المستقيم، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» (٦) ، ثم تلا قول الله ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون» (الأنعام : ١٥٣).

ومما يؤكد على أهمية الاستقامة، أن الله تعالى أمر بها نبيه المصطفى ﷺ، قال الله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾(هود: ١١٢).

الهوامش

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان- باب : جامع أوصاف الإسلام- رقم ٣٨، والترمذي في الزهد، باب : ما جاء في حفظ اللسان- رقم ٢٤١٢.
٢- البخاري: ٢٢/١، ومسلم : ٥٠/٥.
٣- رواه أحمد في مسنده- حديث رقم ٣١٣٨٩.
٤- رواه البخاري في صحيحه- حديث رقم ٦١١٣.
٥- ص البخاري- ك الأدب- ح رقم ٦٠١٨.
٦- رواه أحمد في مسنده برقم ٤٢٢٥.

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجوْدة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمّل وطول التدبّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنُّفوس من الخلل والتأثر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم.جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُساجَلة: أن يَسْتَقيَ ساقيان فيُخْرجُ كُل واحد منهما في سَجْله مثْل ما يُخرج الآخر، فأيُّهما نَكل فقد غُلب. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرجُ من الشّرَف مثْل ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجال».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخْملُهُمْ أقْبَح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجوْدة المحفوظ، وتجدُّد الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

د.الطاهر خذيري
ALmadani9@Gmail.com

بين القاضي أبي الطيب الطبريّ الشافعيّ وأبي الحسن الطالقاني الحنفيّ

في مسألة: «تقديم الكفارة على الحنث»

القاضي أبوالطيّب الطبريّ الشافعيّ هو كما في «الوافي بالوفيات: ٢٧٠/٥» طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عبدالله بن عمر، قال الخطيب البغداديّ: «كان شيخنا أبوالطيّب ورعًا، عاقلاً، عارفًا بالأصول والفروع، محقّقًا، حَسَن الخلق، صحيح المذهب، اختلفتُ إليه، وعلّقتُ عنه الفقه سنين»، وقال القاضي أبوبكر بن بكران الشامي: قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد عُمّر: لقد مُتّعت بجوارحك أيها الشيخ! فقال: ولم لا، وما عصيتُ الله بواحدة منها قطّ؟ أو كما قال:

وُلد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وتوفي سنة خمسين وأربعمائة عن مائة وسنتين، ولم يختلّ عقلُه، ولا تغيّر فهمُه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، وهو أحد الأعلام، وكان له قميصٌ وعمامةٌ بينه وبين أخيه، إذا خرج ذاك من البيت قعد هذا، وإذا خرج هذا قعد ذاك، ودخلوا عليه يومًا فوجدوه عُريانًا مؤتزرًا بمئزر، فاعتذر من العري وقال: نحن كما قال الشاعر:

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم
لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

وعليه قرأ الشيخ أبوإسحق الشيرازي، وقال في حقّه: «لم أر فيمَن رأيت أكمل اجتهادًا وأشدّ تحقيقًا وأجود نظرًا منه».

ومن طرائفه كما في «سير أعلام النبلاء:١٧/٦٦٩» أنه دفع خفًّا له إلى من يصلحه، فمَطَله، وبقي كلّما جاء، نَقَعه في الماء، وقال: الآن أصلحه؛ فلما طال ذلك عليه، قال: إنما دفعته إليك لتصلحه لا لتعلمه السباحة!

وأمّا أبوالحسن الطّالقانيّ الحنفيّ فلم أجد له ترجمة في الوقت الحاضر، ولعلّي أستدرك ذلك فيما يُستقبل.

سياق أجزاء من المساجلة كما في «طبقات الشافعية الكبرى لابن السّبكي:٥/ ٢٤»:

سئل القاضي أبوالحسن عن تقديم الكفارة على الحنث فأجاب بأن ذلك لا يجزئ، وهو مذهبُهم (أي مذهب الحنفيّة)، فسئل الدّليلَ؛ فاستدلّ بأنه أدّى الكفارة قبل وجوبها، وقبل وجود سبب وجوبها، فوجب ألاّ تجزئه، كما لو أخرج كفّارة الجماع بعد الصوم وقبل الجماع، وأخرج كفارة الطّيب واللّباس بعد الإحرام، وقبل ارتكاب أسبابها.

فكلّمه القاضي أبوالطيب ناصرًا جواز ذلك، كما هو مذهب الشافعي، وقال: لا أسلّم أنه لم يوجد سبب وجود الكفارة، فإنّ اليمين عندي سبب، فاليمينيّة مثبتةٌ في الحالين على هذا الأصل.

ثم إنّه يبطل بما إذا أخرج كفارة القتل بعد الجرح وقبل الموت، فإنّه أخرجها قبل وجوبها وقبل وجود سبب وجوبها ثم يجزئه.

أجاب القاضي أبوالحسن بأنّ اليمين يمنع الحنث، وما منع من السبب الذي تجب به الكفارة، لم يَجُزْ أن يكون سببًا لوجوبها، كالصوم والإحرام لما منعا السّبب الذي تجب عنده الكفارة من الوطء وغيره لم يجز أن يقال: إنّهما سببان في إيجابها، كذلك هاهنا مثله.

فقال أبوالطيب: لا أسلّم أنّ اليمين يمنع الحنث.

فقال أبوالحسن: الدليل عليه قوله عز وجلّ: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ (المائدة: ٨٩)، وهذا أمر بحفظ اليمين وترك الحنث، وعلى أنّ اليمين إنّما وضعت للمنع؛ لأن الإنسان إنما يقصد باليمين منْعَ نفسه من المحلوف عليه، فهو بمنزلة ما ذكرت من الصوم والإحرام في منع الجماع وغيره، ويدلّ على ذلك أنّ الكفارة وضعت لتغطية المآثم وتكفير الذنوب، واسمها يدل على ذلك، ولذلك قال النبي ﷺ: «الحدود كفارات لأهلها»، وإنما سمّاها كفارة لأنها تكفّر الذّنوب وتغطّيها، ومعلومٌ أنه لا يأثم في نفس

الأمر- أي في اليمين- فيحتاج إلى تغطية؛ لأنّ النبي ﷺ وأصحابه كانوا يحلفون، وروي أن النبي ﷺ قال: «والله لأغزونّ قريشا» وأعادها ثلاثا، ثم قال: «إن شاء الله تعالى» (سنن أبي داود)، ونحن نعلم أنه لا يجوز في صفته ﷺ وصفة أصحابه أن يقصدوا إلى ما يتعلق الإثم به إلى الكفارة، فثبت أنه لا إثم عليه في اليمين، وإذا لم يكن في اليمين إثمٌ، وَجَب أن يكون ما يتعلّق به من الكفارة موضوعة لتكفير الإثم المتعلّق بالحنث، وهذا يدلّ على أنه ممنوع من الحنث غير أنّ من جملة الأيمان ما نقضُها أولى من الوفاء بها، وذلك إذا حلف لا يصلّي فقد ابتُلي ببلاءين؛ بين أن يفي بيمينه فيأثم بترك الصلاة، وبين أن ينقض يمينه فيحنث فيأثم بالمخالفة، وللمخالفة بدل يرجع إليه، وليس لترك الصّلاة بدلٌ يرجع إليه.

وعلى هذا يدلّ قوله ﷺ: «مَن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفّر عن يمينه» (السنن الكبرى للبيهقي) فشرط في الحنث أن يكون فعْلُه خيرًا من تركه.

وأمّا النقض، فلا يلزمني؛ لأني قلت: لم يوجد سببُها، وهناك قد وُجِد سببها، وذلك أنّ الجرح سبب في إتلاف النفس، وهذا سبب الإثم، والكفارة وجبت لتكفير الذنب، وتغطية الإثم والجرح سبب الإثم، فإذا وجد جاز إخراج الكفارة.

فقال القاضي أبوالطيب: أمّا اليمين فلا يجوز أن تكون مانعة من المحلوف عليه، فلا يجوز أن تكون مُغيِّرة لحكمه، بل إذا كان الشيء مباحًا فهو بعد اليمين باقٍ على حكمه، وإن كان محظورًا فهو بعد اليمين باقٍ على حظره.

يُبيّن صحة هذا أنه لو حلف أنه لا يشرب الماء، لم يحرم عليه شرب الماء، ولم يتغيّر عن صفته في الإباحة، وكذلك لو حلف ليقتلنّ مسلمًا، لم يحلّ له قتله، ولم يتغير القتل عن صفة التحريم، وهذا لا أجد فيه خلافًا بين المسلمين، وعلى هذا يدل قول الله عز وجل ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك...﴾ (التحريم:١) ثم قال ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم...﴾ (التحريم: ٢)، فعاتبه الله على كلّ تحريم.

ويدل عليه أيضًا قوله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»، وهذا يدلّ على ما ذكرناه من أنّ اليمين لا تغيّر الشيء عن صفته في الإباحة والتحريم، ويبيّنُ صحّة هذا أن النبي ﷺ لمّا نزل قوله تعالى ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ كفّر عن يمينه، وروي أنه آلى من نسائه شهرًا ولم يحنث، فدل على أنّ الإباحة كانت باقية على صفتها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ فإنما أراد به الأمر بتقليل اليمين حفظًا، كما قال الشاعر:

قليلُ الألايا حافظٌ ليمينه
وإنْ بَدَرَتْ منه الأليّة برّت

ومعلومٌ أنه لم يرد حفظ اليمين من الحنث والمخالفة، لأن ذلك قد ذكره في المصراع الثاني فثبت أنه أراد بذلك التقليل.

وأمّا قوله: إنّ اليمين موضوعة للمنع فلا يجوز أن تكون سببًا لما يتعلق به الكفارة، فباطلٌ بما لو قال لامرأته: إن دخلت الدار أو كلّمت زيدًا فأنت طالق؛ فإنه قصد المنع بهذه اليمين من الدخول، ثم هي سببٌ فيما يتعلّق بها من الطلاق.

وهذا دليلٌ واضحٌ على أنّ اليمين هي السّبب؛ لأنها لو لم تكن سببًا في إيقاع الطلاق لما تعلّق الضمان عليهم، فلمّا أوجب الضّمان على شهود اليمين عُلِم أنّ اليمين كانت سببًا في إتلاف البضع، وإيقاع الطلاق، فانتقض ما ذكرتَ من الدليل.

وأمّا النقض فلازمٌ، وذلك أنّ الجرح لا يجوز أن يكون سببًا لإيجاب الكفارة، وإنما السبب في إيجابها فواتُ الروح، والذي يبين صحّة هذا هو أنّه لو جرحه ألف جراحة فاندملتْ؛ لم تجب عليه الكفارة، فثبت أنّ الكفارة تتعلّق بالقتل، وأنّ الجرح ليس بسبب ولا جزء من السبب، ثم جوّزنا إخراج الكفارة فدلّ على ما قلناه.

فأجاب القاضي أبوالحسن: أمّا قول القاضي الإمام- أدام الله تأييده: إنّ اليمين لا يُغيّر الشيء عن صفته في الإباحة، بل يبقى الشيء بعد اليمين على ما كان عليه قبل اليمين؛ فهو كما قال، واليمين لا تُثبت تحريمًا فيما لا يَحْرُم، ولكنها لا توجب منعًا، والشيء تارةً يكون المنعُ منه لتحريم عيْنه، كما نقول في الخمر والخنزير: إنه يمتنع بيعُهما لتحريم أعيانهما، وتارةً يمتنع منه لمعنى في غيره، كما يمنع من أكل مال الغير بحق ماله؛ لأنّ الشيء في نفسه غير محرّم، فكذلك هاهنا.

فداخله القاضي أبوالطيب وقال: يجب أن نقول إنه يأثم بشرب الماء كما يأثم بتناول مال الغير بغير إذنه. فقال: هكذا أقول؛ إنّه يأثم بشربه كما يأثم بتناول الغير.

وأمّا قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم...﴾ فهو الحجّة عليه؛ لأنّ الله تعالى أخبر أنه حرمها على نفسه، وهذا يدلّ على إثبات التحريم، وما ذكرناه من تأويل الآية وحمْلها على تقليل اليمين وتركها فهو خلاف الظاهر، وذلك أنّ الآية تقتضي حفْظَ يمين موجودة، وإذا حملناها على ما ذُكِر من تركَ اليمين كان ذلك حفظًا لمعنى غير موجود، فلا يكون ذلك حملا للفظ على غير ظاهره وحقيقته، ومراعاة الظاهر والحقيقة أولى.

وأمّا الشِّعْر فلا حجّة فيه؛ لأنّ الحفظ هناك أراد به الحفظ من الحنث والمخالفة.

وقوله: إنّ الحفظ من المخالفة والحنث قد عُلم من آخر البيت، لا يصح؛ لأنه إذا حمله على تقليل اليمين حُمل أيضًا على ما عُلم من أول البيت؛ لأنه قال: قليلُ الألايا؛ فقد تساوينا في الاحتجاج بالبيت، واشتركنا في الاستشهاد به على ما يدّعيه كلّ واحد منّا من المراد به.

وقوله: إنّ هذا يبطل بمسألة اليمين في الطلاق، فلا يلزم، وذلك أنّ السبب هناك هو اليمين؛ لأنّ الطلاق به يقع، ألا ترى أنّه يُفصح في اليمين بإيقاع الطلاق، فيقول: إن دخلت الدار فأنت طالق، وإنما دخل الشرط لتأخير الإيقاع لا لتغييره، ولذلك قالوا الشرط يؤخّر ولا يغيّر، فحين كان الطلاق واقعًا باليمين كانت هي السّبب فكان الضمان على شهودها، لأن الإيقاع حصل بشهادتهم، وأمّا في مسألتنا فاليمين ليس في لفظها ما يوجب الكفارة فلم يجز أن تكون سببا في إيجابها.

وما ذكرته من أنّ الكفارة تجب مع عدم المأثم وهو في قتل الخطأ، ويجب في اليمين على الناسي والمكره، وعندنا لا إثم على واحد منهما؛ فلا يصح، وذلك أنّ في هذه المواضع ما وجبتْ إلا لضربٍ من التفريط، وذلك أنّ الخاطئ هو الذي يرمي إلى غرض فيصيب رجلا فيقتله أو يرمي رجلا مشركًا، ثم يتبين أنه كان مسلمًا فتجب عليه الكفارة؛ لأنه قد اجترأ عليه بظنّه في هذه المواضع، وترك التحرّز في الرمي، وإذا أصاب مسلمًا فقتله عَلِمْنا أنه فرط وترك الاستظهار في الرمي؛ فكان إيجاب الكفارة لِما حصل من جهته من التفريط.

رحمةُ الله عليهما ورضوانُه

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالمًا طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسبُ إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د. محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مدينة «تِرمِذ»

مدينةُ «تِرمِذ» من أكبر مُدُن إقليم «ما وراء النَّهر»، وهي بكسر التاء والميم، وهذا هو المعروف المستفيض قديمًا وحديثًا، قال الإمام الذهبي «قال شيخنا أبوالفتح القشيري الحافظ: ترمذ، بالكسر، وهو المستفيضُ على الألسنة حتى يكون كالمتواتر» (١).

ونقل السمعانيُّ فيها ثلاثة أوجه، قال «والناسُ مختلفون في كيفيَّة هذه النسبة -أي: الترمذي- بعضُهم يقولون بفتح التاء... وبعضُهم يقولون بضَمِّها، وبعضُهم يقولون بكسرها، والمتداولُ على لسان أهل تلك البلدة- وكنتُ أقمتُ بها اثني عشر يوما- بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفُه قديمًا فيه كسرُ التاء والميم جميعًا، والذي يقولُه المتأنقون وأهلُ المعرفة بضمِّ التاء والميم، وكلٌّ واحدٍ يقول معنًى لما يدَّعيه» (٢).

والسمعانيُّ يؤكِّدُ اشتهارَها بكسر التاء والميم، إلا أنّ أهل البلدة أنفسَهم ينطقونها بفتح التاء، كما أكَّدَه في كلامه السابق.

و«ترمذ» من المدن الكبرى المطلَّة على نهر جيحون، وهي أجلُّ مدن ناحية «الصغانيان»، تقع شمال مضيق نهر جيحون (آمو) وهو آت من بلخ، بالقرب من ملتقى نهر «زاملَ» به.

قال البشّاري المقدسي (ت نحو٣٩٠هـ) «وترمذ هي أجَلُّ مدينة على جيحون، نظيفة طيبة، أحدُ العرصات، مفروشةُ أسواقُها بالآجرِّ، والماءُ يسطعُ جانبَيها، ويقلعُ المراكبَ إليها من كل جانب، وعليها حصنٌ، ولها قُهندُز (٣)، والجامعُ في الحصن، والقهندُزُ خارجٌ منه له باب، وللمدينة ثلاثةُ أبواب، ولها ربضٌ- وهو سور المدينة- وسُرادِقات، وهي أول المدائن من أعلى النهر...» (٤).

وقال ابنُ حوقل (ت ٥٨٠هـ) «وهي عامرةٌ آهلَةٌ، فُرْضَةٌ (٥) لتلك النواحي على جيحون، وأقربُ الجبال إليها على نحو مرحلة، وشربُهم من ماء جيحون، ونهر يجري من الصغانيان، يجري إلى جيحون من تحتها...» (٦).

وقال الحموي (ت ٦٢٦هـ) «وترمذ مدينةٌ مشهورةٌ من أمهات المدن، راكبةٌ على نهر جَيحون من جانبه الشرقيِّ، متَّصلةُ العمل بالصَّغانيَان، ولها قُهُندُز وربَضٌ يُحيطُ بها سور، وأسواقُها مفروشةٌ بالآجُر، ولهم شِرْبٌ يجري من الصغانيان؛ لأنَّ جيحون يستقلُّ عن شرب قُراهم...» (٧).

وكانت ترمذُ فُرْضَةَ التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان.

وفي سنة ٦١٧هـ دمَّر المغولُ مدينةَ ترمذ، ولم تُعمَر بعد، ثم أعيدَ بناؤها بالقرب من الأولى، قال ابنُ بطوطة- وقد زارها في القرن الثامن، سنة ٧٣٣هـ- وهو يذكر ما ارتكبه المغول «ثم فعل مثل ذلك في ترمذ، فخربت، ولم تعمر بعد، لكن بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ».

ولم يبقَ من «ترمذ» القديمة سوى الأطلال، أما المدينة الجديدةُ فقد استعادت مجدَها بسرعة، قال ابنُ بطوطة «ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ... وهي مدينةٌ كبيرةٌ حسنةُ العمارة والأسواق، تَخترقُها الأنهار، وبها البساتينُ الكثيرةُ والعنبُ، والسَّفرجلُ بها مُتناهي الطيب، واللحومُ بها كثيرةٌ، وكذلك الألبان، وأهلُها يَغسلون رؤوسَهم في الحمام باللَّبن عوضًا عن الطَّفْل» (٨).

وتقعُ «ترمذ» على خط ٣٧ شمالاً تقريبًا، وخط طول ٦٧ شرق غرينتش، ودخلت في الإسلام سنة ٧٠هـ، وكانت البوذيةُ هي السائدةُ فيها قبل الفتح الإسلامي، وكان بها اثنا عشر معبدًا ونحو ألف راهب (٩)، وكان ملكُ ترمذ يُلقَّب بـ«ترمذ شاه» (١٠).

وكان قد فتحها موسى بن عبدالله بن خازم سنة ٧٠هـ (٦٨٩م)، واستقلَّ بها موسى بنُ عبدالله عن حكم الدولة الأموية، ولكن ما لبث عثمانُ بنُ مسعود أن أخضعَها لسيادة الدولة الأموية، وذلك سنة ٨٥هـ عندما

أرسلَه المفضّلُ بنُ المهلّب بن أبي صفرة لاستعادتها من موسى بن عبدالله (١١).

وتقعُ ترمذ الآن في الجنوب الغربيِّ من جمهوريَّة «أوزبكستان»، على الضفَّة الشرقيَّة من نهر جيحون- وهذا النهر يُعرف الآن بـ«آمُوْ» (١٢)- مقابلَ النهر الآتي من مدينة «بلخ» الواقعة في شمال أفغانستان، ويربطُ بين البلدين جسرٌ جرى تجديدُه في هذه الأيام، والمدينةُ المقابلةُ لترمذ في أفغانستان هي مدينةُ «حيرتان».

وأشهرُ أعلام مدينة ترمذ هو الإمامُ الحافظُ محمدُ بنُ عيسى بن سَوْرَة التِّرمذي، ولد في حدود سنة عشر ومائتَين من الهجرة، وكان ضريرًا، أصيبَ بذلك في كِبَره- على الراجح- قال ابنُ كثير- رحمه الله- «والذي يظهَرُ من حال الترمذيِّ أنه إنما طرأ عليه العَمَى بعد أن رحَل وسمِعَ وكتبَ وذاكَرَ وناظَرَ وصَنَّف» (١٣).

بكَّرَ- رحمه الله- في طلب العلم، وأخذَ العلمَ من مشايخ بلده، ثم بدأ الرحلةَ إلى المراكز البعيدة عنه، فرحلَ إلى بخارى، ومرو، والري، والبصرة، والكوفة، والحجاز، وغيرها، والتقى بعدد كبير من المشايخ وروى عنهم، وأكثرُ مَن روى عنه في جامعه خمسةٌ، وهم- مرتَّبين حسب أكثرية الرواية عنهم- قتيبة بن سعيد البغلاني (ت ٢٤٠هـ)، ومحمد بن بشار الملَقَّب بـ«بُنْدار» (ت ٢٥٢هـ)، ومحمود بن غيلان العدوي (ت ٢٤٩هـ)، وهنّاد بن السري (ت ٢٤٣هـ)، وأحمد بن منيع (ت ٢٤٤هـ)، وهؤلاء أبرز شيوخه في رواية الحديث.

أمَّا شيوخُه في نقد الحديث وعلله، والذين لازمَهم وشهِدَ لهم بالإمامة، فهم ثلاثة، على رأسهم الإمام البخاريُّ- رحمه الله- ويليه الإمامان: أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، وأبوزرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي، قال الترمذيُّ «وما كان فيه- أي: جامعه- من ذكرِ العلَل في الأحاديث والرجال والتاريخ؛ فهو ما استَخْرَجتُه من

خريطة توضح موقع مدينة ترمذ اليوم

كتب التاريخ، وأكثرُ ذلك ما ناظرتُ به محمدَ بنَ إسماعيل، ومنه ما ناظرتُ به عبدالله بنَ عبدالرحمن وأبا زرعة، وأكثرُ ذلك عن محمد، وأقلُّ شيءٍ فيه عن عبدالله وأبي زرعة، ولم أرَ أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلَل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبيرَ أحد أعلمَ من محمد بن إسماعيل» (١٤).

ويُعدُّ الإمام الترمذيُّ تلميذَ الإمام البخاريِّ وإن شاركَه في بعض شيوخه؛ مثل قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وابن بشار، وغيرهم (١٥)، وقد تأثر بالبخاريِّ في الحديث روايةً ودرايةً، وتأثُّرُه به من الناحية الفقهية واضحٌ في تراجم أبواب جامعه، التي صاغَها بناءً على استنباطاته أو على ترجيحاته الفقهيَّة، تمامًا كصنيع البخاريِّ في صحيحه، وإن كان شيخُه البخاري أغوصَ منه وأعمق استنباطًا، والذي اشتُهِرَ به.

وقد ألَّفَ الترمذيُّ كتبًا كثيرةً في الحديث، أشهرُها جامعُه المعروفُ بجامع الترمذي، الذي هو أحدُ الكتب الستة، ويتميَّزُ باهتمامه بالجانب الفقهيِّ وذكرِ أقوال أئمة أهل الحديث الفقهاء حول المسائل التي يبوِّب لها ويوردُ الأحاديثَ تحتها.

قال ابنُ الأثير في بيان مزايا هذا الكتاب «كتابُ الترمذيِّ أحسنُ الكتب وأكثرُها فائدةً وأحسنُها ترتيبًا، وأقلُّها تكرارًا، وفيه ما ليس في غيره، من ذكرِ المذاهب ووجوهِ الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث، من الصحيح والحسن والغريب... وفيه جرحٌ وتعديلٌ، وفي آخره كتابُ العلل، وقد جمعَ فيه فوائدَ حسنة» (١٦).

أثنى على الإمام الترمذيِّ أئمةٌ كثيرون، من ذلك (١٧) ما قاله أبوسعيد الإدريسي «محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ الضرير أحدُ الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث، صنَّفَ كتابَ الجامع، والتواريخ، والعلل، تصنيفَ رجلٍ عالمٍ متقن، كان يُضربُ به المثلُ في الحفظ».

وقال الحافظُ عمرُ بنُ علّك «ماتَ محمدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ ولم يُخَلِّف بخراسان مثلَ أبي عيسى في العلم والورع، بكى حتى عمي».

تُوفي الإمامُ الترمذيُّ ليلة الاثنين في الثالث عشر من رجب، سنة تسع وسبعين، بقرية «بُوغ»، وهي من قرى «ترمذ» على ستة فراسخ منها.

الهوامش

١- «سير أعلام النبلاء» (٣١/ ٣٧٣-٣٧٤).
٢- «الأنساب» للسمعاني (٤٥٩/١).
٣- «القهندُز» لفظةٌ فارسيةٌ تعني القلعة العتيقة، وأصبحت علَمًا على قلاع المدن.
٤- «أحسن التقاسيم» للمقدسي (ص/٢٩١).
٥- الفُرْضَة من النهر: ثُلمةٌ يُستقى منها، ومن البحر: محَطُّ السُّفُن.
٦- «صورة الأرض» لابن حوقل (ص/٤٧٦).
٧- «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٤٠/١-٤٤١)
٨- قال الزبيدي في «تاج العروس»: «الطَّفْلُ بالفتح: الطِّينُ الأَصْفَرُ المعروفُ بمِصْرَ وتُصْبَغُ بها الثِّيابُ».
٩- انظر: «دائرة المعارف الإسلامية»، مادة «ترمذ».
١٠ - انظر: «المسالك والممالك» لابن خرّدَاذبَه (ص/٣٩).
١١- انظر: «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» للدكتور محمد علي البار (٥٢٥/٢-٥٢٦).
١٢- هذا النهرُ هو الفاصلُ بين أفغانستان وجمهوريات ثلاث من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وهي من الشرق إلى الغرب: طاجكستان، أوزبكستان، تركمانستان.
١٣- البداية والنهاية (٧٧/١١).
١٤- كتاب العلل للترمذي الملحق بآخر جامعه (٢٢٩/٦)- ط: د.بشار عواد
١٥- انظر: الأنساب للسمعاني (٤٥٩/١-٤٦٠).
١٦-جامع الأصول (١٩٣/١).
١٧- انظر: طبقات الحفاظ (٥٤/١)، التقييد لابن نقطة (٩٤/١)، تهذيب التهذيب (٣٨٩/٩).

المجدد الراحل فريد الأنصاري

أحمد عبدالجواد زايدة

كانت عناوين مقالاته المنشورة بمجلة حراء كفيلةً بلفت الانتباه وإثارة الشوق إلى قراءة ما يكتب- بل متابعته- وانتظاره بتلهف.

فالرجل أسلوبه أدبي بليغ، وأنفاس كتابته أنفاس قرآنية عميقة في الوجدان.. مؤثرة في الجنان، تأخذ بلباب القلب، ولها وقع عظيم في نفس القارئ.

لو أردت أن أصف العالمَ الجليلَ والداعيةَ القُرآني الأستاذَ الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- لَقُلت إنه «أصولي التفكير، رباني الروح، مقاصدي الرؤية، قرآني النظرة، بلاغي الأسلوب، جمالي التذوق، موسوعي البحث».

أنت بحق أمام أنموذج فريد من أهل «العالمية» المتحلين بصفاتها وخصالها، كما كتب هو -رحمه الله- عن «صفات العالمية .. من الكتاب إلى الربانية».

تتمركز رؤية الأستاذ الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- في أن واقع أزمة الأمة اليوم لم يعد نتاج فساد سياسي، وكذلك العمل من أجل حل هذه الأزمة لم يعد الأولوية للعمل السياسي والتدافع الحزبي.

تشخيص للأزمة

الدكتور الأنصاري - رحمه الله- يرى أن طبيعة التدافع الحضاري بين الأمة وخصومها قد دخلت مرحلة أخرى من تاريخها، مرحلة ذات اختلاف كمي ونوعي، حيث صار الرهان الغربي اليوم قائما على تدمير الفطرة الإنسانية في الأمة، بما يجعلها قابلة للابتلاع العولمي الجديد! في دينها وأخلاقها وقيمها الحضارية، وفي سياستها واقتصادها وعمرانها وسائر أنماط عيشها على الإجمال، إلا أن الخطر الجديد مع ذلك من الناحية الحضارية أشد، لأنه يستهدف الوجود الشخصاني للأمة، ويحاول اجتثاثه من أصله! بوسائل أكثر تدميرا وأشد تغييرا، ربما كان الأسلوب العسكري أقل قوة وأهون تأثيرا منها، وكذلك يرى أن مدار المعركة، والتحدي قائمان اليوم على تجرير الإنسان المُسلم- فردًا وأمة- من أغلال الاسترقاق العولمي، عقيدةً وثقافةً واجتماعًا واقتصادًا.

لقد فقد المُسلم اليوم كثيرًا من خصائصه الفطرية- بما فيها أنه عبد خالص لله- وكاد يصير جزءًا من منظومة الآخر الحضارية، لكن على شكل ذرة تافهة تدور على الهامش خادمًا غير مخدوم، ومستهلكًا غير منتج! ومفعولًا به غير فاعل... (الفطرية بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام).

منهج الحل (الدواء)

ويرى أن الحل إنما هو في استعادة الفطرية بما هي منهاج في العمل الدعوي، قائم أساسًا على أصول الفطرة، كما هي معروضة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما هي محاولة لاستعادة دور الوحي التربوي والاجتماعي في النفس وفي المجتمع، الوحي الذي قام منهاجه الشمولي على هدف أساس، ألا وهو تخريج نموذج «عبدالله» الذي هو مناط كل شيء في الدين والدعوة على ما يقتضيه «مقام العبدية» الخالصة لله، من توحيد لرب العالمين في الاعتقاد والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، وفي سائر مجالات العمران البشري.

ورؤيته- رحمه الله- قائمة على ثلاث مراحل، يتمثل فيها منهجه الذي يراه للخروج من هذا الكهف المظلم وتحطيم هذه الصخرة العاتية التي تسد فتحته.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة «عمران السلطان»، فهو البناء الكفيل بإخراج الإنسان القرآني، المشار إليه في قوله جل وعلا: ﴿إنما يعمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (التوبة: ١٨).

وليس المقصود بالسلطان عنصره البشري، ومرجعه الإنساني، كلا! فذلك هو المعنى الأول وقد سبق، وإنما المقصود به طبيعته العمرانية، وعمقه النظامي، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج:٤١)، وليس هذا إلا نتيجة للأول ومَن عَكَسهما فقد قلب المنهج.

والذي يجمع الأول والثاني، ليتم كمال العمران، هو «عمران الاستخلاف» الذي يشمل كل النشاط البشري، ويستوعب كل أبعاده الكونية، وهو المعبر عنه في القُرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هو أنشأكم

باحث شرعي

من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريبٌ مُجيبٌ﴾ (هود:٦١)، وقوله عزوجل: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ (البقرة:٣٠)، وقوله سبحانه: ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص:٢٦)، فقوله تعالى: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ (ص:٢٦) هو جزء من كل خلافته، وليس هو إياها. (بلاغ الرسالة القُرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق).

الفطَرية بعثة التجديد المقبلة

وفي إطار البحث عن الدواء لما حل بنا من داء أخرج- رحمه الله- كتابه قبل وفاته بعامين، بعد أن أخرج مشروعه «من القُرآن إلى العمران»، مُستلهمًا فيه روح التجربة «النورسية» بتركيا، مُقدمًا شبه مشروع تطبيقي، إذ إنه يرى أنّ المنهجية التي انطلقت من خلالها الحركة الإسلامية عقب سقوط الخلافة كانت لها ظروفها وسياقاتها الإقليمية والدولية، وكانت ظروف نشأتها مختلفة تمامًا، وكانت أهدافها ومقاصدها مرتبطة بشكل أو بآخر ببيئتها وظروف زمانها، حيث إنه في الوقت الذي كتب فيه الإمام البنا رسائله في عام ١٩٢٨ كان الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية هو الآخر بدأ في كتابة رسائل النور، وكل منهما له منهجيته التي أثر الواقع وظروفه وملابساته في تشكيل إفرازاتها ونتائجها.

المسلم اليوم فقد كثيراً من خصائصه الفطرية - فيها أنه عبد خالص لله

وهو يرى أن الحركة الإسلامية تحتاج إلى بعثة جديدة وتغيير في منهجيتها التي تنتهجها، لأن المعركة الحضارية أصبحت مختلفة تمامًا بكل أبعادها، ولم تعد سياسية على الإطلاق، فهو كما يرى أن الحرب الحضارية اليوم عالمية بكل ما للكلمة من معنى، وقطار التاريخ ينطلق بقوة نحو المستقبل، والعولمة في نهاية المطاف حصان، والحصان لمن يركبه، وإننا على يقين من أن الدعوة الإسلامية اليوم إذا دخلت هذه المعركة بشروطها الإيمانية، وبتميزها الحضاري، وهويتها الإسلامية الصافية، فإنها بإذن الله تنتج عولمتها الإيمانية عمرانًا حضاريًا جديدًا، وأمنًا وسلامًا للعالمين، كل العالمين، وإن الفرس التي تقاتل اليوم في صف العدو يمكن أن تقاتل هي نفسها غدًا في صف الإيمان، وإنما القضية هي الفارس من هو؟ وما طبيعة الروح التي تسكنه؟... والناظر في قوى العمران البشري المتحكمة في نسيجه الاجتماعي العام يجد أنها ترجع إلى أربعة أسس هي التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة، غير أنها ليست جميعها على تساوٍ فيما بينها، بل تتميز الأسس الثلاثة الأوَل (التعليم والإعلام والاقتصاد) بكونها عملًا بنيويًا تحتيًا على المستوى القاعدي، بينما يتميز الأساس السياسي بكونه عملًا فوقيًا، وبينه وبين الثلاثة المذكورة علاقة جدلية قوية جدًا، أخذًا وعطاءً، ومن هنا كانت الأولوية الدعوية في المنهاج الفطري- باعتباره دعوة إسلامية تحتكم إلى سنة التدرج- إنما هي للعمل البنيوي التحتي، لكن طبعًا دون إغفال العمل الفوقي في علاقته الجدلية بالآخر.

ولذلك وجب أن تكون الأُسس الثلاثة الأول هي الميادين الرئيسة للعمل الدعوي في علاقته بالإنسان المتفاعل، إذ من سيطر عليها صنع السياسة، ومن سيطرت عليه صنعته السياسة! فتدخل الدعوة معركة التعليم بما أنه وظيفة نبوية رئيسة، وذلك من خلال الاشتغال بإنسان التعليم أساسًا، من التلميذ إلى المدرس، إلى أولياء التلاميذ وجمعياتهم، إلى المؤسسة التعليمية برمتها، المكلفة بهذا القطاع الحيوي الخطير، جهويًا ومركزيًا، تدخل ذلك كله داعيةً ومدافعةً ومُنافسةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسةً ومنتجةً، لكن على المستوى القاعدي دائما، وفي ذلك ما فيه من المكاسب الكبرى للإسلام ما لا يدانيه شيء آخر على الإطلاق.

كما تدخل الدعوة معركة الإعلام بما أنه ميدان للبلاغ الدعوي ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾ (إبراهيم:٥٢)، والإعلام هو ربيب التعليم، إذ هو عمل في الإنسان أيضا، وصناعة لعقله ووجدانه، إصلاحًا أو إفسادًا! وهنا تكمن أهميته وخطورته على المستوى الدعوي، ولذلك فهو مجال وجب أن تدخله الدعوة على الوزان الأول أيضا، أعني داعيةً ومدافعةً ومنافسةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسةً ومُنتجةً.

ثم تدخل الدعوة معركة الاقتصاد أيضًا، داعيةً ومدافعةً ومنافسةً، وتشتغل فيه وبه، ممارسة ومنتجة، وتخوض معركته تربيةً للمستهلك أولًا، ثم دعوةً وتكوينًا للمستثمر والمنتج ثانيًا، لإشاعة قيم الإسلام الاستهلاكية والإنتاجية على السواء، في اتجاه أفق السيطرة الدعوية الجزئية أو الكلية على الإنتاج الرئيسي، وعلى السوق، لكن دائمًا على مستوى العمل التربوي القاعدي، المشتغل بصناعة رجل الاقتصاد المؤمن، ورجل المال المؤمن، ورجل الأعمال المؤمن، أكثر من الاشتغال بسياسة الاقتصاد العامة، فإنما هذا يكون بذاك لا العكس، والرهان اليوم على إصلاح «إنسان المال»، الآخذ والمعطي سواء استهلاكًا، أو إنتاجًا.

وقد زاره بعض الكرام بمشفاه في رحلة علاجه الأخيره بتركيا فكان ما يردده لهم دائمًا أثناء الزيارة «أبشروا.. أبشروا.. فالخير آت.. الخير آت.. آت» ألا فليرحمك الله أيها الأنصاري الفريد. وأسأل الله أن يبلغك منازل الصديقين وأن يحشرك مع زمرة المتقين ممن كان القرآن منهاج حياتهم.

عبدالجليل الطبطبائي

(١٧٧٦ - ١٨٥٣م)

عدنان الرومي

ينتمي نسبه إلى الدوحة النبوية الهاشمية، فهو السيد عبدالجليل بن السيد ياسين البصري بن السيد إبراهيم بن السيد طه بن السيد خليل بن السيد محمد صفي الدين، يتصل نسبه إلى السيد إبراهيم الملقب طباطبا بن السيد اسماعيل الملقب بالديباج بن السيد إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد تغنى أحد الشعراء بهذا النسب وافتخر به في شعره.

إنـي لمـن معـشـر غـر غـطـارفـة
من كل ثقف جواد بالكمال ملى
إذا ازدرانـي جهـول لا أرى عجبًا
إذ غربة الدار تذوي زهرة الرجل

وقوله:

كأني لم أرث يومًا فصاحة أحمد
وليس الذكا لي من لؤي بن غالب

مولده ونشأته

ولد الشيخ الطبطبائي في البصرة سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، وعلى هذا أجمعت المصادر التي بين أيدينا، سوى كاتب مقدمة ديوانه الذي طبع على نفقة حاكم قطر، حيث اعتبره قطريا (مولود في قرية الزبارة) في قطر، كما اعتبر الشيخ شاعرًا من شعراء بادية قطر التي عاش فيها ردحا من الزمن، وتزوج فيها زوجة أحبها وأحبته- على حد تعبيره- ثم نزح من الزبارة بعد الاعتداء عليها عن طريق البحر.

وهذ خطأ واضح، فالشيخ نشأ في البصرة فترة ريعان الشباب، وتربى على يدي والده إبان طفولته المبكرة، وكان والده عالمًا جليلًا ومحدثًا وأحد فقهاء عصره.

في عام ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م ارتحل بأهله منها إلى البحرين مع من ارتحل من أعيانها بعد ما أمست معالمها خرابًا وأطلالًا.

انتقاله إلى الكويت

وفي عام ١٢٥٨ هـ -١٨٤٢م انتقل من البحرين إلى الكويت حينما دب الشقاق بين أمراء البحرين، فسكن الكويت واستقر بها سنة، وفي الكويت وجد مأمنه، وكشف عن ذلك برسالة بعث بها إلى أحمد السديري أمير الإحساء، وقد جاء فيها قوله «فاني - أحمد الله- بخير، وقد ألقيت عصا الترحال، وذلك بعدما أوقع الله بين أمراء البحرين وصاروا في صفين، اخترت النقلة، ثم أني أتخذت الكويت دار إقامة، وقد قابلني واليها بأتم وقار وعاملني بالكرامة وحسن الجوار».

مصادر علمه الشرعي

أخذ مبادئ العلوم الشرعية الأولى على يدي والده، وكان عالمًا جليلًا ومتحدثًا فاضلًا، وأحد فقهاء عصره، كما كان شاعرًا، وله ديوان شعر، وقد رأيت ديوان السيد ياسين وفيه من المباحث العلمية والأدبيات ما يدل على فضله، رحمه الله تعالى»، ولعل والده أثر في نهجه الأدبي، وصقل مواهبه الأدبية بما أطلعه عليه منذ ريعان شبابه من كنوز الأدب العربي في عصور ازدهاره.

وفي هذه الفترة نرى أن الشيخ أخذ حظه من العلم الشرعي عن طريق «التعليم المنزلي»، وهذا النمط من التعليم كان منتشرًا في ذلك الزمان عند طبقة الأغنياء والعلماء والوجهاء، ويتلخص هذا النمط من التعليم في أن يحضر الوالد لولده معلما يحفظه كتاب الله ومبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى مبادئ العلوم الشرعية، وعلوم اللغة التي يحتاج إليها الطالب في طفولته ونشأته، وقد مر الشيخ - كما مر والده- بهذا النمط من التعليم الذي تمليه عليه منزلة والده التجارية ووضع الأسرة الاجتماعي.

شيوخه

يذكر الشيخ عبدالله النوري أن الطبطبائي تلقى الفقه ومبادئ النحو على كثير من علماء المسلمين في البصرة، ولم يحدد أو يذكر واحدًا من هؤلاء العلماء، كما أن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أحدًا من العلماء سوى ابن فيروز، وابن فيروز- الذي أخذ عنه العلم إجازة - هو محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن فيروز (ت ١٢١٦هـ - ١٨٠١م) ويعتبر هذا الشيخ من كبار علماء عصره.

إنتاجه الشعري

عاش شاعرنا في أواخر عصور التخلف والانحطاط بالنسبة للغة العربية، حيث تقيد أدباء هذا العصر بالمبنى وإن أضاعوا المعنى، وبالغوا في الإطراء والمديح بكلام إذ قارنته بالواقع وجدته غير صحيح، وبقي الأدب العربي يرسف في أغلال من الجمود والتخلف لا حياة فيه ولا إشعاع، لذلك جاء شعر الطبطبائي موسومًا بهدا الختم، منسوجا على هذا المنوال، ولقد أثرت ثقافته الدينية الواسعة في انتاجه الشعري، حيث جعلته ينحو في أشعاره ناحية تعليمية، إذ نظم كثيرًا من القصائد في أمور الدين، وتفسير القرآن ونصيحة أبنائه.

خصائص شعره

١- كثرت في شعره قصائد النصح

باحث في التراث الكويتي

والإرشاد، وآداب السلوك، وتسجيل المعارف العامة، وهي لا تقل ضعفًا وتقليدًا عن قصائده في المديح، وهي قصائد يحكمها الوعظ والإرشاد وتعريف الناس بأمور دينهم، ولعله كان مضطرًا إلى الإكثار من هذا النوع من الشعر، بسبب طبيعة العصرالذي كان يعيش فيه، وحاجة من كان يعيش بينهم الى مثل هذه المنظومات التعليمية، وفي هدي القصائد التي وردت في ديوانه يمكننا أن نضع انتاجه من الشعر التعليمي في قسمين، الأول أشعار دينية، والثاني أشعار الآداب العامة.

٢- كثرة التشطيرات التي وردت في ديوانه، وكان مولعًا بتشطير أبيات ومقطوعات من الشعر القديم، وتبدت في شعره ثقافة شعرية ولغوية تعود إلى شعر العصر الجاهلي والأموي والعباسي، إذ لا تكاد تقف عند شاعر معين، فتتوعت أسماء الذين ورد ذكرهم في ديوانه، وقد شطر لأبي نواس، وجرير، والإمام الشافعي، وأمية بن ابي الصلت، والشريف الرضي، ويزيد بن معاوية، والمتنبي.

٣- يلاحظ في شعره محاولته التشبه بالمتنبي روحًا وشعرًا، ومجاراته في خطى حياته وشاعريته، فنشر الحكمة في معظم القصائد، فعلى الرغم من الركاكة الظاهرة في أشعاره فإننا نلمس روح تأثره بالمتنبي، وشدة حرصه على تتبع خطاه، فإذا ما ذكر المتنبي المجد والمعالي وتغزل بهما في شعره وشدد عليهما نرى عبدالجليل يحاول مجاراته كما في قوله:

وليس يبلغ المجد غير فتى
يرى اكتساب المعالي خير متجر
إن الكريم يرى حمل المشقة في
نيل العلى من لذيذ العيش فاصطبر
فالصبر عون الفتى فيما تجشمه
إن السيادة نهج ظاهر الوعر

طبع ديوانه

أول طبعة لهذا الديوان كانت سنة ١٣١٥هـ في بومبي على نفقة حفيده السيد مساعد بن السيد أحمد بن السيد عبدالجليل، وطبع ثانية في مصر، وكانت الطبعتان كثيرتي الأخطاء، خاليتين من علامات الترقيم، مما يصعب معه على القارئ فصل جملة عن أخرى، ثم طبع على نفقة الشيخ عيسى بن سليمان الخليفة سنة ١٣٨٤هـ، كما طبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني سنة ١٩٦٤م..

شخصيته وأخلاقه

لقد أثرت نشأته في أسرة كريمة يحافظ أبناؤها على الأخلاق الإسلامية وثقافته الدينية الواسعة، في سلوكه وأخلاقه، ونراه بدافع من هذه الأخلاق ينأى بنفسه عن الدخول في المشكلات والخصومات السياسية التي كانت كثيرة الحدوث.

وبوحي من هذه الأخلاق نراه تاجرًا نزيهًا متين الدين في تجارته يتحرى الحلال في بيعه وشرائه ويستنكر مدنسات البيع والشراء كالربا ومثله، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، فإنه يشمئز حتى من الربح الفاحش في البيع والشراء، وقد حدثنا ثقة عن صديق له يقول: إنه بشر مرة وهو يتوضأ للصلاة بأن بضاعته قد كسبت مائة في مائة فاستعبر باكيًا، فقيل له: لماذا تبكي؟ إن هذا مما يسر ويفرح، فقال: إني أعرف ذلك، إلا أنه ينذر من جهة أخرى برد الفعل، فإن البيع إذا بلغ هذا المبلغ وصار على هذا النمط لا يفرح بأرباحه، وقد يأتي على ما جمعه المرء بطريقة معقولة مقبولة، وصدق حدسه فقد ذهبت ثروته بعد ذلك، غير أنها عوضت بحب الناس وإجلالهم له، لعلمه وتقاه وجوده وسمو نفسه، فعاش بقية عمره من وارد نخله بالبصرة.

ومن أخلاقه الكريمة رفضه إصلاح قصيدة أحد الشعراء على الميزان العربي الشعري حينما طلب منه القائد السعودي سليمان بن سيف بن طوق، لأن في هذه القصيدة هجاء المسلمين من أصحابه وغيرهم، خوفا من مشاركة قائلها في سوء صنيعه.

ومن مميزات شخصيته أنه كان محبوبًا لدى الناس، فكل من عرف الشيخ أحبه، وقد اتصل بآل خليفة، فكانت له عندهم المنزلة الرفيعة.

أثره في الكويت

وفي عام ١٢٥٨هـ -١٨٤٢م طاب له المقام في الكويت بعد أن بلغ نحو السبعين من عمره، ووصل إلى مرحلة الشيخوخة والهرم، وجفت ينابيع العطاء عنده، وأحس بالحاجة إلى الاستقرار والراحة، فما وجد غير الكويت.

وقد كان للشاعر تأثير في الكويت من الناحية الشرعية، فقد أثر في شيخ الكويت الشيخ محمد بن فارس الذي أخذ يتردد عليه ويستفيد من علمه وأدبه، وكتب من إملائه قصائد وفوائد.

وفاته

ذكر كاتب مقدمة ديوانه المطبوع على نفقة أحد أمراء البحرين أن الشيخ وافاه الأجل في الكويت سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٢م، بينما ذكر الأستاذ محمد ملا حسين في مجلة البعثة أن وفاته كانت سنة ١٢٧٠هـ. وتبعه على هذا التاريخ محقق ديوانه الذي طبع على نفقة أحد أمراء قطر.

إن كان قالها فقد صدق

عبدالجواد حمام

كلمة سجلها التاريخ شهادة مضيئة، وقلدها الزمن وسامًا مشرفا في صدر رجل الأمة بعد نبيها، وسامًا يتلألأ شعاعه ظاهرًا، ليتصل بريق الظاهر بصفاء قلب، وعز ة إيمان، ورسوخ يقين دونه رسوخ الجبال، وتصديق مطلق لا تدانيه حقائق الدنيا بأسرها، ولا يقاربه إيمان بشر سوى الأنبياء.

كلمة قالها الصديق شهادة تصديق ويقين لا يخامره فيها شك، ولا يعرض له فيها وهم ولا تردد، قالها بإ انه فإذا به يخط لنا منهجًا إ انيًا عقديًا علميًا في حقيقة الاتباع للنبي ﷺ. نعم، فهذه الجملة- على وجازتها- تلخص لنا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم أمام ما ينقل عن النبي ﷺ.

سارع أهل مكة يبتدرون أبا بكر رضي الله عنه- وكان خارج مكة- يحملون إليه خبر الإسراء والمعراج، ويظنون أن لديهم ما يهز إيمانه، ويزعزع ثقته المطلقة بأعز بشر في نفسه، ففي هذا الخبر من الغرابة والعجب ما فيه، إذ كيف يطير رجل في ليلة أو بعض ليلة إلى بيت المقدس، ثم يعرج منها إلى السماء السابعة في رحلة عجيبة مثيرة، ثم يعود إلى بيته وفراشه ولما يسفر الصبح عن وجهه!

هكذا نظر مشركو مكة بضيق عقولهم، وقصور أبصارهم، وانطماس بصيرتهم، فأمَّلوا أن يثير هذا الخبر في نفس أبي بكر ما أثاره في نفوسهم، فيتوقف أو يتوجس، أو- على الأقل- أن يراجع حساباته، وينظر أين يسير؟ لكنه ما كان كذلك، وأنى لهذه الأوهام أن تصيبه أو تخدش شيئًا من يقينه، وهو صديق الأمة وصديق نبيها؟ بل ما كادت شفاههم وألسنتهم تنبس بآخر حرف مما قالوه ويستقر ذلك الحرف في أذن أبي بكر حتى انطلق لسانه، وكأن الأمر عنده أوضح من أن يتأمل فيه، وأجلى من أن يتمعن به، وكأن كلامهم- لسخافته وخبثه- لم يمر على فكره، بل ما إن اتصل بسمعه حتى ترك لسانه بعفوية وبدهية معلنا تلك الحقيقة الخالدة «إن كان قالها فقد صدق».

إن هذا المنهج الذي أعلنه الصديق رضي الله عنه ينبغي أن يكون دستورًا لكل مؤمن صادق مع ربه، وسبيلًا لكل مسلم أذعن لنبيه ﷺ بالطاعة والتسليم.

هذا الدستور من بندين مترابطين، أولهما مقدمة للثاني، وثانيهما نتيجة لازمة عن الأول.

بنده الأول: صحة النقل وثبوته (إن كان قالها)

والبند الثاني: وجوب الانقياد والتسليم والإيمان الكامل بكل ما صح عن النبي ﷺ من دون شك أو مراء (فقد صدق).

أما البند الأول من هذا المنهج، فهو تحري صدق الناقل وأمانته، والتثبت من صحة الرواية عن النبي ﷺ، فأبوبكر رضي الله عنه - برجاحة عقله ونفاذ بصيرته- لم يسارع إلى تصديق المشركين بما أخبروه، ولم يسلم لهم بما نقلوه، فهم مظنة شك ومحل اتهام، لكنه في الوقت نفسه لم ينف الأمر أو يرده، بل علقه بالثبوت، وربطه بصحة النقل عن المصدر.

وهكذا ينبغي أن يكون موقف كل مسلم ومسلمة تجاه ما يطرق أسماعهم من أخبار وروايات وأحاديث عن النبي ﷺ، بأن يتبينوا ويتثبتوا ويتحروا صحة هذا النقل وثبوته قبل قبوله أو نقله أو الاعتماد عليه.

فكم تنتشر بين المسلمين من أحاديث ضعيفة وموضوعة، وكم يحفظ الناس من قصص وأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته الكرام رضوان الله عليهم ليس لها أصل يثبت، بل هي محض افتراء واختلاق من وضع الرواة أو غيرهم، والأدهى من ذلك والأمر أن تجري هذه الروايات المنحولة والأحاديث الواهية أو المكذوبة على ألسنة بعض الوعاظ والدعاة على المنابر والشاشات، بحسن نية وطيب قصد، لكن من دون أدنى تثبت أو بحث أو تدقيق في صحة ما ينقلونه، حتى صارت بعض تلك الروايات والقصص مسلَّمات عند الناس لا يمترون في صحتها مع أنها ليست من الثبوت في شيء.

وإن السياق القرآني ليرشد إلى ضرورة اتباع منهج التثبت، ويحذر من التسليم والتصديق بكل ما ينقل أو يروى، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ (الحجرات: ٦).

وكذلك حذر رسول الله ﷺ أيما تحذير من التهاون في قبول الأحاديث أو التساهل في نقل كل ما يطرق السمع من أخبار وروايات، فيقول: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» (متفق عليه) وفي رواية عند الترمذي: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وسبيل التثبت من الأخبار صحة وضعفًا قبولًا وردًا ممكن لكل باحث عن الحق، ومنقب عن الصواب، فقد خدم علماؤنا ومحدثونا هذا الجانب أعظم خدمة، ووضعوا لنا أسسًا وقواعد وضوابط نستبين بها الثابت من الزيف، والحق من الباطل، وليس ثمة أمة من الأمم نقّحت تراثها، ونقدت مخزونها الثقافي والفكري، وشرحت النقول والآراء العلمية بمبضع العلم إلا هذه الأمة، ويكفيها ذلك فخرًا، وهذا ما شهد به كل منصف من أهل الشرق والغرب.

هذا الشق الأول من المنهج «الصِّدِّيقي»، وأما الشق الثاني أو البند الثاني من هذا الدستور فهو موقف التسليم والانقياد لكل ما ثبت عن النبي ﷺ.

وهل يكون للمسلم غير ذلك؟

وهل يتصور من مسلم نطق بالشهادتين

كاتب سوري

صدقًا من قلبه أن تخالجه شكوك أو ريبة في صدق رسول الله ﷺ وصدق ما يخبر به؟

إنه بذلك ليضع إيمانه على المحك، ولا أظن مسلمًا يجرؤ على القول بذلك.

ولكن المشكلة تظهر عند كثير من المشككين حين يدعون أنهم لا يعارضون النبي ﷺ بذاته، ولا يرفضون أحاديثه لذاتها، وإنما يرفضون ما لا يتفق مع عقولهم وعاداتهم وتقاليدهم وأهوائهم- المعاصرة- من الأحاديث والأخبار ولو كان أصح الصحيح، ولو صححها المحدثون والنقاد، وتناقلوها كابرًا عن كابر حقائق ثابتة عن النبي ﷺ بحجة أنها تنافي العقل أو الذوق أو المنطق، ولا يملك هؤلاء من حجة لرد ما لم يتفق مع عقولهم وأهوائهم إلا أن يقولوا: إن هذا من «نقد المتن»، الذي لم يعرفه العلماء السابقون، ولم يتنبه إليه إلا فطاحل هذا العصر، ونوابغه الأفذاذ!

أقول: إن مثل هذا القول لينم عن جهل مركب في عقل صاحبه، فإن أبسط بدهيات المنطق والعلم أن من أراد التكلم في موضوع عليه أن يلم بقواعده الأساسية وضوابطه الرئيسية.

ومن يدعي هذه الدعوى غافل عن أساسيات هذا الشأن، إنه غافل عن الشق الأول من المنهج الصديقي وهو أنه لا تقبل رواية إلا بعد ثبوتها والوثوق بصحتها، وأن تصحيح الأحاديث الذي كان من قبل المحدثين ليس أمرًا ساذجًا أو مزاجيًا أو سطحيًا كما يصور هؤلاء أو يتخيلون، إنه منهج رصين دقيق، يغوص في أعماق الروايات والأسانيد، ويحلل الخبر سندًا ومتنًا ليكشف أي خلل بل أي احتمال للخلل فيهما.

وإلا فما معنى العلة في الحديث؟ وما معنى الشذوذ في الحديث؟ وما معنى الحديث المنكر؟

وإننا لنجد اليوم الدعوات الكثيرة في الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، وفي المحاضرات والندوات والمؤتمرات، دعوات كثيرة إلى إعادة دراسة ميراث السنة النبوية من خلال نقد المتن، وعرضه على العقل والمنطق، وأن يعاد النظر في كل جهود المحدثين والحفاظ الذين أفنوا أعمارهم في سبيل ضبط الأسانيد، وإتقان المتون.

وأقول: إن هذه دعوات مغلوطة من الأساس، ولا مكان لها في النظر العلمي المنهجي، إذ ما الذي يقصد بنقد المتن؟

أهو نقد كلام رسول الله ﷺ- من حيث هو- لننظر أأصاب أم أخطأ؟ وهل كلامه بحد ذاته يوافق المنطق والعقل أم لا؟

حاشا لله أن يقول هذا مسلم.

إذن فما هو نقد المتن؟

سيتبادر الجواب من أولئك، إنه إعادة دراسة للأحاديث التي صحت لكن في متنها اشكالات لا توافق عقلنا وتفكيرنا.

وهنا يأتي السؤال، إذن فهي دعوة إلى دراسة هذه الأحاديث لكشف علل متونها.

ولكن هل هذا نقد للمتن أم للسند؟ وهل هذا شيء جديد لم يعرفه المحدثون؟

إن المسلم عندما يجد مشكلة في لفظ حديث أو متنه فإنه لا يمكن أن يظن أن مصدر ذلك رسول الله ﷺ، بل سيفتش - ولاشك- عن موطن الخلل والخطأ الذي كان من أحد الرواة في متن الحديث، وبالتالي فهو يتجه للبحث في سند الحديث ورواته ليجد سبب الإشكال الذي رآه.

وهذا يعود بنا إلى منهج المحدثين ذاته الذي لخصوه لنا في تعريفهم للحديث الصحيح: «ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة».

ويبحث المحدثون في الشذوذ والعلة كل مشاكل الأسانيد والمتون، ويردون من الأحاديث ما يرون في متنه خطأ أو وهمًا وقع من أحد الرواة، فكل أخطاء المتون وإشكالاتها تندرج في الشذوذ والعلة، وتعود بالنهاية لتكون خطأ من أحد الرواة في لفظ الحديث، ومن ثم فهو نقد للسند ورجاله، وبيان أخطائهم، لا لمتن الحديث ذاته.

إذن فالبحث عن أخطاء الرواة التي تقع في المتون إن كان هذا هو «نقد المتن» فقد قام به العلماء، واشتغل به المحدثون قديمًا، ومحصوه أيما تمحيص، وأشبعوه دراسة، وألفوا في ذلك موسوعات علمية ضخمة، تسمى بـ«مشكل الحديث»، و«متشابه الحديث»، وكتب «العلل»، وساقوا آلاف الروايات والأسانيد والألفاظ، وبينوا تلف التالف منها، وقوة القوي منها، وأخطاء الرواة في الأسانيد والمتون، لكن كل ذلك دون أن يسمى هذا بـ «نقد المتن»، بل هو نقد الحديث جملة، سندًا ومتنًا.

وليس تقسيمهم لعلل الحديث إلى «علل المتن» و«علل الإسناد» إلا من باب القسمة الاصطلاحية، أو الإشارة إلى مكان وقوع الخطأ، أما على الحقيقة فكل أخطاء الحديث سواء في متنه أو في إسناده راجعة إلى رواة الحديث ورجاله، أي إلى سند الحديث.

فليس وراء دعوة نقد المتن على الحقيقة من جديد، ولا تحمل في طياتها إلا الادعاء من غير دليل ولا رصيد حقيقي.

ولنعد أخيرًا إلى المنهج الصديقي ليكون تلخيصًا وإيجازا لكل ما تقدم، ذلك المنهج الذي تجلى في:

التثبت أولًا، ثم التسليم والقبول لما ثبت بالمنهج العلمي ثانيًا.

وليس وراء ذلك إلا شبهة من مغرض، أو مراء من مجادل.

الإسلام والتربية البيئية

د. بركات محمد مراد

التربية عملية تنمية الاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات عند الأفراد في اتجاه معين، لتحقيق أهداف محددة، ومن تلك الأهداف التي تعمل التربية على تحقيقها، مهارات القراءة والكتابة، تنمية المعلومات والتفكير والاتجاهات العلمية، وتفهم ما يوجد حول الإنسان من ظواهر وعلاقات طبيعية، وغير ذلك، إلى جانب تنمية قدرات الأفراد ومهاراتهم لإيجاد الحلول لمختلف المشكلات التي يواجهونها، فالتربية تسعى إلى التعرف على حاجات ومشكلات الفرد والمجتمعات وإيجاد الحلول الواقعية لها بمختلف الوسائل.

فالتربية البيئية تتعلق عرفة الإنسان وتنمية معلوماته ومهاراته فيما يرتبط بالظواهر البيئية المختلفة والعلاقات المشتركة، والتفاعل بين عناصر البيئة ومقوماتها، بما في ذلك الإنسان نفسه، وكذلك تنمية قدرات الفرد على معالجة الأضرار التي لحقت بالبيئة، إضافة إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها، فالتربية البيئية تتناول الجوانب التربوية التي تتعلق ببقاء الإنسان واستمرار رفاهيته ووجوده على هذا الكوكب.

انتقد علماء البيئة الافتراض الأساسي الذي يقوم عليه الفكر السياسي الغربي بشأن «مركزية البشرية» أو التمركز حول الإنسان، بمعنى أن البشر هم مركز الوجود، وهو ما دمر وشوّه العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية، وبدلا من المحافظة على كوكب الأرض واحترامه واحترام الفصائل المختلفة التي تعيش على سطحه سعى الإنسان- كما وصفه جون لوك - ليصبح «سيدا للطبيعة ومالكها»، وساعدت الفردية الليبرالية على انطلاق مشروع التراكم الرأسمالي التحديثي بمقاييسه الاقتصادية النقدية بعيدا عن التكلفة الإنسانية والطبيعية، معطيا الإنسان الضوء الأخضر للسيطرة على الطبيعة.

وقد تعرضت البيئة في السنوات الأخيرة لإفساد كبير من قبل الإنسان.. غابات كاملة دمرت، وأجناس من الطير والحيوان أبيدت عن بكرة أبيها، وأنهار ماتت ولم تعد مياهها صالحة للشرب، وأرض كانت تخرج رزقها رغدا فاجتثت وأصبحت لا تنبت إلا نكدا، وهواء ما عاد عليلا، بل مصدرا لكثير من العلل والأمراض، وهذا الذي حدث في البيئة نجم عن جهل الإنسان المعاصر بأبعاد استخلافه في الأرض، وتجاهله لما يعنيه التسخير الذي تشير إليه الآية الكريمة، فالتسخير لا يعني التدمير، وتفضيل الإنسان على ما خلقه الله من أحياء لا يكون مبررا لطغيان الإنسان وسعيه في الأرض بالفساد وإهلاك الحرث والنسل.

ومن بين المقاصد الكلية الضرورية التي دل الشرع الإسلامي على حفظها واعتبارها، «مقصد المحافظة على الكون» بمفهومه الواسع الذي يشتمل على كل ما سخره الله لخلقه من بحار، وأرض، وجبال، ومعادن، وطبيعة. فما يحصل اليوم في حياة الناس من جراء التفاعل غير الصحيح مع الكون، وما تعانيه البشرية من تلوثات ومجاعات، وتهديد بنفاد بعض المسخرات الإلهية، إنما يعبر عن جهل الناس لمقاصد الشارع الحكيم، كما وضحتها الديانات السماوية عامة والدين الإسلامي على وجه الخصوص، والتي دلت على حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، كما دلت على حفظ الكون، فهذه الأخيرة تؤدي غرضين في موضوع الاستخلاف، التسخير المادي وما يشتمل عليه من خيرات هي قوام العمران البشري، والبناء الحضاري في جانبه المدني والمعاشي.

ولو أخذنا معالم نظرية البيئة لوجدنا الفقه الإسلامي القديم والحديث قد تعرض لمكوناتها، ولكن في المواضع التي ترتبط بها في مجال العقيدة أو العبادة أو التشريع القانوني بأقسامه، أي في مكانها من خريطة العقل المسلم في تكييفه لها، فالرؤية الكلية تدخل في المكونات الإبستمولوجية للنظرية البيئية، وتدخل في المقابل في العقيدة الإسلامية التي ترى الإنسان سيدا في الكون- لا سيدا للكون، ومستخلفا من الله على الكون بكائناته ومخلوقاته، فلا هي مركزية بشرية يستنزف فيها الإنسان الطبيعة، ولا هي مركزية للطبيعة تساوي بين الإنسان والمادة، والإنسان والحيوان، وتتجاهل خالق الكون ورسالة البشر وأمانتهم ومسؤوليتهم.

والاستدامة تدخل في نظرية المقاصد في العدل كمقصد حفظ المال، ومراتب هذا الحفظ من حفظ بقاء، لحفظ أداء، لحفظ نماء. والقيم الأخلاقية لا تقتصر على المسؤولية تجاه الأجيال بل المسؤولية أمام الله.

ويحكم الإنسان في كل موقف ميزان الضرر والنفع، في الحال والمآل، والأمة توفر لسياسات البيئة التمويل عبر الأوقاف، وتضمن الالتزام بالقواعد والنظم بالقانون، والأهم من ذلك عبر إدماجها في السلوكات والآداب اليومية العبادية والفردية والجماعية.

إن الشعور بالسلام بين المسلم وبين الحياة والأحياء مسألة ذات قيمة شعورية، ذات أثر في حياة الإنسان الواقعية، فهو يستطيع مع هذا الشعور أن يمضي في طريقه مطمئنا، وكلما كشف سنة من سنن الحياة جعلها طريقة للخير، لأن كشفها لم يجئ نتيجة معركة إنما جاء نتيجة صداقة.

العلاقة بين الإنسان المسلم والبيئة

تتميز هذه العلاقة بخصائص وأبعاد أهمها أنها علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة

اكاديمي مصري

والأحياء، بمن فيهم البشر الذين هم قمة الأحياء، وليست أبدا علاقة حرب وقلق وتنافر وعداء وصراع، كما يزعم بعض الماديين الطبيعيين Naturalists الذين يقولون إن العالَم الطبيعي أوجد نفسه دون علة خارجية عنه، ويتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها كوارث طبيعية خالية من كل خير، ويعدون كل كشف لقانون من قوانين الكون، وكل تسخير لطاقة من طاقاته، وكل اختراع لتقنية متقدمة جديدة، انتصارا على الطبيعة، أو قهرا لها وهيمنة عليها.

وقد بدأ كثير من علماء الطبيعة الآن يفيقون من هذا الوهم ويدركون ضرورة عودة الوفاق مع الطبيعة، وأهمية انسجام الإنسان مع الكون خاصة بعد كشف كثير من آليات الطبيعة وظواهرها والإدراك لذلك التوازن الدقيق بين قوانينها، وعلى ذلك، كما يقول «هايكل»، فإن الإيكولوجيا (علم تناسق الطبيعة) تستهدف تسليط الأضواء على علاقات متبادلة لم تكن تخطر على بال.

ومن الواضح أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة (الكون)، كما يعرضها المنهج الإسلامي المتفرد، هو الذي يدلنا على طبيعة الحرب التي شنها الإنسان على نفسه في غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية، فهي حرب ضد الحياة على كوكب الأرض، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذي يسعى جاهدا الآن ليكسبها ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

مبادئ التربية البيئية

- رفع الإدراك والوعي البيئي لدى الأفراد والمجتمعات، وأن يكتسبوا المعرفة والمهارات للمشاركة في تحمل مسؤولياتهم تجاه حماية البيئة بصورة أكثر فعالية.

- من الضروري أن تعمل التربية البيئية على ترسيخ مفهوم العلاقات المتبادلة بين الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية والتنموية، ومع عناصر ومقومات البيئة، هذا إلى جانب الترابط والتكامل بين البيئة والتنمية.

- توفير المعلومات الضرورية وإكساب المهارات اللازمة لتفسير هذه العلاقات المتبادلة بين البيئة والتنمية، وكذلك النظم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من النظم.

- العمل على إيجاد الترابط بين الإجراءات والأساليب التربوية وبين واقع الحياة التي يعيشها الإنسان، والتي تشمل ضمن واقعها المشكلات والقضايا البيئية في المجتمع.

- لابد من اعتبار ان التربية البيئية عملية مستمرة وذلك لتجديد المعلومات والمهارات التي تتطلبها حماية البيئة وعملية التنمية.

- يجب أن تشمل التربية البيئية (أو التثقيف البيئي) جميع الفئات الاجتماعية والعمرية في المجتمع بما في ذلك الجماعات المتخصصة المختلفة، ولزيادة فعالية التربية البيئية يكون من الضروري إدراجها ضمن التشريعات والسياسات والخطط التنموية للدولة.

- ضرورة إدخال المفاهيم البيئية في نسيج المواد الدراسية التخصصية، وكذلك إدخال الاعتبارات البيئية في النسيج التربوي والثقافي في مراحل تدرجه في سلك التعليم العام، وكذلك العمل على تعميق الوعي البيئي عند التلاميذ بحيث يترسخ في تفكيرهم ويتحول إلى عناصر سلوكية تحافظ على البيئة وتراعي العلاقات الوثيقة بين حياة الإنسان وصحة البيئة.

المحافظة على الكون تدخل في العقيدة الاسلامية التي ترى الإنسان سيداً في الكون لا سيداً له

القيمة الجمالية

وهناك بُعد جديد يغيب عن كثير من الباحثين والمهتمين بشؤون البيئة، ولكنه لا يغيب عن الرؤية الإسلامية، ذلك هو البعد الجمالي الذي ينبغي أن نضمنه للتربية البيئية للطفل والشاب المسلم، فعند استقصاء حكمة الخالق في إبداع الكون وتكوينه يجب أن يستشعر الإنسان حقيقة البعد الجمالي في العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهو ما يقابل القصد الإلهي في إبداع الكون الجميل الصفات العجيب التلوين والتكوين، يقول الله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ (فاطر: ٢٧- ٢٨).

وهذه الدعوة القرآنية إلى تأمل الجمال الكوني، هي دعوة إلى الارتفاع بعلاقات الإنسان بالكون والبيئة إلى مستويات عليا من السلوك والرؤية الإنسانية النبيلة في مستويات الإصلاح والإعمار، لا تقتصر فقط على الإصلاح المادي، بل تتعداه إلى الجمال المعنوي البادي في الكون، والذي يسعى الإنسان إلى تأمله والمساعدة على الاحتفاظ به وصيانته، وهي دعوة في حقيقتها إلى التفوق في مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها في تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

جامع الكُتبية في مراكش

بشرى شاكر

جامع الكتبية في مراكش أروع جامع بناه ملوك الموحدين في المغرب، وهو لجدة أسلوبه، وما فيه من إبداع ودقة، يعادل أكبر الجوامع الأندلسية وأعظمها.

مسجد الكتبية أو جامع الكتبية هو منارة إسلامية شهيرة توجد بمدينة مراكش، أمر بتشييدها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي بعد سقوط الدولة المرابطية (مشيدة مدينة مراكش في الأصل على يد الخليفة يوسف بن تاشفين) وانتقال الحكم للدولة الموحدية، وقد بني المسجد الأول على أنقاض قصر الحجر الذي هو قصر الخليفة المرابطي على بن يوسف سنة ١١٤٧ميلادية

وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن بنايات ومعمار هذا القصر الموحدي، كما أمر بهدم الجامع الذي كان أسفل المدينة والذي بناه علي بن يوسف، أما المسجد الثاني فقد تم بناؤه سنة ١١٥٨ميلادية والبنايتان متشابهتان من حيث الحجم إلا أن قاعة الصلاة بالمسجد الثاني مستطيلة الشكل وتضم سبعة عشر رواقا متوجهة نحو القبلة بشكل عمودي تأخذ شكل حرف (T) اللاتيني وتحملها أعمدة وهو نفس تصميم جامع القرويين بفاس وجامع تينمل الذي يقع بقرية تينمل جنوب مدينة مراكش في جبال الأطلس الكبير والتي كانت تعد معقل الحركة الموحدية آنذاك، حيث استقر بها أبوعبدالله محمد بن تومرت (مؤسس الدولة الموحدية)، كما أن هذا النوع من البناء كان معروفا أيضا في بلاد الرافدين، في القرن التاسع الميلادي وكمثال على ذلك مسجد سامراء الذي بالعراق ويبدو أن هذا النوع من التشييد جاء تأثرا بالحضارة الفاطمية حيث عرف الفاطميون بالبلاطات العمودية لحائط القبلة والمضخمة بالقباب في نهاية القرن العاشر الميلادي، وقد صمم رواق القبلة بقببه الخمس لجامع الكتبية بشكل يجعله يلتقي بالرواق المحوري وهذا من خصائص إبداع العمارة الموحدية.

بناه ملوك الموحدين في المغرب ويعادل في إبداعه أكبر الجوامع الأندلسية وأعظمها

أما صومعة مسجد الكتبية فقد بدأ تشييدها في عهد عبدالمؤمن بن علي، على غرار صومعتي الرباط بالمغرب (مسجد حسان) واشبيلية بالأندلس (مسجد الخيرالدا) و لم يتم إنهاء بنائها إلا في عهد حفيده يعقوب المنصور.

ويعد جامع الكتبية من المعالم الإسلامية المهمة في المغرب ومفخرة لمدينة مراكش الحمراء، فهو يمتد على مساحة ٥٣٠٠ متر مربع وكما سبق وذكرنا يتوفر على ١٧ جناحا وقد زينت قببه بالنقوش زخرفت أجزاء مئذنته العليا بإفريز خزفي طلي بلون الفيروز ، كما يعتبر منبر الكتبية رائعة من روائع

كاتبة مغربية

فن النجارة الإسلامية فهو مزود بنظام آلي للحركة وقد تم صنعه في قرطبة في بداية القرن الثاني عشر بأمر من السلطان علي بن يوسف بن اتشفين وقد نقل المنبر إلى الكتبية سنة ١١٥٠ميلادية.

ولم يكن للجامع دور ديني فحسب، بل كان مكانا تعلن فيه قرارات السلاطين السياسية وكان مكانا للشورى قبل إعلان أي حدث مهم من قبل سلطان أو أمير.

وقد جاءت تسمية الجامع، بجامع الكتبية نسبة لكلمة «الكتبة» أي الخطاطين والذين عملوا بجوار الجامع، ويقال نسبة لسوق بيع الكتب (الكتبيين) التي كانت على مقربة من المسجد.

وجامع الكتبية قريب جدا من الساحة الشهيرة بمدينة مراكش والتي هي «ساحة الفناء» أو كما تعرف لدى المغاربة باسم «جامع الفناء» ويمكن لزائرها أن يرى الجامع من وسط الساحة كما يمكن رؤية المئذنة الكبيرة

كان ولا يزال يؤدي دوراً دعوياً حيث يأتيه الناس للصلاة والإستماع إلى أئمته المتميزين

على بعد ٨٠ كيلومترا من مدينة مراكش.

وقد سميت ساحة «جامع الفناء»، بهذا الاسم لقربها الكبير من جامع الكتبية ويسميه المغاربة باسم «جامع» لكونه المسجد الذي يجتمع فيه الناس لتأدية صلاة الجمعة على نطاق أوسع وكذلك تراويح رمضان، حيث يحج إليه ما يزيد من عشرين ألف مصل حتى تكاد تغيب عن الأنظار ساحة «جامع الفناء» وذلك بخلاف المساجد الصغيرة الموجودة في كل حي أو بين الوحدات السكنية التي يحرص المصلون، الذين يؤدون بها الصلوات الخمس عادة، على التوجه نحو «الكتبية» لتأدية صلاة الجمعة وتراويح رمضان الكريم، أما تسمية الساحة بالفناء فقد اختلف فيها المؤرخون، فهناك من قال أن اسم الفناء يدل على مكان كانت تقطع فيه رؤوس الخارجين عن القانون، وهناك من قال إنها ترخيم لكلمة «فنار» أي مصباح، ولكن الرأي الأرجح يبعد فكرة العنف الذي كان يمارس على هاته الساحة وأيضا يلغي كونها ترخيما لكلمة فنار، حيث إن النطق السليم لاسم الساحة ليس بفتح الفاء والنون وإنما بكسر الفاء ويكون بمعنى الساحة أو الفضاء المكاني الشاسع، وكما يقول ابن منظور في لسان العرب «الأفنية هي الساحات على أبواب الدور» وقد سميت الساحة بهذا الاسم لتميزها عن باقي الساحات الأخرى المنتشرة بالمدينة، والتي تحمل أيضا أسماء عربية مثل القاعة والرحبة، وذلك لسعة مساحتها، وقد صنفت هاته الساحة كتراث عالمي إنساني من قبل «منظمة اليونسكو»، وشكلت على مر العصور ملتقى للأدباء والشعراء والمؤرخين، وهي تعد تراثا شفويا وفلكلوريا مغربيا وفيها رويت ومازالت أشعار الشيخ الصوفي «أبوزيد سيدي عبدالرحمن المجذوب» ورحلات «ابن بطوطة» وهي مازالت تحافظ على مهنة الراوي أو «الحكواتي» الذي كان الناس يلتفون حوله ليسمعوا الأمثلة العربية ويستقوا الحكم التاريخية، وللساحة أيضا نشاط تجاري مهم، حيث تعج بمطاعم مختلفة شيدت عليها تستقطب السياح من الأجانب والمحليين، وتنتشر على جنباتها محلات لبيع المنتجات المحلية والتراثية.

وبالعودة لجامع الكتبية أو مسجد الكتبية فهو كان ومازال يؤدي دورا دعويا إلى يومنا هذا، حيث يأتيه الناس من كل أقطاب البلاد للصلاة فيه والاستماع لقراءة أئمته المتميزين.

لقاء الأكابر

د.عبدالوهاب الطريري

كم شعرتُ بعظمة هذا الإرث، ونفاسة ذاك الميراث ونقائه، وأنا أرى تداولَ الأجيال هذه الحفاوة والرعايةَ لهذا الميراث العظيم المقدّس.

كان ذلك وأنا أحضر المجلس الأخير لختم صحيح البخاري والأحاديث تُقرأ على شيخنا العالم المبارك المعمّر، وكان يتابع القراءة بكامل اليقظة، وهو الذي يبلغ السابعة والتسعين من عمره المبارك، أويزيد، في رحلة مديدة مع العلم والتعليم. وكان هذا المجلس من مجالس العلم المباركة، ورسوم التعليم العتيقة؛ ففي مثل هذا المجلس كان الجلوس عند الإمام مالك، والإمام أحمد، والدارقطني، والبيهقي، وابن الصلاح، والعراقي، وابن حجر وغيرهم، في نمط فريد من التوثيق العلمي، ظلت أمة محمد ﷺ وفية له في حقب الزمن المتتابعة، وإلى يوم الناس هذا.

ولقد ازدحمت في نفسي معانٍ كثيرة من تلك الأمسية الماتعة المباركة، أولها بركة العلم والتعليم؛ فإن شيخنا وهو يخوض عشر المائة من عمره لا يزال يجد متعة نفسه في نشر العلم والتعليم، والجلوس للطلبة ومحبي رواية حديث رسول الله ﷺ، ولذلك فإنه يعيش تجدُّدًا في أيام عمره، وسعة في ساعات حياته؛ فهو في هذا العمر يعقد في كل يوم سبعة مجالس علمية، يُقرأ فيها عشرات الكتب، فأين هذا النمط من الحياة المباركة والحيوية العلمية ممن تفترسهم الكآبة بمجرد أن يتقاعدوا من وظائفهم؟!

ثانيها أنني نظرت في هذا المجلس إلى لطيف صنع الله يوم قال شيخنا قد أجزت الحاضرين بروايتي لصحيح البخاري عن شيخنا علي أبووادي عن شيخه نذير حسين- رحمهم الله- بإسناده المعروف، فإن الشيخ في تلك الليلة كان يجيز الحاضرين بالإجازة التي تلقّاها قبل أربع وسبعين سنة، فقد أجازه شيخه المعمّر الشيخ علي بن ناصر أبووادي عام ١٣٥٧ في عنيزة، وكان قد أخذ الإجازة من شيخه الشيخ نذير حسين في عام ١٢٩٩ هجرية في الهند، فهل كان يدور في ذهن الشيخ نذير حسين وهو يجيز في بلدة نائية في الهند شابا نجديا أن إجازته ستُروى عن تلميذه عنه بعد أكثر من (١٣٠) سنة في عمق نجد، وأن تلميذ تلميذه سيجيز بإجازته، ويذكر اسمه، ويترحم عليه، بعد أكثر من مائة وثلاثين سنة؟! ما أعظم المسافة الزمانية والمكانية بين الإجازتين! إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم.

ثالثها أنه كان مما لاحظه الجميع حفاوة الشيخ بطلابه؛ فقد فتح لهم بيته وقلبه واحتفى بهم، ولما انتهى المجلس دعاهم إلى وليمة كبيرة كريمة، وكان ينادي: لا أسمح لأحد بالتخلّف، الكل يحضر، لا يتخلّف أحد، فعجبت أن مسارات الكرم في نفس الشيخ متوازية؛ فهو كريم بوقته، وكريم بعلمه، وكريم بماله.

رابعها أنه مما رأيته فأكبرته حفاوة أبناء الشيخ بتلاميذ أبيهم؛ فلقد كانوا قيامًا على رأس الشيخ يبالغون في إكرام تلاميذه والحفاوة بهم، فقُرّة عين للشيخ صلاح بنيه، وحُسْن خلقهم مع محبّيه. إنَّ أبناءه يُشكرون على هذا الموقف شكرًا مضاعفًا؛ فقد كانوا نعم العون للشيخ على مشروعه العلمي، وعطائه الوافر الكريم، ويزيد إكباري لهم أني رأيت بعض العلماء الذين أصبح أبناؤهم حجابًا بينهم وبين الناس، وعائقًا من عوائق التواصل بينهم وبين محبي علمهم.

خامساً أنه من لطائف الرواية أن رواية شيخنا عن شيخه علي أبووادي عن شيخه نذير حسين وقعت كل واحدة في قرن؛ فرواية شيخنا في عام ١٤٣١هـ في القرن الخامس عشر، ورواية شيخه في القرن الرابع عشر ١٣٥٧هـ، ورواية الشيخ نذير حسين في القرن الثالث عشر ١٢٩٩هـ، وكذلك من اللطائف أن بين سماع الشيخ وروايته نحو ثلاثة أرباع قرن، وهذا نادر في القرون المتأخرة.

وبعد، فقد كانت القراءة على شيخنا العلّامة الفقيه المسند عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل؛ حيث تمّت قراءة صحيح البخاري في ستة وثمانين مجلسًا بقراءة حفيده الشيخ أنس بن عبدالرحمن العقيل، والشيخ زياد بن عمر التكلة، وحضر مجلس الختم ليلة الجمعة ١٤٣١/١/٨هـ الشيخ د.محمد بن لطفي الصباغ، والشيخ د.عبدالله بن حمود التويجري، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن إبراهيم القاسم، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السعد، وجمع غفير من طلبة العلم، وسمع أيضًا عدد من النساء، وذلك في دارة شيخنا العامرة بمدينة الرياض.

نسأل الله أن يبارك لشيخنا في عمره، وينسأ في أجله، ويقرّ عينه بصلاح ذرّيته، ويجزيه عن العلم وأهله خير ما جزى عباده الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

أكاديمي سعودي

دراسات قرآنية

حقيقة الإنسان وعلاقته بالقرآن الكريم

د. طلال محمود النعيمي

ما هذا الإنسان، وما مهمته في الحياة؟ سؤال يتردد دائما، كانت الإجابة عليه في عصور الظلمات بعيدة عن الإيمان والتقوى «همي في الدنيا أن أحيا فحسب» وما وسوس به الشيطان إلى آدم من قبل ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (طه:١٢٠) وسعى الإنسان في الحياة إلى الخلود والتملك. والإنسان بين حب البقاء والاستيلاء قد انسلخ من آيات الله وانكب على وجهه نهما مسعورًا، واتبع هواه، يريد أن يقضم رزق الدنيا بأسنانه وينهشها نهشا ويزيل كل من يقف في سبيله، وسخر كل ما في استطاعته واستخدم الأكوان والخلائق لإشباع غرائزه التي أفسدها الشيطان ونفخ فيها نفخة الجشع وطلب المزيد، فإذا وجد قنطارًا من الذهب التمس القناطير واتخذ من ذهب الدنيا وفضتها سلما يصعد به على هامات الناس، واتخذ من حاجة الناس سبيلا لاستعبادهم، ومن قوته وسيلة لإذلالهم، ومن تفكيره أداة للكيد لهم، كل هذا ليكون خيرًا من أخيه وليردد في داخله «أنا خير منه»، أي أن الإنسان أصبح كالبناء الفارغ سكن فيه الشيطان، فالأعمال الصادرة ليست من عمل البناء، وإنما من عمل ساكنه.

هذا حال الإنسان في بعده عن الإيمان، فإذا آمن، خرج من داخله الشيطان وشع الخير في جوانب البناء البشري، واستيقظ العقل على الحقيقة الخالدة أن به نفخة من الله تعالى قدسية عادلة طاهرة، إنسانية عاقلة، تعيش في مجموعة من الأخلاق تحميها من أفاعيل الانقلابات الفكرية والتطورات النفسية، وتشاركها أدبي يسمح للبشرية أن تدخل في ضروب التطورات الاجتماعية آمنة من الانحلال والتلاشي، محتفظة بالحيوية والوجود، بل وتفرض من وجودها وتفيض بوجودها.

عرف البناء الآدمي، لما دخله الإيمان، أنه ليس بناء أجوفا يلتمس من يسكنه فتعشش فيه الشياطين، وإنما هو خليفة الله في الأرض ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة:٣٠). للبناء والتعمير، تحيط به الآيات فليكشف عن مستورها وليعمل بخيرها، والناس جميعًا من حوله اخوان له، يحفظ دماءهم وأعراضهم ويتعاون معهم، وليأخذ من الدنيا ما يقوم به الشطر المادي في تكوينه.

معركة الخير والشر

يعيش الإنسان في جو يتصارع فيه الخير والشر، والنفس البشرية هي جند المعركة، والدين هو قائد الخير، والشيطان هو قائد الشر، وكل من القائدين يريد أن يصنع من البشر جنودًا له فيهيئ لهذا الغرض بأساليبه الخاصة، والنفس البشرية كذلك صالحة لهذه المعركة، فهي ملهمة بالخير والشر ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس:٨) وهذا الإلهام يجعلها تتجاوب مع الخير وتتجند في كتيبته، كما يجعلها تتجاوب مع الشر وتتجند كذلك في كتيبته.

والمعركة قائمة، وأسبابها واضحة، ولم تكن لأن الشيطان لا يؤمن بالله تعالى، فهو يعلم أن الله سبحانه واحد لا شريك له وأنه تبارك وتعالى هو خالقه ﴿خلقتني من نار ...﴾ (ص:٧٦) ويعلم أن مصيره إليه عز وجل، ولكنه يرى في نفسه أنه خير من الإنسان، وأن هذا الإنسان لا يستحق التكريم الذي أكرمه الله به، فقبل هذه المعركة في سبيل غيرته وكراهيته (لعنه الله)، وأعلن الحرب انتقاما من الإنسان وقاد جحافل الشر، وانتقم من الإنسان بالإنسان، فصنع من البشر جنودًا يعملون له ويأتمرون بأمره لينجح في المعركة، حيث لا يرى (لأن طبيعته تغاير طبيعة الإنسان) قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام:١١٢) وقال تعالى في آية أخرى ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾(الأنعام: ١٢١)، وسلك سبيله إلى القلوب «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم... (البخاري) ليبعدهم عن الله.

هذا عن الشيطان، أما الدين، فليس له مصلحة في هذه المعركة إلا إنقاذ هذا الإنسان الذي يحارب نفسه، وقد اتخذ من عدوه صديقًا ينشرح له ويرتاح إليه فيحفظ له الدين ما أكرمه الله به، إذن فالمعركة قائمة، ولا يمكن لإنسان أن يقف متفرجًا، فإما أن يكون في كتيبة الخير، وإما أن يكون في كتيبة الشر، أي إن من الناس من يخلص للخير ومنهم من يخلص للشر.

ومنهم مذبذب تجتاحه موجة من هذه وموجة من تلك، ينتصر للخير تارة وينهزم أمام الشر تارة أخرى، فلينظر كل منا إلى دخيلة نفسه وليتعرف إلى مكانه من المعركة.

والجديد في الأمر هو أن يكشف كل منا عن حقيقته لنفسه، فصارح قلبك بهذه الحقيقة، وتحسس مواطن الصواب ومواضع الخطأ، ومواطن الكمال ومواطن النقص، ثم أصلح واستكمل واستقم على طاعة الله سبحانه ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص:٧٧).

أكاديمي عراقي

د. محمد الصالح لـ «الوعي الاسلامي»:

تجديد الدين بالتمسك بأحكامه لا بالتغيير والمسخ

صابر رمضان

أكد أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة بالرياض وعضو المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.محمد بن أحمد بن صالح الصالح أن المتأمل يجد الأمة الإسلامية تئن وتتوجع لما أحاط بها من كل جانب، وأن تجديد الدين يكون بتقوية التمسك بأحكامه وليس بالتغيير والمسخ، وأن الدين الإسلامي مازال بحاجة إلى رجال أقوياء يسددون خطى الأمة ويوجهون مسيرتها إلى الإسلام، كما أوضح خصائص وميادين عمل المجدد. وأضاف أن التجديد والاجتهاد مترابطان، وأشار إلى أن المنهج الحضاري الإسلامي يدعو للتكامل بين الحضارات على أساس من القيم الإنسانية الربانية، وعلى أساس من الترشيد والتصحيح الحضاري المشترك. وأكد د.الصالح أن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان وتساير الدهر وتستقر في صفحة الخلود، وأن الإسلام دعا إلى التسامح ويدعو للتعارف وتبادل المصالح والمنافع وفق المنهج الرباني، «الوعي الاسلامي» التقت بفضيلته على هامش حضوره أحد المؤتمرات الإسلامية الكبرى في القاهرة.. واليكم نص الحوار:

■ تداعت الأمم وتكالب العلمانيون على الأمة الإسلامية من أجل تذويب هويتها أو مسخها، فما تقييمكم لواقع الأمة في الوقت الراهن؟

إن المتأمل يجد الأمة الإسلامية تئن وتتوجع لما أحاط بها من كل جانب، فعداء الغرب للمسلمين مستمر، كما ظهر في تسلط العلمانيين وحركات التغريب والغزو الفكري والثقافي، حتى أصبحت الأمة الإسلامية لا حول لها ولا طول ولا شأن، فالمجتمع الإسلامي أصيب بالضعف والتفكك الاجتماعي، وذاق جراء ذلك مرارة التأخر والضعف الفكري، ما أصيبت به أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إلا كان هناك انحطاط في التفكير واهتمام بالخرافات والأساطير.

■ نود إلقاء الضوء على مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي؟

- التجديد في الحقيقة لغة ومعنى هو العودة إلى أصل الشيء وبدايته وظهوره للمرة الأولى وإصلاح ما أصابه من خلل ليعود قويًا كما كان منذ بدأ، وليس التجديد هو التغيير والمسخ، وعليه فإن تجديد الدين يكون بتقوية التمسك بأحكامه إذا حصل نوع من الوهن في التمسك بها، وعلى هذا نقيم قوله ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (أبو داود)، والتجديد الذي أشار إليه الحديث يكون عند آخر كل قرن من هجرة النبي ﷺ على الأظهر، فالمراد بالتجديد- والله أعلم- ما يعيد القوة والحياة، وتجديد الدين لا يكون إلا بالدين وللدين، لا بالدنيا ولا للدنيا، ولا يكون إلا من داخل الدين وبمفاهيم الدين لا من خارج الدين أو بمفاهيم مستوردة وأفكار دخيلة، ولذلك كان الدين الإسلامي ولا يزال بحاجة إلى رجال أقوياء يسددون خطى الأمة ويوجهون مسيرتها إلى الإسلام سواء كان عملهم في ذلك محيطًا شاملا أم كان مقتصرا على بعض النواحي، وهؤلاء هم الذين يدعون بالمجددين، والتجديد في حقيقته ما هو إلا تنقية الإسلام من الشوائب، ومن كل جزئية من أجزاء الجاهلية ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان، وهو أيضا إعادته إلى ما كان عليه في عهد الصدر الأول، وذلك بجعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، وإعادة ما ينقص من عرى أحكام الدين، وجلاء ديباجته من جديد، وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما.

الإسلام دين الدعوة إلى التسامح والتعارف وفق المنهج الرباني

■ ما أهم خصائص وميادين عمل المجدد؟

من الخصائص التي تحقق للمجدد التفوق وتعينه على تحقيق رسالته أن يكون متمتعا بصفاء الذهن والبصيرة النافذة والفكر الثاقب المستنير، والقدرة النادرة على تبيين سبيل القصد ومراعاة الاعتدال بين الإفراط والتفريط، والقدرة على التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة والعصبيات القديمة الراسخة على طول الزمن، والشجاعة والجرأة على إظهار الحق والكفاءة الفذة للاجتهاد، قائما بالحجة ناصرا للسنة، مجلا للعلم معزا لأهله، قامعا للبدعة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق ودقائق النظريات من نصوص الفرقان، والعلم بإشاراته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان، ثم كونه مع ذلك كله مطمئنا قلبه بشرائع الإسلام، قادرا على بيان الحق وفصله عن ركام المعضلات التي أتى بها الزمان، أما ميادين عمل المجدد فهي:

أولا: العمل على غرس العقيدة الصحيحة الصافية في النفوس، وتصحيح ما أخطأ الناس فيه منها واستكمال ما نقص لديهم، ومن ثم إيجاد العقلية الإسلامية الخالصة.

ثانيا: تشخيص أمراض المجتمع الذي يعيش فيه المجدد تشخيصا دقيقا صحيحا، ومن ثم يكون قادرا على وصف الدواء الذي يحسم به الداء وفق منهج الإسلام.

ثالثا: بذل الجهد للإصلاح العملي لإبطال التقاليد الجاهلية وتزكية الأخلاق وإشباع النفوس حبا لاتباع الشريعة.

رابعا: بذل قصارى جهده في ضمان سلامة روح الشريعة الإسلامية وتحقيق مقاصدها وتمكينها من الإمامة العالية في الرقي والحضارة.

خامسا: العمل على إزالة ما ظهر من البدع والمحدثات في المجتمع وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما.

■ تتباين رؤى مفكري العالم الإسلامي تجاه «العولمة» بين مؤيد لها ومروج لأفكارها ورافض لها ومحذر من مخاطرها، كيف كن مواجهة مخاطر العولمة؟

إن مخاطر العولمة شاملة ولا تتوقف عند مجال بعينه، فإذا كان للعولمة آثارها السلبية على النواحي التجارية والاقتصادية للكثير من الدول، خاصة دول العالم الثالث، ومن بينها دول العالم الإسلامي، فإن لها أيضا آثارها غير الإيجابية على مسائل أخرى كحقوق الإنسان وتطبيق القانون بطريقة غير موضوعية، فالعولمة ليست ذات مغزى اقتصادي فقط، وإنما لها أيضا آثارها البيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية، وليس هناك سوى سبيل واحد لمواجهة مخاطر العولمة يتمثل في التكتل الإسلامي على الأقل في الناحية الاقتصادية وتضافر الجهود لرفض كل ما تفرزه العولمة من قيم ومبادئ لا تتناسب مع ثقافتنا وتراثنا الحضاري وعاداتنا الاجتماعية.

■ بعض المرجفين والمشككين يرون أن الإسلام غير قادر على تحقيق مبدأ المساواة الاجتماعية والحرية للإنسانية بصفة عامة، فما قولكم؟

إن العامل الجوهري والأكثر ديناميكية في مجال الأخلاق الاجتماعية التي منحها

السنة جاءت مكملة للكتاب.. والمنهج الحضاري يدعو للتكامل بين الحضارات

الإسلام للإنسانية هو المساواة، كما أن كل أعضاء المجتمع المسلم، بغض النظر عن العرف أو اللون أو المركز الاجتماعي والاقتصادي، أعضاء مشاركون في المجتمع، والعرب المسلمون يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقا لنظمهم السياسية، ومبدأ المساواة راسخ في طبائع أهل الشرق المسلمين رسوخا تاما، والإسلام قدم للعالم المساواة الاجتماعية التي لم تعرف من قبل في أي حضارة قديمة.. الإسلام فقط هو أول من قدم هذا المعنى للمجتمع الإنساني، وناصر الحرية والمساواة التي كانت في الحقيقة قد نسيت على أرض الحضارات التي تغلب عليها، ومع أن كثيرا من الديانات والمذاهب الأخلاقية دعت إلى المساواة بين البشر، فإن الإسلام وحده، فيما يبدو حتى الآن، هو الذي نجح في غرس هذا التصور في تفكير سلوك المؤمنين به، الواعين بحقيقته.

■ ما أهم واجبات الأمة في هذه المرحلة للتعريف بقيم ومفاهيم المنهج الحضاري الإسلامي؟

النهج العلمي والموضوعي للتعريف بقيم ومفاهيم المنهج الحضاري الإسلامي يتطلب عدة أمور منها، تقديم دراسات عميقة وموضوعية حول مفاهيم وقيم ومبادئ الإسلام العالية، وتقديم دراسات حول المناهج التاريخية والمعاصرة التي تؤكد جدية المنهج الإسلامي وصلاحيته في الدعوة إلى تعايش بشري عالمي، مع اختلاف الأديان والأعراف والأجناس، وكذلك التعرف على التيارات الكبرى في العالم وموقفها من الإسلام سواء تلك المنصفة أو المتطرفة لإجراء حوارات بناءة للتعريف بمبادئ الإسلام وقيمه، وتكوين الدعاة من المناطق التي تسكنها الأقليات الإسلامية ليقوموا بتبليغ قومهم، ودعوتهم للإسلام والتركيز على قيمه العالمية، وعرض التصورات الإسلامية الأصيلة عن قضايا الحياة، كحقوق الإنسان والعلاقات الدولية وحقوق المرأة والنظام الاقتصادي، ولإزالة الشبهات التي تلصق بالإسلام في الأذهان عبر الكتب ووسائل الإعلام، والعمل على تشجيع الدراسات الإسلامية في الجامعات العالمية.

إن المنهج الحضاري الإسلامي يدعو إلى التكامل بين الحضارات على أساس من القيم الإنسانية الربانية وعلى أساس من الترشيد والتصحيح الحضاري المشترك، وفي المقابل فإن المنهج الإسلامي يرفض ويمقت الدعوة للتصادم والصراع الحضاري، ويعتبر ذلك من الفساد في الأرض، كما يؤكد المنهج الحضاري الإسلامي أن قضية العدل والإحسان إلى الناس هي مهمته في الأساس، فهي أم الفضائل ومبعث الأمن والرخاء والاستقرار والسلام وذلك مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...﴾ (النحل:٩٠)

■ أخيرا..بين الاجتهاد والتجديد كمفهوم صلة، هل يقبل الإسلام التجديد كما يقبل الاجتهاد؟

التجديد والاجتهاد مترابطان، والإسلام بما أنه خاتم الأديان وهو دين صالح لكل زمان ومكان فيه ثوابت وكليات ونصوص قطعية، لكن فيه مساحة كبيرة متروكة للاجتهاد ولمواجهة مستجدات العصور، وفي الحديث الصحيح: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (المقاصد الحسنة للسخاري)، لكن التجديد يكون داخل فقه القرآن والسنة وفق شروط الاجتهاد التي يجب أن تكون محكومة بالكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، أما الاجتهاد في نفس المصادر فهو إلغاء وتبديد ولا علاقة له بالاجتهاد والتجديد، وهو هدم، وفي هذه الحالة تصبح المصلحة الوقتية الظاهرة والعقل الذي يغلب عليه الهوى والغريزة يصبحان هما المرجعية وتنتفي بالتالي مرجعيته للكتاب والسنة، وكم أخطأ العقل في حق الإنسانية وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

هل يجدي الحوار مع المنافقين أو المتزمتين؟

أ.د. محيي الدين عبد الحليم

إذا كان الحوار مطلبًا إنسانيًا وضرورة شرعية كأساس للتفاهم والإقناع مع من يختلفون معنا في الرأي أو يناصبوننا العداء، أو يتعصبون لأفكارهم ضدنا، فقد التزم الرسول ﷺ بمنهج متميز في حواره مع مختلف الطوائف وأصحاب الاتجاهات المختلفة والمؤمنين بعقائد ومذاهب أخرى، ولم يجبر أحدًا على اعتناق الإسلام، بل ترك للجميع حرية الاختيار انطلاقًا من المرجعية العقدية التي أكد عليها القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...﴾ (الكهف: ٢٩) مؤكدًا أن دوره ينحصر فقط في البلاغ والدعوة مصداقًا لقوله تعالى ﴿... فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (آل عمران: ٢٠).

يأتي ذلك انطلاقًا من أن الله يهدي من يشاء، حيث إن سنة الله تكمن في تنوع الأفكار والرؤى، فلا مجال للعداوة والكراهية حتى مع المشركين، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦)، فالإسلام لا يعادي غير المسلم لأنه مخالف له في عقيدته أو مذهبه، بل إنه يأمر بمودة هؤلاء، إلا إذا ناصبوا المسلمين العداء، وقد دل تاريخ المسلمين على أن تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضي أرفع إنسان من المسلمين وينتصف منه، وقد نشأ المسلمون نشأتهم الأولى والدين أقوى حاكم على شعورهم، ولما انتشر العلم ونبغ فيهم المؤلفون والباحثون لم تصب هذه النزعة فيهم أحدًا، بل زادتهم رونقًا، وهذه الإيجابيات تسمح بلغة مشتركة وتشكل ركيزة أساسية للالتقاء بين الدعوة الإسلامية وأبناء الجنس البشري كله حتى وإن كانوا ملاحدة أو مشركين، ومن أبرز معالم احترام الإنسان في دعوة الإسلام ما حث عليه القرآن من أسلوب معاملة غير المسلمين، فقال عن أهل الكتاب ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقد أعطى الرسول ﷺ مثلا أعلى لمعاملة أهل الكتاب، فكان يحضر ولائمهم، ويشيع جنائزهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم وكان يقترض منهم نقودًا، ويرهنهم أمتعة لا عجزًا ولا ضعفا، ولكن لكي يعطي المثل الأعلى للمسلمين للسير على منهاجه والتحاور مع أهل الملل الأخرى في صفاء ووئام، وقد فتح الإسلام باب الحوار على مصراعيه، وهو باب واسع يجرف كل عقبة تقف أمامه، وحارب الجمود على المألوف والتقليد الأعمى الذي لا يمكن أصحابه من رؤية الحقيقة، ذلك أن الدعوة الإسلامية تتسع لتخاطب الجميع في كل زمان ومكان انطلاقًا من صلاحية هذه الرسالة لكل زمان وكل مكان، لا سيما أن ديننا لم يمنعنا من الحوار مع الآخر، وتبادل المعارف والثقافات والانفتاح على العالم بثقافاته وأفكاره المتنوعة مع الحفاظ على ثقافاتنا الذاتية وهويتنا الفكرية، والتاريخ البشري كان عنوانًا صادقًا لتزاوج الأفكار والحضارات، وهو ما أسهم في ازدهار الحضارة الإنسانية في عصور النهضة الإسلامية.

ولم يذكر التاريخ أن محمدًا بن عبدالله ﷺ كان يدعو على قومه بالهلاك، أو يرفع ضدهم سلاحًا، ولكنه كان يجادلهم بالتي هي أحسن ويضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق النقاش والحوار والجدل المفيد، فالفكر لا يواجه إلا بالفكر والحجة الباطلة لا يدحضها إلا حجة منطقية، والكلمة الخبيثة لا يبطلها إلا الكلمة الطيبة، وفي ضوء ذلك فإن الدعوة الإسلامية ترحب بالحوار، وتؤكد على أهميته لأنه يفتح المجال واسعا لتصحيح المعلومات وعرض الحقائق لهؤلاء الذين أساءوا فهم الدعوة الإسلامية وناصبوها العداء، وأكدت على الرفق بالإنسان أيا كان مذهبه أو فكره أوعقيدته.

وبهذا نرى أن الله عز وجل قد بين لنا الطريق الصحيح للتخاطب مع الغير، وهو طريق الحكمة، والتدرج، والصبر على المخالفين، ومن حق كل إنسان أن يقدم حججه وبراهينه، وأن يقول رأيه بصراحة، ويبدي وجهة نظره دون خوف، فليس في الإسلام قيد على الحرية، ولا كبت للرأي، ولا إجبار على السكوت، بل لكل إنسان أن يتحدث بما شاء سواء كان رأيه صوابًا أو خطأ، ومن ثم فإنه لابد من إتاحة الفرصة لكل أصحاب المذاهب والأديان والأفكار الأخرى أن يقولوا ما يتراءى لهم، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يشعر الجميع من خلاله أنهم في أمان ولا خوف عليهم، ولا افتئات على حقوقهم، ولم يواجه أنبياء الله المعارضين لدعوتهم بالإجراءات الأمنية والأساليب القمعية، ولم يرفع قادة التنوير السلاح ضد من خالفوهم في العقيدة أو الرأي، ولكنهم استخدموا معهم أسلوب المحاورة والمجادلة بالكلمة الطيبة والأسلوب الرقيق.

وهكذا نرى أن الإسلام جاء بمنهج رباني يدعو إلى حرية العقيدة، وإلى الود والتسامح والسلام، لأن دعوته دعوة بلاغ وإعلام، ومهمة نبيه تقوم على الإقناع وليس على الإكراه، وتعتمد على الكلمة الطيبة، فالإسلام ليس بحاجة إلى هؤلاء الذين يدخلونه دون رضا واقتناع، ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ (يونس: ١٠٨).

إلا أن الحوار لا يكون مجديًا

أستاذ الصحافة في جامعة الأزهر

مع بعض الشرائح البشرية، لأن ثمة عقليات غير قابلة للتفاهم، وغير مستعدة للنقاش، هؤلاء الذين قال الحق فيهم ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (البقرة: ٦ -٧) ولو كان الحوار مفيدا مع الجميع لما لجأ الرسول ﷺ لقتال كفار مكة، ولما قام أبوبكر الصديق لقتال المرتدين، ولما أوفد عمر بن الخطاب جيشًا لمحاربة الفرس والروم، ولما حارب صلاح الدين الصليبيين في حطين.

ولو كان الحوار مجديًا مع كل الناس لاستجاب أبولهب لدعوة ابن أخيه، ولاستجاب هرقل والمقوقس وكسرى لمنطق العقل، فقد اضطر الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده لمواجهة هؤلاء الظالمين للرد على اعتداءاتهم المتكررة على دعوة الإسلام وتهديدهم الدائم لهذه الدعوة الوليدة.

ومن الذين لا يجدي معهم حوار، هؤلاء الذين لا يبالون بالعقائد والأخلاق ولا يؤمنون بالله الخالق البارئ المصور، ويحملون الأحقاد والكراهية، وتمتلئ قلوبهم بالسواد على الأنبياء والمؤمنين، وهؤلاء قد أصيبوا بأمراض مستعصية يصعب الشفاء منها، ويفعلون ما كان يفعله النمرود الذي ظن أنه قادر بجبروته وسلطانه على كل شيء، وقد قام المتعصبون من أصحاب الرؤى المريضة والأقلام المسمومة الذين لا يؤمنون بالأديان السماوية بما فعله أسلافهم، فلم يعترفوا بعالم الغيب ولم يوقروا أحدًا من أنبياء الله، ولم يعترفوا بالمقدسات أمثال فلدرز في هولندا وسلمان رشدي الذي أصدر كتابه المشؤوم «آيات شيطانية».

وقد كان هؤلاء يرفضون دعوة الرسل ويعارضونهم، ومنهم من لا يزالون يحتلون مراكز القيادة والريادة في دولهم، هؤلاء الذين قال عنهم القرآن: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرًا مثلنا...﴾ (هود: ٢٧) كما قال عز وجل: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ (ص: ٦).

ولعل الحوار يكون أكثر فائدة مع العصاة والجاهلين، فالعصاة هم فئة من الجماهير المسلمة ولكنها ضعيفة الإيمان، وانزلاقهم إلى المعاصي سهل، وإن كانوا قد نطقوا بالشهادتين إلا أنهم يرتكبون المخالفات، فمنهم كثير المعاصي، ومنهم المقل لها، وبين هذا وذاك درجات، ومن هؤلاء من يغفل عن أداء العبادات، وينشر الفساد، ويسب أمه وأباه، ومنهم التي تخون زوجها مع رجل آخر، وهذا الذي يقيم علاقة آثمة مع زوجة صديقه، وقد كشفت لنا الوقائع والأحداث في الآونة الأخيرة عن وجود خلل في الأخلاق مما أدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق، وأسهم في افراز جيلٍ مهترئ لا يعرف عن القيم شيئًا مما يؤكد العجز والاختلاف في التنشئة الأسرية والبرامج الاعلامية والدعوة المسجدية لأن كثيرًا من الدعاة قد فقدوا مصداقيتهم بعد أن كان الناس ينظرون إليهم باعتبارهم نماذج حية لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكاتهم التي كانت نماذج للاستقامة والصلاح والتقوى.

خطورة العصاة والجاهلين أقل أثراً من خطورة المنافقين الذين لبسوا ثوب الدين لتحقيق أغراضهم

إلا أن أخطر الفئات وأشدها عصيانا هم المنافقون الذين يظهرون غير ما يبطنون، وقد واجه الرسول ﷺ هذه الفئة في المدينة، وأنزل الله فيهم آيات بينات، فقال عز وجل في سورة البقرة ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (البقرة: ١٤) وقد حكم الله عليهم بقوله في سور النساء: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾، وحدد الرسول ﷺ أوصافهم وسماتهم المميزة في حديثه القائل «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان (رواه الشيخان) وزيد في بعض الروايات «إذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»، وهؤلاء أيضا لن ينصلح حالهم إلا إذا أعلنوا التوبة ورجعوا إلى الله واستقاموا.

وفي الحقيقة إن جوهر النفاق واحد وإن اختلفت أنماطه وأشكاله ودرجاته، إلا أن خطورة المنافقين تكون أشد، إذ لبسوا ثوب الدين والعقيدة، فهم حينئذ يسخّرون الدين لتحقيق أغراضهم، ويفسرون الآيات القرآنية حسب أهوائهم، ويلوون عنق الحقيقة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وإذا كانت الآيات التي تتحدث عن المنافقين في القرآن الكريم كثيرة فإن الله عز وجل قد خصهم بسورة كاملة سميت باسمهم، تضم إحدى عشرة آية، وتكمن صعوبة الحوار مع المنافقين في أن مدخلهم يخالف مخرجهم، وسرهم يخالف علانيتهم، وأقوالهم تخالف أفعالهم، فهم يمتطون كل موكب يضمن لهم السيادة والريادة والقيادة، ويجيدون فن الخداع لأنهم يظهرون غير ما يبطنون، وقد وصفهم نبي الأمة ﷺ بأنهم شر الناس لصعوبة فهم كوامن نفوسهم وذلك في قوله ﷺ «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (صحيح البخاري)، وقد راجت أقنعة التنكر وأساليب التمويه والتضليل في العصور الحديثة، مما أسهم في هدم العديد من القيم والمبادئ التي قامت عليها حضارة الأمة.

الضريبة العقارية.. رؤية فقهية

د.مسعود صبري

بداية نقول: إن المال الذي يتوجب على المسلم دفعه ويأثم بتركه هو مال الزكاة، وهذا معلوم لكل مسلم مما ورد في الكتاب والسنة من وجوب إخراج الزكاة بوصفها ركنا من أركان الاسلام، وفريضة افترضها الله تعالى على عباده، وإجماع الأمة على وجوبها، ولكن هذا الوجوب له شروط يجب توافرها، وإلا لم تكن الزكاة واجبة، فمن ذلك: بلوغ النصاب، ومرور عام هجري كامل، وأن يكون المال فائضا عن الاحتياجات الأساسية، والملك التام، مع كون المزكي مسلما حرا، وهذا يعني أن الزكاة تجب في مال المسلم الذي فاض عن ماله نصاب يعتبر به في حكم الغني، وأن يمر عليه عام هجري كامل، فيخرج ربع العشر (٢,٥٪).

أجاز جمهور الفقهاء المعاصرين- وخالفهم البعض- أن تفرض الدولة على القادرين من الشعب ضرائب لسد احتياجاتها من المنافع والمصالح التي تعود على الشعب ذاته؛ ورأوا أن ذلك من المصالح المرسلة.

ولكن فرض تلك الضرائب يكون في حالة عجز الدولة عن توفير الخدمات العامة ومصالح المسلمين كبناء المدارس والمستشفيات والطرق، ففي هذه الحالة يجب على المسلم أن يؤدي ما فرض عليه إلا إذا كان فيه إجحاف به، لأن دفع الضرائب ساعتها يكون من باب التعاون على البر والتقوى.

جاء في قرارات مجمع البحوث الإسلامية: «وأن لأولياء الأمور أن يفرضوا من الضرائب على الأموال الخاصة ما يفي بتحقيق المصالح العامة».

وقال القرطبي: اتّفق العلماء على أنّه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزّكاة فإنّه يجب صرف المال إليها.

شروط فرض الضرائب

ولكن هذا الجواز ليس مطلقا، فقد وضع الفقهاء شروطا لجواز فرض الدولة ضرائب على الشعب.. هي:

الأول: أن تكون هناك حاجة حقيقية بالدولة إلى المال، ولا يوجد مورد آخر لتحقيق الأهداف وإقامة المصالح دون إرهاق الناس بالتكاليف.

الثاني: أن توزع أعباء الضرائب بالعدل بحيث لا يرهق فريق من الرعية لحساب فريق آخر، ولا تحابى طائفة وتكلف أخرى.

الثالث: أن تصرف الضريبة في المصالح العامة للأمة.

الرابع: موافقة أهل الشورى والرأي في الأمة، لأن الأصل في أموال الأفراد الحرمة، والأصل أيضا براءة الذمة من الأعباء والتكاليف.

وقبل أن تصدر الدولة ضرائب ابتداء، أو ضرائب جديدة يجب مراعاة عدة أمور أخرى.. أهمها:

١- أنه يجب التأكد من أن موارد الدولة لا تكفي لاحتياجاتها، وأنه يجب النظر إلى الاحتياجات والموارد ثم النظر إلى العجز الحاصل المراد سداده.

٢- أن فرض الضرائب بعدها لا يكون على الفقراء، وإنما يكون على الأغنياء وحدهم، ومن تلك الضرائب التي تضر بالفقراء ما يعرف بالضرائب غير المباشرة كالضريبة العامة على المبيعات، التي تفرض على معظم السلع الاستهلاكية من المنبع لضمان تحصيلها، وعادة لا يشعر بها المستهلك لأنها جزء من السعر.

٣- أن الضريبة يجب أن تكون على المال المستثمر، وليس على ما يمتلكه الإنسان من سكنه الذي يعيش فيه، مهما كانت قيمته عالية.

٤- أنه لا يجوز أن تفرض وظيفة مالية بصفة مستمرة ودائمة لأن ذلك يخالف علة فرضها وهو وجود الحاجة العامة، فإن ارتفعت بالموارد العادية أو انتهاء نفس الحاجة، فينبغي إنهاء هذه الوظائف .. ولا يجوز فرض أي وظائف مالية إلا بحق، وإلا عد من يفعل ذلك من أصحاب المكوس الجائرة.

٥- أن التوسع في فرض الضرائب متنوعة على الرعية محظور شرعا في أساسه؛ لأنه تسلط على أموال الناس واعتداء على الممتلكات الخاصة، فهناك ضريبة على الأجور والرواتب، وضريبة على الأسواق، وضريبة شركات الأموال، وضريبة القيم المنقولة، وبدلات ومكافآت أعضاء مجلس الإدارة، وضريبة المبيعات، وضريبة الدمغة، وضريبة الملاهي، ورسم تنمية الموارد، وغيرها، فمثل هذا التوسع يجب ألا يكون هو الأصل؛ لأن الضريبة إنما أبيحت على خلاف الأصل سدا لحاجات ضرورية.

أقوال أهل العلم

وقد نص عدد غير قليل من أهل العلم قديما وحديثا على حرمة فرض ضرائب على العقارات خاصة، ومن ذلك:

قال الشيخ محمد صديق خان

«ومن الأنواع التي يأكلون بها (أي الحكام) أموال الرعايا أكلا ظاهرا ويتجرون فيها اتجارا بيّنا أنهم يجعلون ضرائب على الباعة في الأسواق يجبرونهم على تسليمها شاءوا أم أبوا، ثم يأذنون لهم بالزيادة في الأسعار فيبيعون بما شاءوا ويصنعون بالناس ما أرادوا وليس عليهم إلا الوفاء بالضرائب، فإذا استغاث مستغيث بالناس من زيادة الأسعار أو أراد منكر أن ينكر على الباعة ما يفعلونه، قالوا: هذه الزيادات للدولة، فيلقمون المنكر والمستغيث حجرا، وكم أعدد لك من هذه إلا حبولات الشيطانية التي هي السحت بلا شك ولا شبهة، نسأل الله أن يصلح الجميع انتهى. ومن هذا القبيل أنواع المكوس على أهل الدور والتجارات والضرائب المتنوعة التي لا تكاد تنحصر على الرعايا في الأشياء المختلفة.

وقال الدسوقي المالكي

قوله «ما أخذ منه ظلما» أي والحال أنه جرت به العادة كما إذا جرت العادة أن من اشترى عقارا يدفع دينارا مكسا للحاكم (أي ضريبة)، أو لشيخ الحارة.

قال الإمام السرخسي من أئمة الحنفية «رحمه الله»

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

العاشر من ينصبه الإمام على الطريق ليأخذ الصدقات من التجار وتأمن التجار بمقامه من اللصوص، وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يستعمل أنس بن مالك رضي الله عنه على هذا العمل، فقال له: أتستعملني على المكس من عملك؟ فقال: ألا ترضى أن أقلدك ما قلدنيه رسول الله ﷺ؟! والذي روي من ذم العشار محمول على من يأخذ مال الناس ظلما كما هو في زماننا دون من يأخذ ما هو حق وهو الصدقة. إذا عرفنا هذا فنقول: العاشر يأخذ مما يمر به المسلم عليه الزكاة إذا استجمعت شرائط الوجوب.

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية

وقد أجمع العلماء على أن أرض العرب كلها عشرية، لا يؤخذ منها خراج، لأنها بمنزلة الفيء، فلا يثبت في أرضهم خراج، كما لا تثبت الجزية في رقابهم، ومعنى العشرية أنها لا يؤخذ منها غير الزكاة المرتبطة بالأعشار.

وقال الكمال بن الهمام الحنفي

لأن عمر رضي الله عنه جعل المساكين عفوا، هكذا هو مأثور في القصص وكتب الآثار من غير سند في كتاب الأموال لأبي عبيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الخراج على الأرضين التي تغل والتي تصلح للغلة من العامرة وعطل من ذلك المساكن والدور التي هي منازلهم وتوارثه عنه من غير سند وحكى عليه إجماع الصحابة.

هل هذا يعني الحرمة المطلقة لفرض ضرائب عقارية من الدولة على الشعب؟

للدولة أن تفرض ضرائب على العقارات، ولكنها العقارات الاستثمارية بكل أنواعها، وليس على السكن الخاص الذي يعيش فيه الإنسان هو وأسرته، ولا يتكسب من ورائه، يتساوى في هذا أصحاب الثراء وغيرهم من محدودي الدخل، وهذا يعني أنه يحظر- فقها- أن تفرض الدولة ضرائب على السكن الخاص للأشخاص، وذلك لعدة أمور

الأول: أنه مما لا يعرف فيه خلاف بين الفقهاء أن الأموال التي يستعملها الإنسان للحاجة أو للزينة ليس فيها زكاة، وهو أول الوظائف المالية المفروضة على الإنسان،

التوسع في فرض الدولة ضرائب متنوعة على الرعية محظور شرعاً في أساسه

فالبيوت والسيارات وحلي المرأة للزينة مهما كانت قيمته- على الراجح- وغير ذلك ليس فيها زكاة واجبة، فمن باب أولى أنه لا يكون فيها وظائف مالية أخرى كالضرائب.

الثاني: أن الضرائب إنما تجوز بعد جمع الزكاة وغيرها من الضرائب الجائز جمعها بالشروط الشرعية، وهذا ما يخالفه الواقع، فليس هناك جمع لأموال الزكوات، ولا الدولة تجمع كل الضرائب المستحقة، بل أضحى التهرب منها أمرا مشتهرا بين كثير من الطوائف وعلى رأسهم كبار المستثمرين، ومعنى هذا أن على الدولة أن تُفعل جمع المستحقات المالية ممن تجب عليه أولا قبل أن تفرض ضرائب جديدة ستكون مثل غيرها، مع مخالفتها للاجتهاد الفقهي، وذلك لاعتبار أن الضرائب حكم استثنائي لحاجة الدولة، ولا يجوز أن يكون حكما دائما لما فيه من التسلط على أموال الناس بغير حق، وهو ساعتها من المكوس الجائرة التي حرمها الإسلام، وجاء في ذلك ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»، قال البغوي: يريد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا عليه مكسا باسم العشر أي الزكاة.

الثالث: أن الأصل احترام الملكية الخاصة للأشخاص، واحترام ممتلكاتهم وعدم الاعتداء عليها إلا في حدود ضيقة، وأن كثرة الضرائب مع عدم ترشيد الإنفاق والاستهلاك يجعل فرض الضريبة العقارية من الظلم غير المقبول.

الرابع: أن مقصود الضرائب هو سد الاحتياجات وتحقيق المصالح وسد العجز في ميزانية الدولة مما يجعلها عاجزة عن أداء واجباتها تجاه الشعب من تقديم الخدمات العامة، التعليمية والصحية وغيرها، وليس المقصود منها جمع وظائف مالية من الشعب.

مقترحات

وعلى ما سبق، فالذي يبدو أن فرض ضريبة عقارية على السكن الخاص لا يوافق الشريعة بل يخالف أصولها، كما أنه يخالف مقصدا من أهم مقاصد الشريعة من الحفاظ على المال وحرمة الاعتداء عليه، خاصة في ظل وجود عديد من أنواع الضرائب الأخرى.

والواجب على ولاة الأمور عدة أمور قبل التفكير في فرض ضريبة جديدة.. من أهمها

١- وضع خطط صادقة لترشيد الإنفاق العام.

٢- معالجة الخلل في تحصيل الضرائب المباحة وخاصة لدى رجال الأعمال بمستوياتهم، وأن تكون هناك نزاهة ومساواة في جمع الضرائب، حتى لا تكون الضرائب في النهاية على محدودي الدخل، ويتفلت منها كبار المستثمرين بالمعارف أو الرشاوى أو الحيل القانونية.

٣- تفعيل دور السلطة التشريعية كسلطة رقابية على إدارة وتنفيذ الموازنة.

٤- تفعيل آليات الزكاة والوقف في سد الإنفاق المتعلق بالجوانب الاجتماعية، مثل حاجات الفقراء الرئيسية من الطعام والصحة والتعليم والخدمات العامة.

٥- تشجيع رجال الأعمال في إنشاء خدمات كبرى يعود نفعها على المجتمع ويخفف على الدولة ما تعانيه من عجز في الميزانية.

٦- أن تكون هناك خطة تقوم على الرؤية الدينية لتشجيع الناس على إخراج أموال الزكاة، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني في إدارة لجان الزكاة بإشراف من الدولة.

الحروب الصليبية.. الأيديولوجية والأسطورة

د. محمود مسعود

تعد فكرة الحرب الصليبية من أكثر الأفكار التي أثارت جدلا واسعا في الغرب والشرق على حد سواء، منذ الدعوة لها على يد البابا أوربان الثاني (في مدينة كليرمونت الفرنسية عام ١٠٩٥م) وحتى اللحظة الراهنة.

ففي حين يرى بعض رجال الفكر والسياسة خاصة من الغربيين أنها غرست العظمة والفروسية في الغرب، بل أنتجت الحضارة والتقدم، ومن ثم ولدت الرغبة في السيطرة وفرض الهيمنة على الآخر (الشرق الإسلامي) وخيراته، وعلى الجانب الآخر نجد أن معظم الشرقيين وبعض المنصفين من الغربيين وجدوا فيها الانحراف الديني في أبشع صوره وأشكاله، ومن ثم فقد أسست الأساطير والخيالات حول تلك الحروب التي لقبت بالحروب المقدسة، والدينية، والصليبية وغير ذلك من الأسماء التي وسمت بها تلك الحملات، والتي من وجهة نظرنا أقل ما توصف به أنها حروب استعمارية وغير دينية، بل غير إنسانية.

ولهذا نقدم في مقالنا هنا لكتاب عن التاريخ الفكري لتلك الحروب الصليبية، ومؤلف هذا الكتاب هو الفرنسي بول روسيه Paul Rousset وهو أحد المؤرخين الفرنسيين المهتمين بتاريخ الحروب الصليبية، بل من المدافعين عن قيمة تلك الحروب في الماضي وأثرها المهم في التاريخ الأوروبي الحديث، حيث يرى أنه من خلالها نشأت عبقرية أوروبا بنت الثورة وبنت الحضارة. وكتابه يمكن ترجمة عنوانه ب «القصة الأيديولوجية للحروب الصليبية» «Histoire d'uneidéologie Croisade» تلك الحملات التي استمرت منذ عام ١٠٩٥م وحتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ومؤلف الكتاب لا يؤرخ لتلك الحروب بقدر ما يبحث في النظرية الفكرية التي أُسست عليها، والأساطير والأحلام التي نسجت حولها، والتي انطلقت منها الروح الأوروبية المتدفقة في الإنتاج والتضحية من أجل أن تصنع مجدا تليدا لأوروبا عبر تلك الحروب وقبلها وبعدها، حيث إنهم يرون أن روح الحروب الصليبية هي التي صنعت وحدة أوروبا، ووجهت مستقبلها نحو السيطرة على الآخر وامتلاك ثرواته وفهم منطلقاته وتوجهاته الحياتية والفكرية والدينية، بل هذا هو نفسه ما أعان الأوروبيين على أن يظلوا في مقدمة الأمم والشعوب طيلة القرون التي تلتها، ونحن نقصد من تقديم هذا الكتاب غرضين أساسيين:

الأول: كشف جوهر العلاقة بين الأوروبيين وتاريخهم، وبالتالي معرفة إطارهم المرجعي المؤسس على أحلام ماضوية وأسطورية، ومن ثم كيفية استلهامهم لأفكارهم التاريخية، ومن جانب ثان لنبين كيف أن العلاقة بين الغرب؛ ممثلا في الصليبيين، وبين الشرق؛ ممثلا في المسلمين، ظلت قرونا عدة علاقة صراع حضاري وسياسي يتمحور حول من يملك ومن يسيطر على الآخر، ففي حين كان الصليبيون (الرومان) يريدون السيطرة على الشرق وخيراته ويثأرون ممن أخرجهم من الفردوس المفقود، أي المسلمين، كانوا يبثون في أتباعهم أنهم ما جاءوا إلا ليحرروا المسيحيين المظلومين والبؤساء من ظلم المسلمين! كما أن المسلمين استفادوا من تلك الهجمات، ولو لفترات محدودة، بتوحيد صفوفهم وإعادة روح الانتصار من جديد كما زادتهم تمسكا بدينهم وعقيدتهم.

أما الكتاب فهو يدور في أحد عشر فصلا ومقدمة، يبين من خلالها المؤلف كيف أسست فكرة الحروب الصليبية الكاثوليكية أيديولوجيا، وكيف تطورت مفاهيم تلك الحروب حتى غدت أساطير يستلهم منها الشعراء والفنانون والموسيقيون فنونهم، بل أخذت تغذي أحلامهم ومشاعرهم منذ نشأتها التاريخية وحتى العصر الحديث، مرورا بالحروب الدينية ثم الحروب الاستعمارية، فبدءا من الفصول الأولى للكتاب التي يتحدث فيها المؤلف عن الأيديولوجية طويلة الأمد لهذه الحروب، وموضوعاتها التي اتخذت منحى صوفيا وسياسيا، وأن تلك الحروب كانت نموذجا معرفيا مبتكرا ومتكررا، وصولا إلى الفصول الأخيرة حيث يدعو المؤلف فيها إلى إعادة تفسير وقراءة أهداف ونتائج تلك الحروب من جديد، ومرورا برؤية المؤلف لها في ضوء الحقيقة والخيال والأساطير التي نُسجت حولها، من خلال التصوير الأدبي والفني، ثم من خلال إبرازها كنموذج حقيقي للفكر الغربي من جانب، أو كنموذج خيالي كاريكاتوري وأسطوري من جانب آخر. لاسيما أن كلمة صليبيين ذاتها كلمة غنية بدلالتها، فرغم اختفاء المؤسسة الصليبية من عهود طويلة فإن هذا المصطلح ظل جزءا من اللغة المعاصرة، بل مستخدما في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، بل حتى المعلنون يستخدمونه في إعلاناتهم، فللكلمة استخداماتها المتدفقة دون مبرر أحيانا، وربما بعيدا عن معناها التاريخي أحيانا أخرى حتى غدت كلمة دارجة.

وأخذ المؤلف على عاتقه إيضاح التكوين المعرفي والثقافي لهذه الأيديولوجية التي قامت عليها الحروب الصليبية، بدءا من مرحلة الدعوة والإعداد التي كانت دينية بحتة، ثم ما نتج عن ذلك من فكرة حماية الحجاج، وانتزاع الأرض المقدسة من بين يد المسلمين، ثم بين المؤلف كيف كانت رؤية المسيحيين لتلك الحروب وكيف تطور هذا المفهوم من الحرب العادلة إلى الحرب المقدسة، ساردا تاريخ ميلاد المؤسسة الصليبية التي تبنت تلك الأيديولوجية، منذ الحملة الأولى وأحداثها والتي يصفها بأنها الحملة الوحيدة التي ينطبق عليها مسمى الحروب الصليبية، ففيها خرج العباد الزهاد، وكانت

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

أغراضها دينية بحتة، أما غيرها من الحملات فكانت- في رأيه- سياسية واقتصادية، وليس لها من طابعها الديني إلا الاسم.

وتساءل المؤلف عن الأهمية العقلية لتلك الحروب، وما أنتجته فكرة التوسع السياسي والتحولات السياسية والدينية لتلك الحملات الصليبية من خير أو شر، ثم وضح كيفية انهيار الحلم الذي كان يراود الصليبيين في القضاء على المسلمين، ولم ينس المؤلف أن يدافع عن الحروب الصليبية ونتائجها لكونها موردا أساسيا لروح البطولة والفروسية الغربية، تلك الروح التي أمدت الغرب بنجاحات عديدة في مجالات مختلفة، وكذلك ما أنتجته تلك الفروسية من أخلاق عند الصليبيين! وما أثمرته من نظام عسكري مستقر في الغرب، وما أظهرته من صور عديدة للبطولات والتضحيات استمرت زمنا طويلا، كما لم ينس أن يذكر بيأس الصليبيين وخيبة أملهم بعد خسائرهم المتلاحقة على يد صلاح الدين والمسلمين، مما حدا بوجود حركات مسيحية ترى عدم جدوى تلك الحروب في الانتصار على المسلمين، مثل فرنسوا دي أزيس مؤسس الإخوة الأصاغر (الفرنسيسكان)، ريموند لول أبو الاستشراق الغربي الذين دعوا إلى تغيير الوسيلة في الصراع مع المسلمين، وهذا ما أدى إلى تحول مفاهيم الصراع الصليبي الغربي مع المسلمين، فأخذت الحملات الصليبية تنحرف شيئا فشيئا عن أغراضها الأساسية، ثم كانت هناك محاولات أخيرة من الصليبيين لكيلا تنحرف تلك الحروب كليا عن مسارها، لكن ما ظهر فيها من فساد وإفساد، خاصة ما جاء من دعوات كاذبة باسم الحروب الصليبية، أدى في النهاية لانهيار الحلم الصليبي.

باحث فرنسي أثبت أن النص القرآني هو الأقرب إلى معطيات العلم الحديث

ثم شرح المؤلف مقومات الأيديولوجية المؤسس عليها الفكر الصليبي، إذ تقوم على فكرة الحرب في الديانات ومدى قبولها أخلاقيا، مبينا الخلاف القائم حول شرعيتها بصفة خاصة عند المسيحيين الكاثوليك، كذلك أخذ يرسم صورة لتحولات الصراع الفكري الناتج عن آثار تلك الحروب من النقاش والحوار حول المشاعر والعواطف التي كان مبعثها فكرة العاطفة الدينية نحو بيت المقدس واستعادة الأرض المقدسة من المسلمين، ثم ما كان من خيبة أمل الصليبيين بظهور الحروب الدينية فيما بينهم في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، مما أدى إلى موت العاطفة الدينية وتحولها، ثم ظهور النزعات والصراعات الداخلية والتي أخذت من مشروعية الحروب باسم الدين ذريعة للحرب باسم المذهب الديني والعقيدة، حيث برر كل من الكاثوليك والبروتستانت مشروعية الحرب للدفاع عن عقيدته في مقابل الآخر، فأخذ الغربيون يبحثون عن حل وعن رؤية للسلام الداخلي فيما بينهم، كما جاء عند فرنسوا دو لانو، ثم أخذوا يحلمون بعودة روح الحروب الصليبية وما خلفته من الأفكار الثورية المستمرة، بدءا من فكرة الحروب الطاهرة والنقية، ثم فكرة الحروب الثورية والتحررية.

ونحاول أن نقف مع بعض أفكار الكتاب الرئيسة وقفة نقدية، حيث إن محاولة المؤلف نجحت إلى حد بعيد في تقديم صورة كلية للفكر الذي أسست عليه روح الحروب الصليبية، وإن كانت من وجهة نظر غربية خالصة، ثم إن المؤلف لم يقف معها موقفا نقديا رصينا بقدر ما أخذ يتباكى ويتحسر على القيم الروحية والفكرية لتلك الحروب، وهذا التباكي حمل كثيرا من الدعوات الصريحة لإعادة فهم روح تلك الحروب وإعادة بعث وبث تلك الروح من جديد في الأجيال الجديدة عند الأوروبيين، صحيح أنه لم يدع للحرب لكنه دعا لأن تؤسس أوروبا وحدتها على أساس من هذه الروح الصليبية التي عزى إليها السر في النهضة الأوروبية.

وهنا يجب التنبيه إلى أن الغربيين لا يرون في تلك الحروب ما نراه نحن المسلمين من مساوئ ومخازي، فرغم أن تلك الحروب تخالف جوهر الفكر المسيحي الذي يرفض قتال الآخر، بل يرفض التدافع بمبدئه الشهير «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وغيرها من الأسس التي تبعد بالمسيحيين عن الصراع السياسي والاجتماعي، ومع كل ذلك خرج الصليبيون يقودهم النساك والزهاد والرهبان يحملون الصليب ومعهم أدوات القتل وسفك الدماء، بل صار هذا الصليب- الذي رضيه المسيح حسب زعمهم ليعاني هو وليخلص الناس من المعاناة بتحمله لها وحده- وسيلة لتعذيب الناس، بل لدوام معاناتهم في الشرق الإسلامي لعدة قرون.

أما فيما يخص سبب الحروب الصليبية فقد ركز المؤلف على سببين: الأول ديني، وهو تحرير الأرض المقدسة من المسلمين، وحماية الممالك المسيحية في الشرق الأوسط، حيث ينقل عن بعض المؤرخين قوله عن تلك الحروب: «كل شيء فيها بدأ صوفيا ثم انتهى سياسيا» أي أن السبب الوحيد لها هو العامل الديني الذي تحول إلى سياسي في نهايتها، والثاني اقتصادي: وهو حماية التجار المسيحيين وكذلك الاستفادة من خيرات الشرق، خاصة أن الوضع الاقتصادي في أوروبا كان مزريا وفي حالة حرجة. لكن في الواقع فالمؤلف قد غفل عن الصراع الحقيقي الذي كان بين الشرق والغرب منذ قرون سابقة عن تلك الحملات، فمنذ أن احتل الرومان الغربيون الشرق وسيطروا على خيراته وهم يحلمون بالعودة لهذا الفردوس المفقود، فلما كان المسلمون هم من أخرجهم منها بتلاحمهم مع الشرقيين الذين عانوا الظلم من الحكام الرومان، حاول الغربيون أن يعودوا لذلك الفردوس وليثأروا ممن أخرجوهم منها، وما كان من ادعائهم من أسباب أخرى فما هو إلا مزاعم لتحريك الجماهير نحو هذا الهدف المستور.

وعلى الرغم من أن المؤلف تحدث عن تطور المؤسسة الصليبية التي دعت واحتضنت تلك الحملات، خاصة في الفصل التاسع من الكتاب عندما تحدث عن ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتية في الغرب ما بين القرن السادس عشر والسابع عشر، والتي غيرت كثيرا من مفاهيم الحروب الصليبية، فإن المؤلف لم ير في تلك الحروب من العوار غير أنها تحولت لعواطف أدبية في صورة شعر الحماسة وشعر الملاحم، مع أن أدبيات تلك الحروب عملت على زيادة روح الحقد والكراهية بين الغرب والشرق، بل كرست فكرة الانتقام من الآخر بأي وسيلة وبأي ثمن، وهذا في الحقيقة ما نراه أكبر حاجز بين تقارب الحضارات وبين التواصل الإنساني المثمر.

مسلمو ترينيداد وتوباجو.. والمجهول

عبده مصطفى دسوقي

أصبح العالم كله يتحدث عن الحريات الفردية داخل البلاد، وأصبحت كل طائفة تسعى للعيش بحريتها في الدول التي تعيش فيها، خاصة إذا كانت تستند لدولة قوية تستطيع أن تحميها، وأصبحت المؤسسات الدولية تطالب بحق الأقليات في بلدانها ونيل حريتهم في العبادة أو بناء المؤسسات الخاصة بهم، وأصبحنا نرى الدنيا تقوم ولا تقعد إذا حدث مكروه لمسيحي أو هندوسي أو سيخي أو يهودي، إلا المسلم الذي أصبح لا يطبق عليه شيء من هذه الشعارات، وكأنه هو المطالب فقط بتقديم التنازل من أجل أن يعيش فحسب، لا أن يعيش حرا كريما.

إن كان هذا واقعيا فإن ذلك يحدث من جراء أشياء فعلها المسلمون أنفسهم حتى وصل الحال بهم لما نرى، فقد تخلوا عن شريعة ربهم والتعامل بها حتى في المعاملات، وانهمكت كل دولة في شؤونها الخاصة، مما ضيع حقوق الأقليات الموجودة في دول أخرى، أضف إلى ذلك الهوان الذي وصلنا إليه، كما اخبر بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان فقال: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الآكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة بنا نحن يومئذ؟ قال: بل انتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل...» (صححه الألباني من تخريج مشكاة المصابيح).

أين ترينيداد؟

تقع ترينيداد وتوباجو أمام الساحل الشمالي الشرقي لجمهورية فنزويلا حيث تبعد عن ساحل فنزويلا بحوالي أحد عشر كيلو مترا، وتبعد جزيرة توباغو عن جزيرة ترينيداد بحوالي ٣٢ كيلو مترًا نحو الشمال.

وأرض ترينيداد سهلية في جملتها غير أنها ترتفع في بعض المناطق، ومناخها استوائي، والأمطار غزيرة وقد انعكس هذا على الغطاء النباتي، فالغابات الاستوائية الكثيفة تغطي مساحات واسعة على أرض الجزيرتين مما أضفى عليهما صفة جمالية.

وتتكون هذه الجمهورية Trinidad and Tobago من جزيرتين استوائيتين صغيرتين هما ترينيداد الواقعة في أقصى جنوب جزر «الكاريبي»، وتوباجو الواقعة شمال شرقي ترينيداد، عاصمتها بورت أوف سباين.

ويحدها من الشرق مياه المحيط الأطلنطي ومن الغرب فنزويلا ومن الجنوب جويانا وسورينام وجيانا، ولقد اكتشف كولومبوس هذه الجزر في ١٤٩٨م واحتلتها إسبانيا في عام ١٥٣٣م، ثم آلت إلى بريطانيا في عام ١٨٠٢م، هاجر إليها هنود وصينيون عام ١٨٣٤م، ونالت استقلالها في ٣١ أغسطس من عام ١٩٦٢م، ثم أصبحت عام ١٩٦٧م أول عضو في منظمة الولايات الأميركية، ثم أصبحت جمهورية عام ١٩٧٦م وعين إيليس كلارك أول رئيس عليها.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٥،١٢٨ كم٢، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد تقريبا عن مليون ونصف المليون، و أهم مدنها: بوت أوف سباين، سان فرناندو، أريما، وتعد مدينة سان فيرناندو هي اكبر مدنها.

كما أن عملتها: دولار ترينيداد وتوباغو، ومتوسط دخل الفرد فيها٤ آلاف دولار، وتتحدث الجمهورية اللغة الإنجليزية، أما عن الديانات الموجودة فيها وأعدادها فهي: ٥٤٪ مسيحيون، ٣٤٪ هندوس، ١٢٪ مسلمون.

أما عن اقتصادها فقد استطاعت ترينيداد وتوباجو أن تكسب سمعة ممتازة لجذب الاستثمارات التجارية الدولية، كما أسهم الغاز الطبيعي في إنعاش اقتصاد البلاد، كما تطورت السياحة بالرغم من أنها لم تصل إلى مستويات السياحة في بقية جزر الكاريبي، كما تقوم على إنتاج النفط.

مسلمو الجزيرة

نمت ظاهرة الأقليات الإسلامية في العصر الحديث مع تصاعد الهجرة من البلاد الإسلامية إلى مختلف أقطار الأرض خلال العقد الأول من القرن العشرين، بينما برزت هذه الظاهرةُ على نطاق واسع مع نشوء الدول الحديثة في العديد من المناطق التي كانت تقع تحت حكم المسلمين، إلى أن قررت القوى الاستعمارية الأوروبية إعادة رسم الخريطة السياسية والجغرافية لهذه المناطق، بحيث يتضاءل نفوذ المسلمين ويتقلّص حضورهم ليصبحوا أقليات في المجتمعات التي كانوا يحكمونها إلى عهود قريبة.

ويعود معظم المسلمين فيها إلى الأفارقة الذين استقدموا كعبيد للعمل في الزراعة

والمناجم، وإلى الآسيويين الذين استقدمتهم بريطانيا من شبه القارة الهندية للعمل في الجزيرة أيضا بعد انتهاء عصر الرقيق.

وقد ذكر موقع مفكرة الإسلام تحت عنوان «ترينيداد وتوباجو ونظرة للمسلمين هناك»: عرفت الإسلام من وقت مبكر قبل اكتشافها في عام ١٥٣٣ ميلادية حيث قام مسلمون من غرب القارة الإفريقية برحلات مبكّرة عبر بحر الظلمات - المحيط الأطلنطي - لاكتشاف العالم الجديد، وقد عثر الأسبان هناك على العديد من الآثار الإسلامية المتمثلة في المساجد التي عُثر بداخلها على مكتبات تضم المصاحف الشريفة وبعض كتب الفقه الإسلامي- على المذهب المالكي- المنتشر في غرب القارة الإفريقية، إلا أن الوجود الإسلامي هناك قد تلاشى وتلاشت معه هذه الآثار الإسلامية.

وحسب المعلومات الموثقة التي أوردها الباحث محمد حسن في دراسته «المسلمون في ترينيداد وتوباجو» التي أصدرها في ١٩٧٨م يُظهر أنه عندما احتلت إسبانيا ترينيداد وقامت بنقل عدد لا بأس به من الأفارقة وبالتحديد من السنغال وذلك للعمل بالجزيرة كانت غالبيتهم من المسلمين الذين دعموا الوجود الإسلامي، وكان ذلك في النصف الثاني للقرن الثامن عشر١٧٧٧م، واختلطوا بسكان البلاد وقامت بينهم علاقات تزاوج ومصاهرة مما أدى إلى اعتناق عدد كبير منهم للدين الإسلامي الحنيف حتى وصلوا في مطلع القرن التاسع عشر إلى عشرين ألف مسلم، وحسب الروايات المحلية فقد كان أولئك المسلمون يقرأون ويكتبون العربية.

مثل المسلمون ١٢ في المئة من سكان ترينيداد جاء معظمهم من أفريقيا للعمل في الزراعة والمناجم

وقد تمكّن المسلمون الروّاد من إنشاء بعض المساجد الصغيرة، وقد بُنيت هذه المساجد وفقًا للعمارة الإسلامية البسيطة عن طريق استخدام التكنولوجيا المحلية المتوافرة في ترينيداد.

ولكن الموجة الكبرى من المسلمين جاءت إلى الجزيرتين عندما احتلت بريطانيا جزيرة ترينيداد، ثم تم إلغاء العبودية في ١٨٣٤م، حيث اعتمدت السلطات والشركات البريطانية على مستعمراتها في شبه القارة الهندية لاستقدام العمال للعمل في المزارع والمناجم، بداية من سنة ١٨٤٤حتى سنة١٩١٢م، وفي الواقع أتى الكثير من أبناء شبه القارة الهندية، سواء من المسلمين أو الهندوس، حتى إنهم يشكلون الآن حوالي ثلث السكان في ترينيداد وتوباجو.

تحديات وجهود

تعتبر الإشكالية التي تواجه المسلمين كأقليات في دول أغلبيتها تدين بغير الإسلام أو في الكثير من البلاد الإسلامية خاصة الفقيرة بسبب الوضع الاقتصادي السيئ، هي الحملات التبشيرية التي ترسلها البلاد الكبرى لتحويل المسلمين الموجودين في هذه البلاد عن إسلامهم بكل أنواع الإمكانات والمغريات المادية أو بالتهديد بالقتل والإفناء.

فمثلا نجح الكنديون في إرسال بعثات تبشيرية لترينيداد بغية تنصير المسلمين والهندوس، ونجحوا نوعا ما في مهماتهم، بسبب الجهل بتعاليم الدين وجراء الفقر الذي يعيش فيه المسلمون، وبالرغم من ذلك ظل الكثير منهم يحافظون على إسلامهم.

ومع ذلك كله وبسبب استقرار الوضع السياسي في البلاد، وكفالة الدستور للحريات لكل الطوائف بممارسة الشعائر الدينية، سواء كانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية، استطاع المسلمون تقلد مواقع مهمة في مؤسسات الدولة، فمنهم من تولى حقيبة وزارية، ومنهم من وصل إلى البرلمان، ومنهم من تقلد مهمة ناطق رسمي باسم الجمعية التشريعية (المجلس الاستشاري)، وفي عام ١٩٩٣م أجريت انتخابات فاز فيها القاضي نور حسن علي، وكان أول رئيس مسلم للبلاد.

والمسلمون هناك يعملون في مجالات عديدة ومتنوعة كالطب والقانون والتدريس والخدمة المدنية، وعلى المستوى الاجتماعي يعيشون مع باقي سكان الجزيرة في وئام برغم اختلاف أديانهم وأعراقهم وجنسياتهم وألوانهم، وهناك حرية عبادة تامة يكفلها القانون والدستور، ولهذا يوجد لدى المسلمين في ترينيداد أكثر من ١٥٠ مسجدا ومصلى، ورغم أنهم بدأوا متأخرين في العمل الدعوي والتعليمي والتربوي فإنهم لحقوا بباقي طبقات المجتمع في جميع مجالات التعليم.

وينتشر أغلب المسلمين في جزيرة ترينيداد في المدن الرئيسية مثل «بورت أوف سبين» العاصمة، و«سان فرناندو» و«سان جوان» و«سان جوزيف» و«سانت كلاين» «وكانوبيا»، وأغلبهم يقطنون في جنوب ترينيداد.

ومع ذلك يواجه المسلمون فتنة القاديانية التي تدعي الإسلام وتحاول تشويهه أمام سكان الجزيرة، بل تعمل على عرقلة الجمعيات الإسلامية هناك التي تعمل على نشر الإسلام كجمعية أهل السنة والجماعة والتي تأسست سنة ١٩٣٥م.

وفي عام ١٩٦٠م زار العالم الباكستاني د.فضل الرحمن الأنصار وشحذ همم المسلمين هناك بالعمل للدعوة، حتى إن الكثير من رجال المال والأعمال قاموا بتأسيس جمعية «التبشير الإسلامي» والتي قامت بمجهود طيب في البلاد حتى إنها عقدت برنامجا إذاعيا أسبوعيا لنصف ساعة بعنوان «صوت الإسلام» يشرح الإسلام بصورة طيبة، كما سعت الجمعية إلى نشر الكتاب الإسلامي، وقامت بتوزيع المصحف المترجم إلى الإنجليزية على الدوائر الرسمية والمسؤولين والمدارس، وتعتبر جمعية التبشير الإسلامي من أنشط الجمعيات في البحر الكاريبي، وهناك جمعيات أخرى نشطة.

ولقد قام بعض رؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية بإنشاء المجلس الأعلى للتنسيق الإسلامي، مهمته توحيد جهود الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في البلاد، بالإضافة إلى وضع استراتيجيات جديدة ومعاصرة للدعوة الإسلامية والانفتاح على العالم الخارجي.

وللمرأة المسلمة في الجزيرة دور قوي في الدعوة إلى الإسلام، حيث سلوكها ومظهرها الطيب وحسن معاملتها مع الغير أدت لانتشار الإسلام وسط شرائح النساء.

ورحل الشيخ محمد نايل.. العالم الفذ

عبده مصطفى دسوقي

وسط هذا الجو المليء بالفتن والهجوم على الإسلام وأهله رحل عنا عالم جليل قضى حياته عاملا ومجاهدا ومدافعا عن هذا الدين وحرماته ومقدساته.

ففي إحدى محافظات الصعيد نشأ هذا الرجل وتربى على معاني الرجولة الحقة والغيرة على الإسلام، في قرية دشلوط التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط كان مولد د. محمد نايل أحمد في ٢ يناير ١٩٠٩، تلقَّى تعليمه في كتاب القرية؛ حيث بدأ حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة والحساب، وأتم حفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة، ثم التحق بالمعهد الديني بأسيوط عام ١٩٢٥م، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٣١م، وكان ترتيبه الأول على جميع المعاهد الدينية بالقطر المصري.

التحق بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بالقاهرة في عام ١٩٣١م، وتفوق فيها حتى حصل على الشهادة العالمية عام ١٩٣٥م، بالرغم من كونه قد فُصل منها وهو في السنة النهائية بسبب حركة الطلاب ضد شيخ الأزهر الأحمدي الظواهري، ثم أعيد قيده مرةً أخرى عام ١٩٣٥م بعد نجاح الحركة، وأُعيد الشيخ المراغي شيخًا للأزهر للمرة الثانية.

وفي عام ١٩٤٣م حصل على الشهادة العالمية (الدكتوراه) في البلاغة والأدب بدرجة ممتاز، وعيِّن مدرسًا بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في العام نفسه، وحصل على درجة الأستاذية عام ١٩٦١م، وفي عام ١٩٦٧م عين عميدا للكلية لمدة عامين، ثم أعير إلى السعودية وليبيا ليكون عميدا لكليات اللغة هناك، وبعد تقاعده عيِّن أستاذًا متفرغًا بقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بالقاهرة من عام ١٩٨٢م.

اختير رئيسًا لنادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر من عام ١٩٦٤- ١٩٧٠م، وفي عام ١٩٨٢م عيِّن عضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، كما اختير ممثلًا لجامعة الأزهر في الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عام ١٩٦٩م.

وفي عام ١٩٧١م اختير عضوًا للجنة وضع وصياغة الدستور (الحالي)، وكانت له مواقف واعتراضات حينها، منها الاعتراض على اعتبار الاتحاد الاشتراكي سلطة رابعة، وكذلك الاعتراض على أن يكون رئيس الجمهورية رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى، شارك في المحافل الدولية، وكانت له جهود علمية كبيرة فقد ألَّف:

١- كتاب «عصر عبدالقاهر الجرجاني وعصر السكاكي»، ويعدُّ موسوعةً في فن البلاغة والنقد الأدبي منذ نشأته إلى القرن السادس الهجري.

٢- كتاب «اتجاهات وآراء في النقد الأدبي الحديث».

٣- كتاب «نظرية العلاقات بين عبدالقاهر والنقد الغربي الحديث».

٤- كتاب «بين الأدب والنقد».

ووقت غزو العراق للكويت كتب الشيخ محمد نايل في جريدة الأخبار المصرية في ١٤/ ١٠ / ١٩٩٠م يقول: «أبدأ هذا الحديث بهذا السؤال: ما الذي جرَّأ هذا الصدام على أن يتحدى هذا العالم كله، ويرفض في غرور أن يستجيب لإرادته؟! إن الجواب على هذا السؤال لجواب مر شديد المرارة، يؤذي حلوق الناس جميعا ولكنه- على مرارته- هو الحقيقة الواقعة التي لا ينكرها منصف يذعن للحقائق.. إن الذي جرأ هذا الصدام وجرأ الكثيرين قبله على تحدي العالم هو العالم نفسه! إن هذا العالم بجميع دوله ومؤسساته مصاب بأمراض كثيرة وخطيرة.. مصابة دوله بالأطماع والأحقاد والعصبيات والهوى المطاع!

ولو كان هذا العالم صحيحا معافى، وكانت مؤسساته سليمة البنيان قوية الأركان، ما اجترأت دولة ولا حاكم مهما كان وزنه أن يخرج على إجماع العالم ويتحدى قراراته، لكن القوى الكبرى في عالمنا لم ترض للمؤسسات التي ابتدعتها أن تكون صحيحة البنية، نافذة الكلمة».

وفي يوم الثلاثاء ٢ فبراير ٢٠١٠م الموافق ١٨ من صفر ١٤٣١هـ توفي الشيخ بعد قرن من العطاء من أجل دينه وأمته.

أسرتي

المرأة المسلمة وتصحيح الصورة

مع تشابك أمور الحياة العصرية وازدياد الفجوة اتساعًا بين دول العالم المتقدم ودول العالم الإسلامي الذي تنتمي معظم دوله الى العالم المتخلف ترتفع الأصوات عاليًا لإعطاء المرأة حقها.. وكأن هذه القضية هي السبب في تخلف العالم الإسلامي، لأن المرأة هي نصف المجتمع ومادام هذا النصف معطلًا فإن التخلف، حسب زعمهم، سيبقى متجذرًا في عالمنا الاسلامي، لذا لابد من قلب النظام الاجتماعي والأسري السائد في العالم الإسلامي.

دعوة حق أريد بها باطل لتفكيك الأسرة المسلمة، لذا لابد من تصحيح هذه الصورة المغلوطة التي تربط بين المرأة والتخلف لدى الغربيين، وهذا لن يتحقق الا بمساعدة الغربيين على التخلص من الموروث التاريخي الضخم المشوه في الوعي الجمعي الغربي عن المرأة المسلمة، وذلك بعرض مكانة المرأة المسلمة في الإسلام بما يتناسب مع الحقيقة والواقع.

المحرر

عوامل صلاح الأبناء

سليمان الرومي

لكي ننشئ جيلًا صالحًا من أولادنا، هناك بعض العوامل التي تسهم في ذلك أهمها:

١- **صلاح الآباء واستقامتهم على شرع الله تبارك وتعالى**، فصلاح الآباء ينفع الأبناء، فالأبناء فرع ولا يستقيم الظل والعود أعوج، فإذا أردنا جيلًا صالحًا يؤمن بربه تبارك وتعالى ولا يستعين به الأعداء فلابد من صلاح الآباء أولًا فهم مصدر التعليم الأول في البيت للأطفال.

ونحن نرى عجبًا في بعض البيوت، نرى الأب يدخن ويحذر ابنه من التدخين، ونرى الأم تترك الصلاة وتقول لأولادها أدوا الصلاة ونرى العمة تدمن الاغاني والعم مدمن الغيبة ونرى ازدواجية في شخصية الأفراد في بعض الأسر فالفرد شيء وحاله شيء آخر، الا من رحم الله، يقولون ما لا يفعلون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الله عز وجل وضع لنا ميثاقًا ربانيا لإصلاح أولادنا، قال تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديدًا﴾(النساء:٩)

فشرط صلاح الأبناء صلاح الآباء وتقواهم لله تبارك وتعالى، ومضمون التقوى كما أخبرنا الإمام علي رضي الله عنه: «العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل».

فإنك إن كنت صالحا حقا وكان ولدك مسيئا لا يرجى صلاحه أخذه الله رحمة بك قبل أن يسيء إليك، والدليل على ذلك قصة الغلام والخضر قال تعالى: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا﴾(الكهف: ٨)

فالله عز وجل أمر الخضر بقتل الولد الفاسد لئلا يفسد والديه المؤمنين، أما إذا كنت مؤمنًا حقًا فلا تخف على أولادك من بعدك فسيحفظ الله لك ذريتك من بعدك والدليل على ذلك قصة الخضر والجدار قال تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ (الكهف:٨٢)

فالله عز وجل حفظ الأولاد بصلاة آبائهما، فإن تقوى الله عز وجل تنفع صاحبها ومن بعده ذريته فاتق الله يرب لك أولادك فلا يستطيع أحد أن يصلح أحدًا إلا بإرادة الله تبارك وتعالى.

٢- **التدرج في التربية وعدم التسرع**، إذ يجب ذلك عند تعليم الأولاد فيأخذ الأب من الأمور ما سهل فهمه للولد وسهل تطبيقه ولا يتسرع في تعليمه ولا يتعجل النتائج، فإذا فعل ذلك كانت النتيجة أكيدة بإذن الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾ (آل عمران:١٢٠)

وإذا أحسنت تربية أولادك كانوا معينين لك على طاعة الله عز وجل، ورد أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز عندما تولى أبوه الخلافة دخل على أبيه فوجده نائمًا فقال له يا أبت، قم أتنام وتترك الرعية؟ قال يابني: شغلت بموت عمك بالأمس ولم أنم اتركني أنام ساعة، فقال عبدالملك: إن الذي يحمل أمانة أمة محمد ﷺ لا ينبغي له أن ينام، فقام عمر لينظر شؤون الرعية ثم قال عبدالملك يا أبت ما لي أراك لا تنجز الأمور دفعة واحدة وتأخذ على يد الظالمين؟ والله لا أبالي أن تغلي القدور بي وبك في سبيل الله.

فقال عمر: يا بني إني رأيت الله ذم الخمر ثلاث مرات ثم حرمها في الرابعة، وإني لأخشى أن أحمل الناس على الحق جملة فيتركوه جملة.. نعم إن صلحت تعهد الله ولدك بالعناية واعلم أن الله عز وجل إذا

سكرتير التحرير

تعهد أحدًا بالعناية فلا يفسد أبدا حتى ولو اجتمعت قوى الأرض على إفساده.

قال تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد:٧)

وقال ﷺ لابن عباس: «يا غلام... احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي)

ولك في قصة غلام أصحاب الأخدود عبرة، فقد اجتمعت قوى الأرض على أن يجعلوا الغلام ساحرًا فعجزوا واجتمع الملك ووزراؤه وحاشيته وساحره لهذا الغرض لكن الله عز وجل أراد لهذا الغلام أن يكون داعية فكان ما أراد الله عز وجل.

٣- **الحرص على إصلاح الأم**، فالأم أساس المجتمع، وبصلاحها يصلح المجتمع، فهي المدرسة الأولى للأولاد قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبا طيب الأعراق

إن لم تكن الأم صالحة فسد الأولاد جميعًا، ولذلك قيل: وراء كل عظيم امرأة.. نعم هي أمه التي ربته ورعته، فمن أراد إصلاح أولاده فليصلح زوجته أولًا.

أخي المسلم علم زوجتك الخير والصلاح تعلم أولادك، فالأم هي التي تربي الأبطال والقادة فلو نظرنا في أمهات الصحابة لوجدناهن أمهات عرفن ربهن وعرفن ما عليهن من واجبات، فأم أنس بن مالك رضي الله عنه الرميساء وأم معاوية هند بنت عتبة وأم الزبير صفية عمة النبي ﷺ وأم عبدالله بن الزبير أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، كلهن نساء صالحات عرفن الله عز وجل وأقمن شرعه والتزمن بأوامره فخرّجن رجالًا قال فيهم رب العزة تبارك وتعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (الأحزاب:٢٣)

٤- **اتخاذ مثلٍ أعلى والطموح إليه**، إن للمثل الأعلى دورا مهما في حياة أولادنا، فهو خير وسيلة للنجاح في الحياة فإذا وضع المرء مثلا أعلى أمامه يطمح إليه وينشده ويضعه دائمًا نصب عينيه يسعى دائمًا للوصول إليه تحقق له الفلاح والنجاح في حياته، والمثل الأعلى قد يكون عالمًا عظيمًا أو تاجرًا ناجحًا أو صانعًا ماهرًا أو سياسيًا فذا، كل هؤلاء يجوز أن يكونوا مثلا أعلى، ولكن خير مثل وخير قدوة يمكن أن يتخذها الفرد هو رسول الله ﷺ فهو خير مخلوق على الأرض وأفضل من تغلب على المصاعب وقهر العقبات، لذا اختاره الله تبارك وتعالى ليكون المثل الأعلى والقدوة للمسلمين جميعا قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)

وكثير من الناس يعيشون في تخبط وإحساس بالضياع بسبب خطئهم في اتخاذ مثلهم الأعلى فمنهم من اتخذ مثله الأعلى فنانامن الفنانين وآخر اتخذ لاعب كرة وثالث اتخذ إنسانًا كافرًا لا يؤمن بالله، فكل هؤلاء لا يستفيد منهم المرء كقدوة أو كمثل أعلى، يقول الأستاذ احمد أمين «والبعض جعل المال مثله الأعلى في الحياة وعمل على تحقيقه بكل السبل المشروعة وغير المشروعة، حتى ولو من طريق التحايل والمكر واستغلال الآخرين لمصلحته وابتزاز الضعفاء لشخصه، فتلك وسيلة من الوسائل الحقيرة، والنجاح المؤسس على هذا نجاح حقير رخيص، إنما النجاح الحق أن يجمع إلى الإخلاص في عمله نبله في خلقه وصدقه وأمانته في نفسه» أ.هـ.

فإذا صلح المثل الأعلى وعمل المرء بتخطيط سليم لتحقيق ما وصل إليه قدوته نجح المرء في حياته، ولكن إذا تكاسل ورضي بالدون لم يصل في حياته إلا إلى الدون فلابد من علو الهمة في طلب المعالي ولله در القائل:

فما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

الأمومة والعطاء

علي إبراهيم كشك

الأمومة أسمى رسالة على الأرض، فالأمومة ليست مجرد الحمل والإنجاب، وإنما هي معاناة ورعاية وحنان وتضحية.

الأمومة هي إحساس فطري مبكر، يصاحب الطفلة الصغيرة منذ سنوات عمرها الأولى، ويتمثل في علاقتها بعروستها التي تعاملها على انها ابنتها، ويكبر معها هذا الإحساس، ويلازمها حتى تصبح أمًا، فالأم دائمًا سعيدة بعطائها، فرحة ببذلها ومنحها، لأنها لا تنتظر أي مردود مادي.. بل إنها تبذل وتعطي، وتكتفي بمشاعر سعادتها النابعة من العطاء كمردود لا تدانيه كنوز الأرض.

الامومة تفرغ شحنة عاطفية لديها، وتأخذ في المقابل حبًا من جانب الأبناء، فالأم في أمومتها، تنطق دومًا بالشهد، وتنساب من عينيها نظرات الحنان، والاحتواء، وتنشر حولها الدفء، وتنتشر ابتسامتها كاللآلئ لتبعث في الأبناء ذكريات مرت من الرعاية، وسهر الليالي، والمعاناة، والتحمل ليصبح الأبناء في أفضل حال تتمناه لهم في المستقبل.. فكل السعادة عندها هو أن يكونوا بخير، وتعتبر ذلك هدية من السماء.

وإذا سألت أي شخص ناجح، عن القدوة في حياته، فإنه سيجيب «انها الأم»، لانها هي المربية، وهي المعلمة، وهي العطوفة، وهي الصديقة والحبيبة، فإذا تعرض لأزمة أو لمحنة فإنه يهرع سريعًا الى الاحتماء بأحضان أمه، وحتى لو كان من هؤلاء الذين لا يذرفون الدمع بسهولة فإنه عادة ما يبكي بحرقة، على صدرها أو عند فراق الأم للحياة، وكأنه بهذا يعلن لنفسه ويعترف أمام الآخرين أن نبع العطاء قد نضب، وأن القلق قد ساد بعد الشعور بالأمان.

● ولنعترف جميعًا، أننا حتى عندما نكون في سن النضج ويحدث أن تهاجمنا الأحداث القاسية، وتعصف بنا الظروف الصعبة فإن كلًا منا يبحث عن الملجأ الهادئ والحصن الدافئ، فلا نفكر إلا في الأم، فنهرع إليها وإلى أمومتها، وكأن وجودها كفيل بمسح الأوجاع، ونسيان الآلام، وننال منها بركة دعائها لنخرج من المحنة سالمين.

.. وأخيرًا، إن حب الأمومة لا ينطفئ إلا بانطفاء القلب.

بُنيتي الغالية.. أنت لؤلؤة ثمينة فاعرفي قدرك!

أ.د. ناصر سنة

يطوف هواة صيد اللؤلؤ بالشواطئ باحثين عن محاره، فإذا عثروا على صَدفة قد يفتحونها عنوة بغية استخراج ما بها من لؤلؤة صغيرة ومن ثمّ يبيعونها، أما محترفو الصيد فيدركون أن اللآلئ تكبر وتزداد قيمتها كلما تركت لتنمو على فطرتها التي وضعها الله تعالى ناموسًا في كونه، فإذا عثروا على محارة فتية لا يحطمونها، رغمًا عنها، ولا يتعجلون نضج اللؤلؤة قبل أوانها، بل يتركونها كي تتابع نموها، جاعلين الزمن يأخذ دوره، وله دور غير منكور؛ لذا فهم صبورون لتجود الصدفة وحدها في داخلها من جوهرة نفيسة ليس لها مثيل، فيفوز بها صياد محترف- مدركًا أنه قد يسبقه آخر إليها- وفق قدر الله تعالى.

بنيتي، قدر الله هو النافذ.. هل رأيت أنه عندما نضجت الصدفة منحت لؤلؤتها في الوقت الذي حدده الله ولمن اختاره- تعالى- ليرزقه بها؟ فحققت بذلك ذاتها الفريدة، وأدت رسالتها القيمة الغالية، مشاركة مع من عرف ويعرف قيمتها، فهو لا يطمع باللآلئ الصغيرة غير المكتملة، لأنه ينشد ما هو أثمن وأغلى وأندر.

بنيتي الغالية، واصلي مسيرتك نحو النضج والوعي والدراية لتحمّل مسؤولياتك، واصبري على ذلك، اهتمي بنفسك الآن، ابذلي جهدك كي تتخلّصي من الشوائب التي تقلّل قيمتك، احصلي على ما تحتاجينه من غذاء مادي وروحي، كي تتقدمي وتكبري باعتدال، لا تكثري من شيء دون سبب وجيه، كي تجدي الراحة لقلبك.. خُذي وقتكِ، فجواهر الحياة وثمارها لا تأتي عجلى.

يا بُنيتي، الفتاة- بصفة عامة- أسرع نموا من الفتى من النواحي الجسدية والنفسية والعاطفية بحيث نستطيع أن نضع فتاة السابعة عشرة- من حيث النضج الجسدي- في مستوى شاب تجاوز العشرين، فينبغي ألا يتأخر إعدادها وتميزها وتربيتها، فيجيء الشبابَ النضجُ وهي لمّا تُعد بعد لمهمتها، وإعدادها لتلك المهام- في البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع والإعلام- ليس بالأمر السهل أو الهيّن، فالجهد التربوي المبذول فيه قد يكون أكبر مما يُبذل مع الفتى (والذي لا يتسع المقام للحديث عنه، ويحتاج لمقام آخر)، وكذلك ثمرة الجهد أكبر وأضخم، زوجة وأم مسلمة واعية فاهمة وأنموذج لاستقامة الفطرة الإنسانية.

يا بُنيتي، لقد كانت أمك خديجة، رضوان الله عليها، غُرّة ناصعة في جبين التاريخ عامة، والعلاقات الأسرية خاصة، فهي شريفة قريش، ومن أعرق بيوتها نسبًا، وحسبًا، وشرفًا، وكانت ذات مال، وتجارة رابحة، ونجابة بادية، نشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة.. عقلًا وحزمًا وفطنةً وحصافة وعفة وطهارة، فلُقّبت في الجاهلية بـ «الطاهرة»، وكانت مضرب المثل في طهارتها وحكمتها وحصافتها، كما لقب نبيُّك ﷺ، في ذات البيئة، بـ «الصادق الأمين»، ولقد اختارتها العناية الربّانيّة لتكون زوجةً بارّةً مخلصة لنبيك، فتزاوج الصدق والأمانة ثم النبوة والرسالة بالطهر والعفة والفطنة والعقل والحزم، فكان مزيج من القيم غير مسبوق، لم ولن يكون، فاغترفي- بنيتي- واشربي من ذلك المَعين الذي لا ينضب، وتسربلي بسرابيل تلك القيم، وتأسي بتلكم الأسوة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

يا بُنيتي، لقد عاشت أمك خديجة، رضي الله عنها، مع رسول الله ﷺ حلو الحياة ومرها، إذ أن أكثر الناس بلاءً الأنبياء، فكانت حصنه الداخلي، وركنه الشديد، وبمنزلة وزيره الصادق الأمين، والرفيق الأنيس والنصير، نافحت ودافعت وتحدت وآزرت وساندت وشاركت وتفانت وواست الرسول ﷺ في دعوته بكل ما لديها، وفي ظروف قلما يوجد فيها نصير أو مؤازر أو معين، فلم يكن ﷺ يسمع شيئًا من استهزاء وسباب وتكذيب إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، فسرعان ما ينسى الألم والحزن، إذ تمسح بيدها الحانية على قلبه، وكانت- رضي الله عنها- امرأة حاذقة في إدخال السرور على زوجها والتخفيف عنه، لقد آمنت حين كفر الناس، وصدقت حين كذّب الناس، وآوت حين طرد الناس، وواست بالنفس والمال حين نفر الناس(١).

يا بُنيتي إن كيان الأسرة (من الأسر والشد والربط) رباط مقدس والتحام وتوافق وانسجام بين شخصيتين، وتجربة حياة غنية وثرية وسعيدة، إدراك معانيها فهم، وإدراك مراميها فقه، ومن الفهم معرفة أن العواطف تفتر، ولكن من الفقه معرفة أن أساليب إحيائها عديدة ومتنوعة، ومن الفهم معرفة أن المعوقات والمشكلات الحياتية متعددة، ولكنها لا تستعصي على الحل بالتعاون والتكاتف والتعاطف، ومن الفهم معرفة أن المواقف

اكاديمي تربوي

ووجهات النظر تتباين، ولكن رأب الصدع فيها وحسن النوايا هيّن ووارد، فالجانب الممتلئ من الكأس لاشك أكبر من الفارغ، والسنوات الحلوة كثيرة تفوق تلك المُرة، وبجهد ميسور يتم ارتقاء أسباب البناء، وإذا ما كانت هنالك من معاول هدم فلن تنال من الحصون الأسرية المنيعة العصية على الانهيار بإذن الله تعالى.

بُنيتي، هل تريدين أن يبيعك صياد مبتدئ لا يعرف قيمتك.. فينتهي الأمر بك وأنت تستحقين من وما هو أفضل، تستحقين- كدُرة- أن تلمعي في تاج ملك عظيم، فكوني قوية شجاعة، حكيمة، واقعية، لا تَخافي أو تحزني.. فعندما تثقين بالله تعالى، ثم بنفسك وبقدرتك على تجاوز كل الصعوبات، ولا تبحثي عن صياد مثالي.. انظري إلى فارسك بموضوعية.. مَا دامت تحققت أولويات اختيارك وعلى رأسها الدين والخلق القويم.. اقبليه كما هو، الحب الحقيقي بين الأزواج حب واقعي، وهناك دائمًا من يعرف قيمته، كما يعرف قيمة اللؤلؤ الحقيقي الناضج المكتمل النمو، يبحث عنه.. لا ليبيعه أو يهمله، بل لاقتنائه والمحافظة عليه، ورعايته أبد الدهر، ولك في وفاء نبيك محمد ﷺ لأمنا خديجة رضي الله عنها، القدوة والمثل والأنموذج.

الهوامش

١- البداية والنهاية ج٣، ص٢٣، و سيرة ابن هشام، ج٢، ص٧٧، وأسد الغابة، ج١، ص١٣٣٩

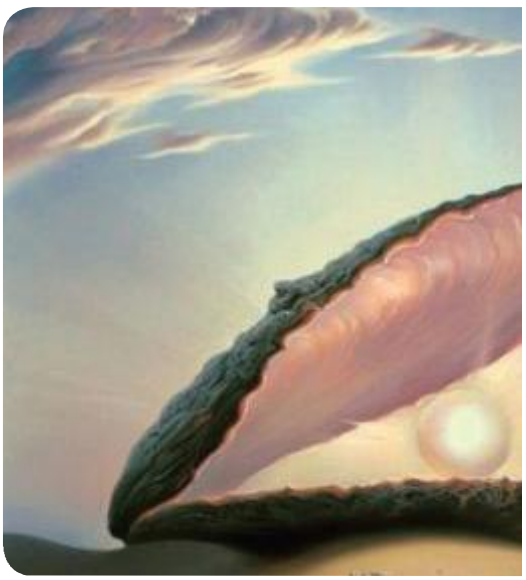

تعليم بلا دموع

إيمان القدوسي

هل كن أن يتحقق هذا الحلم؟

أيمكن أن يحصل الطفل على مستوى جيد من التعليم والتربية بلا معاناة؟ وهل يمكن أن يتخلى الآباء والمدرسون عن تلك الذريعة (ستشعر بالامتنان لي يوما على هذه التعاسة)، وهل يمكن إلغاء ذلك المثل الشعبي «يا بخت من بكاني وبكى الناس علي؟» ألا يمكن أن نربي ونعلم في أجواء من السعادة والتقبل؟ وكيف يمكننا ذلك؟

هذه الأسئلة التي تطرحها نل نودينجز الأستاذة بجامعة ستانفورد الأميركية في كتابها «السعادة والتربية» والذي ترجمته د.فاطمة نصر واختارت له عنوان «تعليم بلا دموع».

الطلبة السعداء يتعلمون أفضل من التعساء، كما أن السعداء لا يتصفون بالخبث والعنف والقسوة، ولذلك يجعل التربوي الياباني تسسابوره ماجيكوشي من السعادة هدف التربية الأول، ولكي نصل للنتيجة المرجوة فإن خيارنا الأوحد هو «التربية الذكية الحساسة».

في رأي الكاتبة أن المدارس تتجه اليوم لتعليم الاطفال ما يساعدهم على النجاح الاقتصادي مستقبلًا، أي الحصول على شهادة تمكنهم من العمل براتب جيد، ويتم ذلك بطريقة لاتخلو من القسوة وعدم الاهتمام، فتستخدم أساليب الضرب والتوبيخ والسخرية والقهر والإلزام بل أحيانًا يفتعل المدرس التجهم والقسوة ليخيف الأطفال ويتمكن من السيطرة عليهم في الفصول، والنتيجة هي تخريج شباب يحمل شهادة فقط ولم تتم باقي جوانب شخصيته، فمثلًا الحياة المنزلية الخاصة لا تعطيها المدارس أي اهتمام حتى مدارس البنات التي كانت سابقًا تعلم التدبير المنزلي والخياطة ورعاية الطفل لم تعد تفعل ذلك الآن بحجة أنها مواد غير مهمة، ولعل الفشل الزواجي وارتفاع نسب الطلاق على مستوى العالم يعود إلى هذا النقص والتقصير، فهناك تجاهل لإعداد الفتاة والشاب لدورهم المستقبلي كأزواج وآباء وأمهات، فالبيت والمدرسة لم يعد أي منهما يهتم، تقول الكاتبة «يهتم البيت والمدرسة بتعليم الفتاة دروس الجبر والكيمياء وقد لا تستخدمها قط طيلة حياتها بعد انتهاء الدراسة ولكن لا أحد يهتم بتعليمها مهارات الزواج وهي في مسيس الحاجة إليها».

كما أن هناك أمورًا تتعلق بالروح والشخصية وهي مهمة لتحقيق السعادة والتوازن ولا تعطى اهتمامًا، والمقصود بالروح الاهتمام بتنمية الوازع الديني ومعرفة حدود الحلال والحرام، ولعل ذلك لو تم بأسلوب تربوي محبب لتخلصنا من كارثة تعاطي المخدرات أو خففنا منها على الأقل، أما بناء الشخصية فهو أمر جوهري لتحقيق السعادة والنجاح للإنسان، لكن المقررات النظامية لا تتضمنها. الشخصية التي تتسم بالثبات الانفعالي والقدرة على العطاء ومساعدة الغير وتتحلى بالوضوح وتحديد الأهداف والايجابية هي الشخصية المنشودة ويمكن غرس تلك الفضائل من خلال التربية والتعليم.

تقول الكاتبة: «تغيرت الحياة جذريا في نهاية القرن العشرين، بإمكاننا أن نأسف على حقيقة أن معظم النساء اليوم لا يتفرغن لبيوتهن طوال الوقت، ولا يكرسن كل جهودهن لرعاية الأطفال وارشادهم، وبالتالي لابد أن تقوم المدرسة بالعمل الذي كان منوطا بالعائلات من قبل، تماثل أفضل المدارس أفضل البيوت، حيث تقدم علاقات رعاية وود مستمرة وتراعي حاجات الأطفال وتحميهم من الأذى وتعزز البهجة في التعليم الحق، وترشد النمو الأخلاقي والروحاني، بما في ذلك الضمير اليقظ، وتسهم في تذوق الفن والانجازات الثقافية وتساعد الطفل على تنمية تقديره لذاته، والسعادة هي وسيلة وغاية في الوقت ذاته، سيغتنم الأطفال السعداء الفرص التعليمية ببهجة وسيسهمون في سعادة الآخرين، ويسهم الأشخاص السعداء الذين يبقون على ضمير يقظ في عالم أكثر نجاحًا وسعادة».

المستشارة نهى الزيني في حوار خاص:

محاولات تهميش المرأة في الحياة العامة غير موضوعية

حوار: رباب ربيع

تعد المستشارة د.نهى الزيني أحد رموز حركة استقلال القضاء في مصر، وهي معروفة بتوجهاتها الإسلامية وبدفاعها عن حقوق المرأة المسلمة داخل الأطر الشرعية، لها العديد من المداخلات السياسية التي أثارت جدلًا واسعًا في أوساط النخبة المصرية، درست القانون في جامعة القاهرة ثم في جامعة باريس وحصلت على درجة الدكتوراه في القضاء الدستوري وعلى شهادات من مؤسسات دولية في مجال حقوق الإنسان، تكتب بشكل منتظم في أبرز الصحف والمجلات المصرية، كما نُشر لها إصدارات ضمن مشروع لإعادة قراءة التاريخ السياسي للدولة الإسلامية، ولها وجود ملحوظ في المشهد الثقافي ومشاركة فعالة في العمل العام.. «الوعي الإسلامي» التقت بالدكتورة نهى وإليكم نص الحوار:

■ بداية هل كن أن تسلطي الضوء على دور المرأة السياسي في عهد النبوة؟

– هذا سؤال مهم لأن من يحاولون تهميش دور المرأة في الحياة العامة ويضعون دورها السياسي في مقابلة غير موضوعية مع دورها كزوجة وأم يتناسون أن أول وأهم الأعمال السياسية في الإسلام قامت بها نساء، فالدعم المادي والمعنوي الذي قامت به السيدة خديجة للدعوة الإسلامية في بدايتها، والتمسك بالرفض والمواجهة حتى الموت الذي قامت به السيدة سمية أول شهيدة في الإسلام، قدما مثالين مبكرين على الدور السياسي الحيوي للمرأة، بل إن الدولة الإسلامية الأولى في المدينة التي تأسست من الناحية السياسية على بيعة العقبة التي أبرمها رسول الله ﷺ في موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للنبوة والتي تعد بمصطلحات العصر معاهدة سياسية مكتملة الأركان، إنما قام بها الوفد اليثربي الذي ضم امرأتين هما نُسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو، وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أوكل إلى نساء النبي أرقى وأهم عمل سياسي ودعوي وهو تبليغ آيات الله وسنة رسوله ﷺ، وهما الركيزتان الأساسيتان لأي عمل إسلامي بقوله تعالى: ﴿واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ (الأحزاب: ٣٤)، فإن هذا يصبح دليلا دامغًا على أهمية وضرورة دور المرأة في الحياة العامة مثلها مثل الرجل تمامًا، بل إن الطريف أن علماء الجرح والتعديل وجدوا أن نسبة الكذب في نقل الحديث إذا كانت الراوية امرأة تكاد تكون معدومة إذا ما قورنت بنسبة من كذب على رسول الله ﷺ من الرجال.

تقييم دور المرأة في الحياة السياسية لا يجوز أن يتم بعيدًا عن الإطار الشامل لتقييم الوضع السياسي ككل

■ هل هناك تعارض بين الدور السياسي للمرأة ودورها في بيتها؟

– لا يمكن التعميم في هذا المجال، فكما أن هناك كثيرا من الرجال لا يمكنهم التوفيق بين عملهم المهني الضروري لكسب معيشتهم وإعالة أسرهم وبين العمل العام، فهناك نساء أيضًا لا يمكنهن التوفيق بين العمل داخل البيت كزوجات وأمهات– الذي هو مهمتهن الأساسية– وبين العمل خارج البيت سواء أكان مهنيا أو سياسيا، فالناس قدرات ولا يتساوون في الإمكانات وفي القدرة على العطاء والابتكار وتنظيم الوقت واحتمال الجهد، لذلك فالتعميم يصبح خاطئا

ويؤدي إلى تحجيم قدرات النساء اللواتي يكون في إمكانهن الجمع بين أكثر من دور، وكما قد يكون نجاح الرجل في مهنته مؤشرًا وحافزًا له على النجاح في الحياة العامة وفي العطاء السياسي فكذلك المرأة قد يؤدي اشتراكها في الشأن العام إلى زيادة وعيها ومضاعفة قدرتها على العطاء مما ينعكس بلا شك بشكل إيجابي على تربيتها لأبنائها، لذلك يجب أن ننظر إلى كل حالة على حدة وأن تكون مشاركة المرأة في العمل السياسي نابعة من رغبتها ومن قدرتها ومن ثقة المجتمع بها ككيان إنساني قبل أن تكون امرأة، فإذا توافرت لها هذه المقومات فإن حرمانها من المشاركة العامة يغدو نوعًا من الظلم لها وللمجتمع ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ ولعمل السلف الصالح الذين أتاحوا للمرأة كل مجالات العمل العام، إذا ما كانت قادرة على العطاء فيها، ووقفوا في موقف وسطي بين إخراج المرأة من بيتها لمجرد الخروج تقليدًا للغرب ولمجرد الاستعراض والادعاء دون أن يكون هناك عطاء حقيقي

يحاولون تهميش دور المرأة في الحياة العامة ويتناسون أن أول وأهم الأعمال السياسية في الإسلام قامت بها نساء

تقدمه وبين تحجيم قدراتها وسجنها داخل إطار ضيق لا يستوعب إمكاناتها الحقيقية ويحرم المجتمع من كفاءتها وعطائها بلا مبرر.

■ وهل ترين أن هناك ضرورة في أن تلعب المرأة دورًا سياسيا؟

– النساء شقائق الرجال كما قال رسول الله ﷺ، والمرأة مفروض عليها أن تقوم بدورها في الحياة السياسية كالرجل تمامًا من منطلق أن الجميع مخاطب بقول الله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وهذا هو لب العمل السياسي المفروض على الجنسين دون تمييز، ولكن إن كان سؤالك يقصد الواقع العملي، فإن تقييم دور المرأة في الحياة السياسية لا يجوز أن يتم بعيدًا عن الإطار الشامل لتقييم الوضع السياسي ككل، وانطلاقًا من هذا نستطيع القول ان دور المرأة يتراجع مع تراجع الحريات وحقوق الإنسان، ويصبح التركيز إعلاميا على هذا الدور مجرد غطاء على تراجع الدور النسوي كنتيجة لتراجع دور المجتمع ككل، بل إن ممارستها للعمل السياسي في ظل الأنظمة الفاسدة والمستبدة تصبح أشبه بالأصباغ التي يختفي خلفها الوجه القبيح لنظام فاقد للشرعية على غرار الأحزاب المزيفة التي يصنعها النظام لتجميل صورته دون أن يكون لها رصيد شعبي حقيقي، لذلك يجب أن نتفق على أن تكون المساحة الممنوحة للمواطن رجلًا أو امرأة مساحة حقيقية، وأن يكون الدور المتاح لكليهما دورًا حقيقيا لا مفتعلًا، لكي يتبين لنا بوضوح أهمية بل وضرورة الدور الذي يمكن أن تؤديه المرأة على الساحة السياسية في ظل مناخ صحي.

■ هل عدم ثقة المجتمع بقدرات المرأة على القيام بدور سياسي خاصة في العالم العربي يمثل عائقًا حقيقيا أمامها؟

– دون شك.. لأن الثقة التي يوليها المجتمع للمرأة تحفزها على العطاء وتوفر عليها الجهد الذي تبذله في محاولة إقناع الآخرين بجدارتها وبأهليتها كإنسانة للقيام بدورها، وفي رأيي أن الاحباطات التي يعاني منها الإنسان العربي وشعوره بالعجز والهزيمة يؤدي به إلى نوع من الإزاحة النفسية على الطرف الأضعف، وهو هنا المرأة، فنرى الرجل العربي ينفس ما يشعر به من عجز ومهانة أمام حكوماته المتسلطة وأعداء دينه ووطنه المنسحق أمامهم في المرأة، فيمارس عليها من القهر مايشعر به، لذلك لا تلوح أمامي على الأفق بوادر طيبة فيما يتعلق بعودة المرأة المسلمة لممارسة الأدوار العظيمة التي كانت تمارسها في صدر الإسلام دون حاجة لضجيج أو لحركات تحرير نسوية مخترقة من الغرب، فالمجتمع المنتصر المحقق الانتصار داخليًا وخارجيًا كان يفتح أمام المرأة كافة الأبواب للقيادة والجهاد والعمل وبلوغ أسمى المراتب، وهذا لن يتحقق مرة أخرى إلا في ظروف مشابهة، فالسدود الحديدية الموضوعة أمام انطلاقة المرأة هي نفسها الموضوعة أمام انطلاقة الرجل، وهو ما يجعلني أنظر دائمًا لقضية المرأة داخل إطار شامل وليس كموضوع منفصل، سواء في تقييمي للوضع الحالي أو في رؤيتي المستقبلية، وبالتالي فأنا أرى أن أي تقدم يتحقق على مستوى المجتمعات العربية سوف يترتب عليه بشكل تلقائي تقدم مماثل في وضعية المرأة.

العمل داخل المنزل.. «تجارة» تجذب المرأة

رانيا حسام

يعد العمل داخل المنزل البديل الناجح والعملي للمرأة المسلمة التي تجد حرجا في الخروج من المنزل وتتحرج من الاختلاط بالرجال، كما أنه كذلك أيضا لكل أم ترغب في رعاية أبنائها ولا ترغب بالاعتماد على الخادمة في رعاية أبنائها، فهو يحقق لها زيادة الدخل التي ترغب في تحقيقها، وفي الوقت ذاته كنها من القيام بالأدوار المختلفة المناطة بها، هذا إلى جانب مناسبته للعادات والتقاليد التي لا تزال في بعض المناطق ترفض صورة المرأة الموظفة أو العاملة.

وقد فرض العمل داخل المنزل نفسه على سوق العمل خلال السنوات الأخيرة، حيث أثبتت الإحصاءات أخيرا أنه يمثل ١٢بالمائة من سوق العمل في الولايات المتحدة الأميركية، ومن المتوقع أن يرتفع إلى الثلثين خلال السنوات المقبلة، الأمر الذي دفع منظمة العمل الدولية لإصدار اتفاقية تنظيم العمل داخل المنزل، خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وساعد على ذلك انتشار الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، الأمر الذي جعل التواصل وتبادل الأفكار والتسويق للمنتجات أكثر سهولة في السنوات الأخيرة.

تجارة منزلية

وتشكل المرأة النسبة الأكبر في العمالة التي تعمل داخل المنزل، ويؤكد خبراء الاقتصاد أن المرأة العاملة تنفق ٤٠بالمائة من دخلها على المظهر والمواصلات، في حين توفر المرأة التي تعمل في المنزل ٧٠بالمائة من دخلها، وقد ساهمت هذه المميزات في انتشار فكرة العمل في المنزل بين النساء الكويتيات، خاصة في مجال التجارة المنزلية، حيث شاع في السنوات الأخيرة إنشاء معارض داخل المنازل، تديرها سيدات في بيوتهن للترويج لبضائع يجلبنها من مختلف أنحاء

الوظائف المنزلية.. البديل الناجح للمرأة التي ترغب في الجمع بين زيادة الدخل والبقاء في المنزل

العالم، بالإضافة لبيع المنتجات عن طريق التوصيل للمنازل في مختلف أرجاء الكويت، والترويج لتلك المنتجات عن طريق صحف الإعلانات أو عن طريق شبكة الإنترنت، وتشعر المرأة الكويتية بالراحة للتعامل مع هؤلاء التاجرات المنزليات؛ لأنها تحصل على بضائع مميزة غير متوافرة في الأسواق، كما أنها لا تضطر للذهاب للسوق بل هو الذي يأتي إليها، ناهيك عن تعاملها مع سيدة كويتية، فلا تكون مضطرة للتعامل مع عمال كما يحدث في المحلات على حد قول أم بدر.

ولعل انتشار المعارض المؤقتة التي تقام في مختلف أرجاء الكويت أكبر دليل على انتشار العمل المنزلي بين الكويتيات، حيث زاد عدد المشاركات فيها لأكثر من الضعف خلال العامين الأخيرين.

تقول أم نواف صاحبة أحد المشاغل في منطقة الجهراء إنها فكرت في عمل هذا المشغل بعد أن قامت بتصميم بعض فساتين السهرة لقريباتها ولاقت استحسانا كبيرا، فبدأت على نطاق ضيق بالتصميم للمقربات منها ثم اتسع الأمر وأصبح لديها عميلاتها من مختلف أرجاء الكويت، وتفكر حاليا في البدء في تصميم فساتين الزفاف، وتؤكد أنها لن تفكر أبدا في اقتحام سوق العمل، فهي حريصة على البقاء بجانب أبنائها ورعايتهم بنفسها، لذا فلو فكرت في توسيع مشروعها فسيظل في نفس المكان، أما التواصل مع العملاء فيتم من خلال المعارض المؤقتة التي تشترك فيها.. وهذا نفس ما أكدته أم خالد التي تخصصت في عمل الحلويات في المنزل منذ ٣ سنوات، وقد اعتبرت أن عملها في المنزل يشعرها براحة نفسية كبيرة، إلى جانب أنه يمكنها من متابعة أبنائها وعدم تركهم بمفردهم، بالإضافة للمساهمة في زيادة دخل الأسرة، ورغم أنها تفكر في توسيع مجال عملها بإنتاج الفطائر فإنها ستظل حريصة أن يظل داخل المنزل.

واعتبرت أم أنور التي تخصصت في عمل الولائم الكبيرة أن عملها في المنزل قد زاد من اقترابها من أبنائها، حيث تحرص على البقاء في المنزل معظم الوقت لمتابعة تجهيز الطلبات.

بداية صعبة

وعلى الرغم من تلك المميزات التي يقدمها العمل داخل المنزل بالنسبة للمرأة من حيث عدم تعرضها لضغوط العمل ومواجهة زحمة السير

والاختناقات المرورية، والراحة البدنية والنفسية بعيدا عن ضغوط العمل وأوامر المديرين، فإن التجربة ليست سهلة على الإطلاق بالنسبة لمن اعتادت على الخروج للعمل، حيث يحتاج الأمر منها لفترة من الزمن للتأقلم على الوضع الجديد، خاصة أنها تجد أن ذهنها يتشتت لأتفه الأسباب، مثل رنين الهاتف أو قرع الباب أو صراخ الجيران أو حتى رائحة الطعام في مطابخهم عند الغداء.

تقول إحدى الصحفيات التي بدأت العمل في المنزل: ليس الأمر بالسهولة التي كنت أتخيلها، فقد اكتشفت أن وطأة العمل في المنزل ثقيلة، حيث إن كل الأسباب صالحة لإضاعة الوقت، فإذا دخلت إلى المطبخ لشرب كوب من الماء طال الأمر لتنظيف بعض الصحون، وإذا دارت عيني في الغرفة قد يدفعني الأمر لترتيب محتوياتها، كما أن بقائي بمفردي في المنزل يشعرني بالعزلة، فلا تبادل للأفكار مع الزملاء ولا تفاعل ولا تنسيق لأولوياتك، كما أن المؤسسات والأفراد لا يتقبلون فكرة عمل الصحفي منفردا بعيدا عن نطاق مؤسسة ما.

ذات الصعوبة واجهتها ليلى التي تعمل في مجال التصوير وترتيبات الأعراس حيث رأت أن العمل حول منزلها إلى فوضى رغم حرصها على عزل أدوات العمل في غرفة مستقلة، بالإضافة لاستخفاف العملاء بها لكونها غير تابعة لمؤسسة ما فيعمدون لتقليل السعر كثيرا وتضطر كثيرا للقبول على أمل أن عملها الجيد قد يروج لها ويكسبها المزيد من العملاء.

وتضع هناء التي تصدت للعمل من المنزل منذ عدة سنوات بعض المعايير الضرورية لنجاح العمل داخل المنزل أهمها تخصيص مكان منعزل ومريح

العجيل: العمل المنزلي لدينا وجاهة، فلا نزال في موضة خروج المرأة للعمل

للعمل، وتحديد ساعات محددة له لا ترد خلالها على المكالمات المنزلية العادية، مؤكدة أن أكثر ما يشق على من تعمل داخل المنزل اعتبار أفراد الأسرة أنها متفرغة ولهذا يحق لهم الحضور في أي وقت دون موعد مسبق.

وحول هذه التجربة أكدت الأخصائية الاجتماعية بمركز الاستماع التابع للأمانة العامة للأوقاف هدى العجيل أن هذه التجربة بدأت في الولايات المتحدة الأميركية في ثمانينيات القرن الماضي بين ربات البيوت اللاتي لديهن التزامات عائلية لمساعدتهن على الوفاء بتلك الالتزامات وتوفير دخل للأسرة في الوقت ذاته.

وجاهة لا حاجة

أما في الكويت فتقول العجيل إنه لم يبدأ في الانتشار إلا أخيرا، وينحصر في مشروعات تقيمها بعض النساء المتقاعدات في منازلهن لتنمية الهواية وشغل وقت الفراغ، مؤكدة أن المجتمع لا يزال يعيش موجة خروج المرأة للعمل ولم يدرك بعد أهمية بقاء المرأة في بيتها، فالفتيات ما إن ينهين دراستهن حتى يتسابقن للخروج للعمل ويتمسكن به حتى لو وصل الأمر فيما بعد للطلاق وهدم الأسرة من أجل التمسك بالعمل، أما العمل في المنزل بين النساء لدينا فيدخل تحت بند الرفاهية والتقليد وليس الحاجة الفعلية.

وأكدت العجيل أن الأمر في شكله الحالي ليس خطأ، خاصة أن المرأة تبحث عما يشغل فراغها في شيء مفيد، ولكن على شرط ألا يشغلها عن بيتها، وزوجها وأن توفر لهذا العمل مكانا منفصلا، فلا يتحول بيتها إلى سوق، وأن تسبقه دراسة جيدة، ولا يتم بعشوائية.

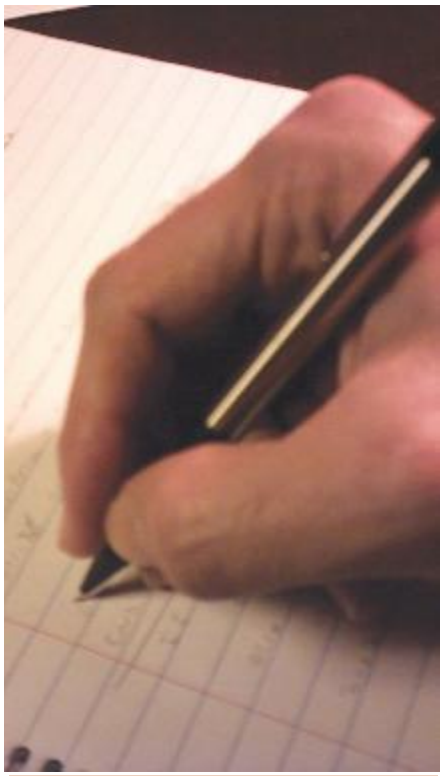

نحن في مرحلة العمل

الإخلاص من سمة الرجال الذين يؤثرون جانب العمل على جانب الكلام، ويدركون أن المرحلة الحالية هي مرحلة العمل واستفراغ الجهد وبذل أقصى ما في الوسع من باب الإعذار أمام رب العالمين، لأن حال الأمة الآن سيسأل عنه الجميع، فلا تقل إنك فرد واحد لا حيلة لك، فأنت أمة في فهمك ووفائك وعملك وثقتك في نصر الله، أنت أمة في بيتك ترعى أبناءك وتنشئ رجالًا وتؤثر فيمن حولك بالعمل لا بالكلام، فالناس أصبحوا لا يسمعون ولا يصدقون ولا يستجيبون لدعاة المنابر فحسب لأن دعوتهم لها حد ووقت وهو زمن الخطبة، ألا فلنع الدين جيدا من سيرة سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ وأصحابه الصادقين المخلصين، فلنا فيهم نعم الأسوة.

محمد أبوعيد

ربح من عمَّر وخسر من دَمَّر

الأصل في الحياة العمران، والخراب طارئ عليها، لأن اليد العليا هي التي عمرت وأتقنت وأحكمت البناء، وهي التي زينت وجملت وجعلت الكون وما فيه بهجة للناظرين ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٢٧) ولما كان الإنسان هو خليفة الله في الأرض والمؤتمن على ما فيها والموصى بعدم الإفساد فيها ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (الأعراف: ٥٦) والمأمور بعمارتها والمحافظة عليها قال، الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (البقرة: ٢٠١) فجعل الله سبحانه إصلاح الأرض ضرورة للمحافظة عليها وصيانتها حتى لا يشيع الفساد فيها.

ولا يمكن لحرب أن تقع إلا ويكون من آثارها ومخلفاتها الخراب والخسائر التي تصيب الحجر والبشر، ويسارع الإنسان عادة لإعادة ما تهدم وليشيد ما أصابه الخراب من دور وقصور ومصانع ومتاجر، ويصرف في سبيل ذلك الجهد والأموال، وتتضافر القوى وتتساند، وإذا الذي تهدم عاد كأحسن ما يكون روعة وحسن منظر، وخسارة الحجر التي سببتها الحرب لا تعتبر شيئا مذكورا إذا قيست بالخسارة التي أصيب بها البشر والتي من الصعوبة بمكان تعويضها.

يحيى عبدالغني

الحملة ضد الحجاب

الحملات الشرسة ضد حجاب المرأة هدفها بالدرجة الأولى نشر العلمانية وزحزحة الإيمان بالله عن عقول وقلوب شبابنا الذين سيحملون راية الإسلام في المستقبل، وهي بلاشك دوافع حقد قديمة لدى الغرب واليهود ومن يقف معهم وخلفهم.

ويرى العلمانيون في انتشار ظاهرة الحجاب بين الفتيات المسلمات بالدول العربية والغربية هزيمة لهم وإفشالا لمخططهم القائم على استهداف المرأة المسلمة باعتبارها طريقهم الأوحد للتغلغل في قلب الأسرة التي هي عماد الإسلام. والشيء الغريب حقا هو امتداد ظاهرة الهجوم الشرس على الحجاب لتشمل قيادات في مواقع مختلفة تغلغلت العلمانية في نفوسهم وعقولهم.

وقبل أن يرمينا بعض من يطلقون على أنفسهم دعاة الحرية بالتخلف والرجعية لدفاعنا عن الحجاب، عليهم أن يقرأوا هذه التصريحات لعدد من كبار المسؤولين في العالم ليعرفوا مدى شراسة الحرب ضد حجاب المرأة المسلمة.

- إن الغطاء من الرأس للقدمين الذي يمنع الهواء هو أكثر أداة للتعذيب، انه مدنس لنشاط المرأة الجنسي، انه يحول أي امرأة إلى شيء مدنس يدعو للاشمئزاز، إنه كساء يظهر شناعة الإثارة الجنسية «بولي تويبني- كاتبة بريطانية».
- لا أظن أن هناك أكثر تعبيرًا عن اضطهاد المرأة من غطاء الوجه «لورا بوش».
- الحجاب اعتداء على المرأة يصعب على الفرنسيين تقبله «جاك شيراك».

هذا هو الغرب الذي يتغنى بالحريات والتعدد العرقي والثقافي.. غير متسامح في شأن الحجاب ملبس العفة والطهارة للمرأة.

ويكفي أن ننقل ما أعلنه وزير الشؤون الدينية بإحدى البلدان العربية «الحجاب ظاهرة دخيلة على بلادنا وإننا إذا قبلنا به اليوم فقد نقبل غدًا بأن تحرم المرأة من حقها بالعمل والتصويت وأن تمنع من الدراسة، وأن تكون أداة للتناسل والقيام بأعمال منزلية».

محمد السيد عامر

من يمثل الآخر؟

نحن والهوية أم الهوية ونحن؟ هل الهوية تمثلنا أم نحن نمثلها؟ من يقدم الآخر؟ وهل نحن متفقون معها؟ أجبرني على كتابة هذا المقال سيدة أجنبية بعد إنهاء زيارتها للمسجد الكبير في دولة الكويت كتبت في بياناتها، الديانة مسلمة والجنسية كويتية، فاندهشت وتعجبت فبادرتها بالسؤال: هل أنت كويتية مسلمة؟ فأجابت: هل تريدين بيانات الهوية أم ما أحس به؟ فانتقلت الحيرة منها إليَّ.. فأجبتها: كما تشائين، فقالت: إذا أردت بياناتي الموجودة في الهوية فأنا أميركية مسيحية، وإذا أردت الشعور الذي يخالجني منذ خمسة عشر عاماً فهو كويتية مسلمة! فأنا أعشق هذا البلد أكثر من الكويتيين، وأطبق الإسلام أكثر من المسلمين، فتعجبت وسألتها: ولماذا لا تسلمين وتعيشين في الكويت؟ فقالت: هناك عوائق كثيرة تحول دون اتخاذ هذا القرار ومشكلات مترتبة عليه، فمنذ خمسة عشرة عامًا وأنا أعيش بهويتين، ما هو مكتوب بالهوية، وما هو موجود في قلبي، فخطر ببالي الكثير من المسلمين العرب المهاجرين إلى بلدان أخرى الذين يغتربون سنين عديدة يقتلهم الحنين إلى أوطانهم ويعيشون هناك جيلًا وراء جيل، حاملين هويات البلدان التي يعيشون فيها ويحملون هوياتهم العربية والإسلامية داخل قلوبهم، لا تصدأ ولا تذبل على مر الأزمان واختلاف البلدان، فهل الهوية تمثلنا.. أم نحن نمثلها ومن يقدم الآخر؟! والأهم من كل هذا أن يبقى نبض الإسلام حيا قويا داخل قلوبنا فهو نور يأبى أن ينطفئ.

سارة مبارك الدوسري

دعوة غربية لتطبيق الشريعة الإسلامية

أثبتت التجربة الإنسانية صلاح الإسلام لكل زمان ومكان، بعد أن فشلت تجربتها الاشتراكية في النظرية الاقتصادية الشيوعية التي انهارت بنهاية القرن العشرين بعد أن حملت البشرية ثمنا باهظًا، وسقطت بالكامل حين أصبح فشلها ثابتا ظاهرا للعيان بعد أن أصيبت الإنسانية بعدة انتكاسات بالرأسمالية آخرها عام ٢٠٠٨ والتي هددت العالم بالخراب، وعلى اثرها دعت كبريات الصحف الاقتصادية الأوروبية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجالات الاقتصادية كحل أمثل للتخلص من براثن الرأسمالية المتوحشة، فقد كتب بوفيس فنست رئيس تحرير مجلة «challenges» الاقتصادية الفرنسية: إننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا، لأنه لو حاول القائمون عليها احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا من الكوارث ما حل لأن النقود لا تلد نقودا.

وتحت عنوان «هل تأهلت سوق المال الأميركية المعروفة بـ«wallstreet» لاعتناق مبادئ الشريعة الإسلامية؟» كتب رئيس تحرير صحيفة المال الفرنسية افتتاحية عدد ٢٠٠٨/٩/٢٥ مطالبًا بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق المال جراء التلاعب بقواعد التعامل، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة، ومبينا اقتناعه التام بفشل الرأسمالية فشلًا ذريعًا، وداعيًا إلى البحث عن خيارات بديلة لإنقاذ الأوضاع المالية المتردية، وقدم عددًا من المقترحات كان في مقدمتها تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

في الحث على طلب العلم

قال مصعب بن الزبير رضي الله عنه «تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالًا، وإن لم يكن لك مال كان لكن مالًا»، ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى: تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسًا ولا يسقم نفسًا. فأخرج له طعامًا وصدقة، فقال المتعلم: حاجتي إلى كلامكم أشد من حاجتي إلى طعامكم، إني طالب هدي لا سائل ندى، فأذن له العالم وأفاده من كل ما سأل، فخرج جذلًا فرحًا وهو يقول له: علم أوضح لبسا خير من مال أغنى نفسًا.

وقد قال ابن المعتز في منثور الحكم: العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلًا، والجاهل لا يعرف العالم، وقيل لبرزجمهر: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم، قيل: فما بالنا نرى العلماء على أبواب الأغنياء ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء، فقال: لمعرفة العلماء بمنفعة المال وجهل الأغنياء بفضل العلم. وأنشد بعضهم قائلًا:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت
فليس له حتى النشور نشور

● **عبدالله الأمين**

إعداد: خالد خلاوي

استيقظ باكرًا تحصد الذهب

جاء في قصة نجاح بيل غيتس صاحب شركة «مايكروسوفت» الشهيرة أن من أهم أسباب نجاحه، أنه كان يبدأ يومه باكرًا فيستيقظ الساعة الرابعة صباحًا ويعمل لساعات طويلة، عملًا بقاعدة غربية تقول: «إن في الصباح الباكر ذهبا»، وحصد بيل غيتس الذهب وتصدر قائمة فوربس التي تضم أثرياء العالم لعدة سنوات، فالاستيقاظ مبكرًا دليل النشاط والعمل الدؤوب والهمة العالية لتحقيق الهدف المنشود، وكثير من الأعمال العظيمة بكر أصحابها في إنجازها في الساعات الأولى من اليوم.

وإذا كانت القاعدة الغربية في الاستيقاظ الباكر تركز على النجاح في الدنيا بتحصيل المال والثروة فحسب، فإن القاعدة الإسلامية في البكور تُعنى بخيري الدنيا والآخرة، فالمسلم حين يستيقظ باكرا فإنه يطلب الذهب وما هو أغلى من الذهب، يطلب رضا الله سبحانه بالاستيقاظ لصلاة الفجر، ويلتمس البركة في العمل والرزق في وقت تقدير الأرزاق، روي عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ «اللهم بارك لأمتي في بكورها» قال راوي الحديث: «وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أول النهار».

وقال راوي الحديث: «وكان صخر رجلًا تاجرًا فكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله». (رواه ابن ماجه في السنن).

وقد كان رسول الله ﷺ يجلس في المسجد بعد صلاة الصبح مع الصحابة يتذاكر معهم القرآن، روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء» (صححه الألباني).

والرسول ﷺ رغبنا في لزوم المساجد والجلوس فيها لذكر الله تعالى طلبًا للثواب العظيم فقال: «من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة» (رواه الترمذي).

وكان أبوبكر رضي الله عنه ممن يحسنون استثمار هذا الوقت في الأعمال الصالحة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (رواه مسلم).

والذين ينامون في هذا الوقت الثمين ويستغرقون في نومهم إلى انتشار الشمس يحرمون أنفسهم بركة هذا الوقت.

قال بعض السلف: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟

وروي عن ابْن عَبّاس رضيَ اللّهُ عنْهُمَا أنه رأى ابْنًا لهُ نائمًا نَوْمَةَ الصُّبْحَة فقال لَهُ: قُمْ، أَتَنامُ فِي السّاعَةِ الّتِي تُقَسّمُ فِيهَا الأَرْزَاقُ؟ وكان عروة بن الزبير ينهى بنيه عن النوم في الصباح، وقال علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار.

واعتبر الإمام ابن القيم رحمه الله كثرة النوم بخاصة في هذا الوقت مفسدة؛ فإنه يميت القلب ويثقل البدن ويضيع الوقت ويورث كثرة الغفلة والكسل.

يقول د.عائض القرني في كتابه «مفاتيح النجاح»: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، واحذر البغتة، وإياك والتأجيل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.

ويضيف: بارك الله للأمة في بكورها، فإذا أردت عملًا فعليك بالصباح فإنه أسعد الأوقات.

والاستيقاظ مبكرًا قد يكون صعبًا على البعض، خاصة على من تعود السهر والاستيقاظ متأخرا، وتغيير هذه العادة يتطلب مجاهدة النفس بالإصرار على البكور وتمرين النفس وبرمجتها حتى يصبح عادة وأمرًا سهلًا.

ينقل خبير البرمجة اللغوية العصبية د.إبراهيم الفقي في كتابه «قوة التحكم في الذات» قول جيمس آلان: «أنت اليوم حيث أوصلتك أفكارك، وستكون غدا حيث تأخذك أفكارك، لا أحد مر بتجربة أو باتخاذ قرار إلا ويجد نفسه أمام خيارين.. أو بالأحرى صوتين من الداخل، وكأن أحدا يتكلم إلينا.. الأول يقول: نعم والثاني يقول: لا» ويعلق الفقي شارحًا هذه العبارة: هل حدث أن قررت الاستيقاظ إلى صلاة الفجر فأحد الأصوات يقول لك: سم الله..استعن بالله وقم للوضوء، وصلاة الفجر عظيمة، وفي هذا الوقت مفتاح الرزق والتوفيق... ولا تتكاسل.. بينما الصوت الثاني يقول

لك: نم.. مازال أمامك متسع من الوقت.. الدفء والراحة.. ستصليها بعد نهوضك.. غدًا.. إن الله غفور رحيم.. ترى أيهما كان النصر حليفه؟ ربما تكون مررت بتجربة سلبية سببت لك إحساسا سيئا، ومن وقت إلى آخر تسمع صوتا يذكرك بتلك التجربة ويعيد عليك نفس الإحساس السيئ.. لقد مرت التجربة وانتهت.

والآن وقد اعتدت على البكور استثمر هذا الوقت الثمين في كل عمل مفيد وننصح بالأعمال التالية:

- قراءة القرآن وحفظه ومدارسة تفسيره ومعانيه.
- أذكار الصباح والاستغفار.
- المذاكرة والاستيعاب لطلاب العلم.
- إنجاز الأعمال المهمة، خاصة التي تحتاج إلى تركيز وصفاء ذهن.
- الاجتماع مع أفراد الأسرة ومناقشة الاستعداد لأعمال اليوم.
- عمل برنامج للقراءة الحرة أو في تخصصك العلمي أو المهني.

صور من حياة المتميزين

الشافعي رحمه الله

المطالع لكتب التراجم والسير يلاحظ أن أغلب دروس الأئمة والعلماء كانت بعد صلاة الفجر التماسًا لبركة هذا الوقت، والمبادرة إلى تحصيل العلم في أول اليوم.

قيل للشعبي بم حصلت هذا العلم؟ فقال: ببكور الغراب وسعي كسعي العقاب.

وكان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رحمه الله.

وجاء في تاريخ بغداد عن أبي معاذ عن مسعر بن كدام قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده، فرأيته يصلي الغداة (الفجر)، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء.

وينقل الإمام ابن القيم في كتابه الوابل الصيب عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان يجلس بعد الصلاة (صلاة الصبح) يذكر الله وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، يعني بذلك ما يحصل للعابد من لذة المناجاة التي لا نسبة بينها وبين لذات الدنيا بأسرها، وكان يقول رحمه الله كما ينقل عنه تلميذه ابن القيم: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. وقد كان إذا صلى الفجر جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار.

وجاء في سير أعلام النبلاء عن الوليد بن مسلم قال: رأيت الأوزاعي يقبع في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض فأفضوا في ذكر الله والتفقه في دينه.

كلمات في التميز

- «إنّ حياتنا من صنع أفكارنا» وعليه إذا نحن ساورتنا أفكار سعيدة كنّا سعداء، وإذا تملّكتنا أفكار شقيّة غدونا أشقياء، وإذا خامرتنا أفكار مزعجة تحوّلنا خائفين جبناء، وإذا تغلّبت علينا هواجس السّقم، والمرض، فالأغلب أن نبيت مرضى سقماء» **الشيخ محمد الغزالي.**
- «إنّ أفكارنا هي التي تصنعنا واتّجاهنا الذّهني هو العامل الأوّل في تقرير مصيرنا» **ديل كارنيغي.**
- «إن أعظم اكتشاف لجيلي، هو أن الإنسان يمكن أن يغير حياته، إذا ما استطاع أن يغير اتجاهاته العقلية» **وليام جيمس.**
- «من لم يكن له في بدايته احتراق لم يكن له في نهايته إشراق، ومن جدّ في شبابه ساد في شيخوخته» **د.عائض القرني.**
- «يلوم الناس ظروفهم على ما هم فيه من حال.. ولكني لا أومن بالظروف فالناجحون في هذه الدنيا أناس بحثوا عن الظروف التي يريدونها، فإذا لم يجدوها وضعوها بأنفسهم» **برنارد شو.**

إعداد: هالة محمد

أنت تفكر والكمبيوتر يكتب!

قد يتمكن مستخدمو الكمبيوتر من كتابة الحروف والأرقام بفضل قوة التفكير في موجاتهم الدماغية، فقد ذكرت دراسة جديدة أجراها باحثون في جامعة «فلوريدا» انه يمكن لمستخدمي الكمبيوتر ان يظهروا الأحرف على الشاشة من خلال التركيز على الحرف المحدد من بين مجموعة من الأحرف.

وقدُمت هذه الدراسة أمام الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية لمرضى الصرع، وخضع لها مريضان يعانيان من الصرع، وقد وضعت أقطاب كهربائية (الكترود) في جمجمتيها وعلى سطح الدماغ من خلال عملية جراحية وراقبت هذه الاقطاب الكهربائية النشاط الكهربائي الذي تنتجه الخلايا العصبية وطلب من المريضين النظر الى شاشة كمبيوتر احتوت على شبكة قياس ٦×٦ مؤلفة من رقم وحرف واحد في كل مربع، كلما أضاء مربع معين يحتوي على حرف محدد وركز عليه المريض سجل الكمبيوتر رد فعل الدماغ على الحرف المضيء ثم طلب من المريضين التركيز على احرف محددة وسجل برنامج الكمبيوتر المعلومات ثم تم ضبط الكمبيوتر ليتناسب مع الموجات الدماغية لدى المريض وحين ركز المريض على حرف ما ظهر هذا الحرف على الشاشة، وقد تساهم هذه التقنية الجديدة العاملة على الموجات الدماغية في مساعدة الاشخاص المصابين بأمراض تمنعهم من الحركة، على استخدام الكمبيوتر.

مياه المتوسط تدفقت من المحيط الأطلسي

تقول دراسة علمية جديدة، إن البحر المتوسط تكون بفعل فيضان جارف من مياه المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق قبل ملايين السنين واوضحت الدراسة التي قام بها باحثون من معهد العلوم التابع لجامعة برشلونة (اسبانيا) أن ما يعرف اليوم بالبحر الأبيض المتوسط كان بحيرة مغلقة وما لبثت كل مياهه تقريبًا ان تبخرت فأصبح مجرد حفرة هائلة وأن عملية التبخر استغرقت عدة آلاف من السنين، وأضافت الدراسة أن العلماء متفقون على أن حوض البحر الأبيض المتوسط قد امتلأ مجددًا بالمياه بعد أن تسببت حركة القشرة الارضية بانخفاض سطح المنطقة المحاذية لمضيق جبل طارق لكن ليس بقدر كاف ما سمح لمياه المحيط الأطلسي بالاندفاع شرقًا. وأكدت الدراسة التي اعتمدت على تحليل المعلومات الزلزالية التي تم الحصول عليها من خلال عمليات حفر في أعماق صخور المضيق، أن اندفاع مياه المحيط كان بعرض ٢٠٠ كم وأن اندفاع المياه كان بطيئًا في البداية حيث استغرق ذلك عدة آلاف من السنين.

النباتات لتقنية الهواء!

تشير آخر الأبحاث الى اهمية الاستعانة بعدد من النباتات المنزلية داخل المنزل لتنقية الهواء وازالة الكائنات الدقيقة الضارة بصحة الانسان، فالنباتات تحتوي على مركبات طبيعية لديها القدرة على تنقية الهواء الموجود في الغرفة المغلقة، وتعمل على تحييد الكائنات الدقيقة العالقة بالهواء والتي تضر بصحة الإنسان، وقد أجريت بعض الابحاث الأولية في هذا الصدد على عدد من النباتات حيث تم وضعها في احواض زجاجية مغلقة تشابه البيئة الموجودة في الغرف المغلقة مع اضافة بعض الكائنات الدقيقة الضارة بصحة الانسان وثاني اكسيد الكربون، فأثبتت أن هذه النباتات لها فاعلية تخليص الهواء في هذه الأحواض الزجاجية من الهواء الفاسد وبعض الكائنات الدقيقة التي تشكل خطورة على صحة الإنسان.

وزن البحر!

في اطار جهود اكتشاف كيفية تأثير كتلة المحيط على الألواح التكتونية (حركة الطبقات الصخرية لباطن الأرض) قام فريق من العلماء الألمان بالشروع في واحدة من أكثر ادوات القياس صعوبة المتوافرة في الطبيعة وبالأخص لتحديد وزن البحر، وذكر تقرير ألماني أنه وخلافًا للمتغيرات الحسابية لمستويات البحر البسيطة نسبيًا، فان اكتشاف كتلة الماء أمر اكثر تعقيدًا، كما يساهم عدد كبير من العوامل في التغييرات في ذلك العدد ونظرا لأن مستويات المحيطات ليست جامدة كما في النماذج المثالية، لذا فان الرقم يتغير بشكل ملحوظ على مدى اطر زمنية قصيرة.

ويقول العلماء في مركز الأبحاث الألماني للعلوم الجيولوجية (جي اف زد) في جمعية هيلمهولتز ومعهد الفريد فيغنر للعلوم القطبية والبحرية، العاملون معا مع زملاء من جامعة بون، إنهم حلوا اللغز بالوصول الى وسائل حساب دقيقة بالقدر الكافي الذي يمكنهم من ملاحظة التقلبات قصيرة المدى في التوزيع المكاني للكتل المائية داخل كتلة الماء. ويحتاج اي عالم إلى معرفة عنصرين أساسيين من أجل حساب كتلة المحيط، هما: طبوغرافيا القاع وارتفاع مستوى البحر. لكن الأمر يتطلب توافر عوامل أخرى لإنجاز هذا العمل مثل درجة الحرارة والمكون الملحي.

توقع العثور على حياة خارج الأرض

قال عالم فضاء بريطاني رائد، ان احتمال العثور على كائنات حية على كواكب أخرى بات اليوم أكبر من أي وقت مضى.

ونقلت الأنباء عن لورد ريس، رئيس الجمعية الملكية وعلم الفضاء الملكي، قوله، ان هذا الاكتشاف سيصبح حدثًا يغير الانسانية، واشار الى أن هذا الاكتشاف سيغير نظرتنا لانفسنا وللكون.

وجاءت تعليقات ريس في اطار مؤتمر دولي تستضيفه لندن لمناقشة احتمال العثور على حياة خارج الأرض.

ويمسح العلماء الفضاء من أجل العثور على بث من كائنات فضائية منذ أكثر من ٥٠ سنة، ولم يجدوا شيئًا حتى الآن، غير أن ريس أكد أن احتمال العثور عليها اليوم بات أفضل من أي وقت مضى.

وأشار الى أن التكنولوجيا قد تطورت بشكل كبير، وللمرة الأولى بات لدينا أمل واقعي في العثور على كواكب ليست أكبر من الأرض تدور حول نجوم أخرى.

وقال إنه بات من الممكن اكتشاف ما إذا كانت هذه الكواكب تتمتع بمحيطات وقارات واكتشاف نوع الغلاف الجوي الذي تتمتع به.

وقال: «أظن أن ثمة حياة وذكاء هناك باشكال لا نستطيع تخيلها»، وتوقع أن تتمتع هذه الكائنات بذكاء أكبر من الذكاء البشري، وبعيدة عنه بعد البشر عن الشمبانزي.

خريطة ذكر النحل الجينية للإبادة الطبيعية

تمكن علماء اميركيون من فك رموز الخارطة الجينية لثلاثة أنواع من ذكور النحل التي تقتل الطفيليات، مكتشفين خصائص تتيح تطوير مبيدات حشرية طبيعية، على ما جاء في دراستهم.

ويعتبر هذا النوع، الذي لا يتخطى حجم عدد كبير منه الميليمترات القليلة، مفيدا جدا لأنه يقضي على الحشرات المضرة.

وهذه الحشرات التي تضم ٦٠٠ الف نوع تضع بيضها في النبتة التي تستضيفها وتقضي عليها.

وقال جون ورن عالم الأحياء في جامعة روشستر (نيويورك، شرق الولايات المتحدة) الذي شارك في الدراسة التي نشرت في عدد ١٥ يناير من مجلة «ساينس»: «لولاها ولولا غيرها من الحشرات القانصة الطبيعية الأخرى لكانت هذه الحشرات اجتاحتنا».

واوضح ورن أن ذكور النحل هي «مثل القنابل الذكية لانها تبحث وتختار الحشرات التي تقتلها».

وتابع الباحث: ان كنا نستطيع الاستفادة من هذه الإمكانية لصنع مبيد حشري طبيعي فسيكون ذلك افضل بكثير من المبيدات الكيميائية التي تقضي من دون تمييز على اجسام حية وتسممها بما في ذلك جسم الإنسان.

وتعود الخرائط الجينية الثلاثة التي تم تفكيك رموزها الى انواع من عائلة «ناسونيا» التي تعتبر مختبرا لدراسة الحشرات الطفيلية التي تنمو في جسم كائن آخر أو عليه.

واشار العلماء الى أنه من أجل تطوير مبيدات حشرية جديدة يجب التعرف الى الجينات التي تحدد أي حشرات تهاجمها ذكور النحل وأي سم تستخدم.

ويمكن الاستفادة من هذه السموم لتطوير ادوية جديدة لأنها تؤثر على فيزيولوجيا الخلية.

من هنا وهناك

■ نجح باحث ايراني في ابتكار أسلوب جديد لفصل خلايا المنشأ عن النخاع، حيث نتج عن ذلك إطالة عمر وقوة هذه الخلايا الى ثلاثة أضعاف.

■ أصبحت السمكة التي صنفها الكثيرون بأنها اكثر الاسماك قبحًا في العالم وتعرف باسم blobfish في وضع خطر، نظرًا لكونها باتت مهددة بالانقراض.

■ أعلنت البعثة الأثرية النمساوية في القاهرة ومعهد المصريات التابع لجامعة فيينا عن اكتشافهما بقايا طابعة ختم من الطين المحروق محفور عليها بالكتابة المسمارية في المنطقة الأثرية بتل الضبعة في محافظة الشرقية.

■ وضع علماء بريطانيون خريطة جينية كاملة لنوعين معروفين من مرض السرطان (الجلد والرئة) ما يمكن ان يشكل منعطفًا في علاج هذين المرضين.

■ تتوافر حاليًا في بريطانيا أصابع الكترونية تساعد الاشخاص الذين فقدوا إصبعًا واحدة أو عدة أصابع على اعادة استخدامها ما يساهم في تحسين ظروف حياتهم.

■ ابتكر علماء فرنسيون طريقة سريعة لصنع جلد بشري من الخلايا الجذعية، وهذا الاكتشاف سينقذ حياة العديد من ضحايا الحروق، وقد حقق العلماء هذا الانجاز عن طريق صنع رقعة من الجلد البشري على ظهر الفئران باستخدام الخلايا الجذعية من الخلايا التي لديها القدرة على التطور الى أي خلايا بشرية.

■ حذر تقرير بريطاني من أن ازدياد مستوى سطح البحر بمقدار نصف متر بحلول عام ٢٠٥٠م يمكن ان يعرض اصولاً وموجودات بقيمة تتجاوز ٢٨ تريليون دولار في اكبر مدن العالم الساحلية للخطر

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية

١٣٩٠ هل يجوز استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية؟

لا بأس شرعًا بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم على سبيل الاقتباس لتعزيز معنى صحيح أو لاتخاذ شعارٍ لإعلان الالتزام بما تضمنته الآية الكريمة، شرط أن يكون موطن الاقتباس خاليًا من أي أمر محرم أو فكرة باطلة أو مقام ينافي احترام القرآن الكريم وتنزيهه، ويحسن أن تجرد الآية المقتبسة من أي عبارة تدل على إرادة قرآنية من مثل عبارات «قال الله تعالى» أو «صدق الله العظيم» أو «قرآن كريم»، وذلك ليكون إيرادها على سبيل القول لا على سبيل التلاوة القرآنية، لأن القرآن يشترط لتلاوته الطهارة من الحدث الأكبر ويشترط للمسه الطهارة مطلقا.

وكذلك الحكم بالنسبة للصور التي تمثل مقدسات وشعائر إسلامية كالكعبة والمصحف والمسجد والبسملة ولفظ الجلالة واسم الرسول عليه الصلاة والسلام.

تسمية المسيحيين بالنصارى

١٣٩٧ ذكر القرآن الكريم لفظ النصارى فقط على أتباع سيدنا المسيح عليه السلام، لكن الناس في زمننا هذا تعارفوا على استخدام لفظ المسيحيين، ويكره المسيحيون لفظ النصارى، فما الصواب في ذلك؟

لا مانع شرعا من أن يطلق على المنتسبين إلى الديانة المسيحية كلمة «المسيحيين» أو «النصارى»، وقد جرى علماء الإسلام على إطلاق اللفظين من غير نكير، وتسميتهم بالمسيحيين لا تقتضي أنهم متبعون حقًا للمسيح عليه السلام، لأن النسبة تصح بأدنى مناسبة، كما أن تسميتهم بالنصارى لا تقتضي أنهم أنصار المسيح على الوجه الكامل.

الأولوية في إعادة المسجد

١٤١٥ إذا تهدم مسجد أو كان آيلا للسقوط وأريد هدمه ويوجد له وقف عليه، كما يوجد متبرع مستعد لدفع نفقة البناء، وكذلك يمكن أخذ المبلغ من ميزانية الدولة، فأي الأطراف الثلاثة أحق بالبناء؟ وإذا كان الموجود من أموال وقف المسجد لا يكفي للبناء، فهل يؤخذ من أموال أوقاف مساجد أخرى أو يقدم المتبرع؟ مع العلم أن الأخذ من الميزانية العامة قد يسبب تأخير إعادة البناء.

إن الأمور الثلاثة المذكورة في السؤال كلها جائزة وترجيح بعضها على بعض يرجع إلى المسؤول عن هذا الموضوع ليلاحظ المصالح المختلفة ويقدم الجهة التي يكون في الأخذ منها المصلحة الأعلى، ويبدو للجنة في هذه الحالة المذكورة أن الأخذ من المتبرع أفضل لأنه أسرع وأضمن، ولو أخذ من ميزانية الدولة والوقف فلا بأس.

الإقراض من مال الصدقة

هل يجوز لهيئة خيرية تقديم قرض حسن للجنة خيرية لإقامة وقف خيري يعود ريعه لأعمال البر التي تشرف عليها اللجنة، شرط أن تسدد المبلغ أولا، وبصورة كاملة على أقساط إلى الجهة المقرضة؟

لا يجوز للهيئة أن تقرض جهة أخرى من مال الزكاة، ويجوز لها أن تقرض من أموال الصدقات والخيرات التي لم يعين أصحابها جهة صرفها، فإن كانت الصدقات معينة وجب صرفها في الجهة المعينة، لأن الهيئة تعتبر وكيلة عن المتصدق، وترى

اللجنة أن اشتراط الهيئة رد المبلغ مقسطا اشتراط جائز.

دفع الزكاة للأخوات الفقيرات

١٤٥١ ما حكم دفع الزكاة لبعض الأخوات الشقيقات لضيق سعة اليد لديهن؟

يجوز دفع الزكاة للأخوات المستحقات لها بوصف الفقر إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون المزكي ملزمًا بالإنفاق عليهن بحكم قضائي وقد حكم به عليه فعلًا.

حفظ أجرة العامل واستثمارها

١٤٧٣ اتفقت مع مقاول على بناء حوض، وبناؤه يكلف ١٠٠٠ دينار، وبعد أن أنهى المقاول بناء الحوض سافر ولم يرجع إلى الآن، حيث مضى على سفره سنتان، فكيف نتصرف بهذا المبلغ؟

يستحسن البحث عن مكان مستحق المبلغ بالطرق المتيسرة، فإن لم يعثر عليه يجب عليه أن يبين في أوراقه ما يصلح إثباتًا رسميًا وبوثيقة بالشهود أن في ذمته لفلان المبلغ المذكور نظير ذلك العمل، وإن أحب أن يستثمر المبلغ بطرق مأمونة مشروعة ويجعل ريعه لصالح مستحقه فذلك مستحب، على أنه إذا نقص المبلغ بالاستثمار فيكون النقص على المدين لا على المستحق، فإذا يئس من رجوع صاحب الحق بعد مضي مدة كافية حسب العرف فله أن يتصدق به، ثم إذا ظهر صاحبه يخبره بما فعل فإن أجاز الصدقة فالأجر له، وإلا دفع له حقه وكان الثواب للمدين.

البيع بالأقساط

١٥١٤ ما حكم البيع بالأقساط مع الزيادة في الثمن؟

يجوز البيع بالأجل بثمن أعلى من البيع الحال على أن تعتبر الزيادة مندمجة في الثمن، وعلى أنه في حال تأخير الدفع عن الأجل المحدد لا يزاد في الثمن بسبب التأخير، ولا يحط منه عند التعجيل في السداد إذا كان الاتفاق مسبقًا.

المساواة بين الأبناء

أرغب شراء قطعة أرض من والدي بقيمة أقل من قيمتها في السوق، علمًا بأن قيمتها السوقية حوالي ٥٠٠٠٠ دينار، وقد وافق والدي على بيعها لي بمبلغ ٢٥٠٠٠ . ٣٠٠٠٠ دينار، علمًا بأن باقي إخوتي وافقوا على ذلك، وأنا أكبرهم سنا، إلا الأخ الأصغر فقد اعترض على ذلك لأسباب خاصة.

لذا أود معرفة الحكم الشرعي في هذا الأمر، وهل يجوز لي الشراء بالرغم من اعتراض أخي؟

يجب على الأب أن يسوي بين أولاده في العطية، وفي الصورة المسؤول عنها يكون الأب قد حابى هذا الابن لغير سبب يقتضي ذلك، والمحاباة في معنى العطية، فكأنه أعطاه عشرين ألفا دون سائر إخوانه، فيأثم الأب بذلك ما لم يرجع إلى التسوية بين أولاده، بأن يسترد من ابنه هذا عشرين ألفًا، أو يجعل العطية بين أولاده متساوية.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)

بشأن حكم بيع التورق

بعد تداول أعضاء المجمع والمناقشة والرجوع إلى الأدلة والقواعد الشرعية وكلام العلماء في هذه المسألة قرر المجلس ما يلي:

أولًا: أن بيع التورق هو شراء سلعة في حوزة البائع وملكه بثمن مؤجل ثم يبيعها المشتري بنقد لغير البائع للحصول على النقد (الورق).

ثانيًا: أن بيع التورق هذا جائز شرعًا، وبه قال جمهور العلماء، لأن الأصل في البيوع الإباحة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولم يظهر في هذا البيع ربًا لا قصدًا ولا صورة، ولأن الحاجة داعية إلى ذلك لقضاء دين، أو زواج أو غيرهما.

ثالثًا: جواز هذا البيع مشروط بألا يبيع المشتري السلعة بثمن أقل مما اشتراها به على بائعها الأول، لا مباشرة ولا بالواسطة، فإن فعل فقد وقعا في بيع العينة، المحرّم شرعًا، لاشتماله على حيلة الربا فصار عقدًا محرمًا.

رابعًا: إن المجلس- وهو يقرر ذلك- يوصي المسلمين بالعمل بما شرعه الله سبحانه لعباده من القرض الحسن من طيب أموالهم، طيبة به نفوسهم، ابتغاء مرضاة الله، لا يتبعه منّ ولا أذى، وهو من أجلّ أنواع الإنفاق في سبيل الله تعالى، لما فيه من التعاون والتعاطف والتراحم بين المسلمين، وتفريج كرباتهم، وسد حاجاتهم، وإنقاذهم من الإثقال بالديون، والوقوع في المعاملات المحرمة، وإن النصوص الشرعية في ثواب الإقراض الحسن، والحث عليه كثيرة لا تخفى، كما يتعين على المستقرض التحلي بالوفاء، وحسن القضاء وعدم المماطلة.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي محمد النصر
الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

غاظني وسرَّني

قال ابن حزم: غاظني أَهل الجهل مرتين من عمري: إحداهما بكلامهم فيما لا يحسنونه أيام جهلي، والثانية بسكوتهم عن الكلام بحضرتي، فهم أبدًا ساكتون عمَّا ينفعهم، ناطقون فيما يضرهم.

وسرني أَهل العلم مرتين من عمري: إحداهما بتعليمي أيام جهلي، والثانية بمذاكرتي أيام علمي». (مداواة النفوس)

نعم الأصدقاء

دخلَ جماعةٌ على الحسن وهو نائمٌ، فجعلَ بعضُهم يأكُل منْ فاكهة في البيت، فقَالَ الحسنُ: رحمكَ الله، هذا وَالله فعْلُ الإخْوَان.

ويُرْوَى أَنَّ فتحًا الموصلي جاءَ إلى صديق له يُقالُ لهُ عيسى التَّمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجي لي كيسَ أخي، فأخرجته، فأخذَ منه درهمين، وجاءَ عيسى إلى منزله فأخبرتهُ الجاريةُ بذلك فقال: إنْ كُنتِ صادقة فأنت حرَّة، فنظر فإذا هي قد صدقت، فعُتِقَتْ.

(الوعظ المطلوب للقاسمي)

الحلم من أشرف الأخلاق

الحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي العقول الناضجة، فلا توجد نتيجة حسنة، ولا غاية حميدة، ولا نهاية سعيدة، إلا كان الحلم سبيلها، والموصل إليها لأنه يقتلع الشَّرّ من جذوره، ويطفئ النَّار في أول بدوها، ويقضي على كل فتنة في مهدها، ويرغم الشيطان أن يكون من المدحورين المذمومين.

(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا)

أربع يشرف بهنَّ الإنسان يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ يشرفُ بهنَّ الإنسانُ يومَ القيامَةِ: أنْ تصلَ مَنْ قَطعَكَ، وتعطي مَنْ حرمكَ، وتعفو عمَّنْ ظلمكَ، وتحلمَ عمَّن جَهلَ عليكَ» (الطبراني).

أخبار الثقلاء

الثقلاء اسم يُطلق على فئةٍ من الناس تضيق بهم المجالس، وتتكدر منهم الخواطر، فلا ترتاح لهم الأنفس، ولا تنشرح لهم الصدور، وكانَ للعلماء قديمًا أقوالٌ في مجالسة ثقيل الطَّبع والقلب، قال الإمامُ أحمد بن حنبل: الثقلاء أهلُ البدع، وقيل: الحمقى، وقيل الثَّقيل: هو ثخين الطبع، المخالف في المشرب، البارد في تصرفاته، قال تعالى ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ المنافقون: ٤) وقال: ﴿لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (النساء: ٧٨).

وقال الشافعي عنهم: إن الثقيل ليَجْلس إليَّ فأظنُّ أنَّ الأرض تميلُ في الجهة التي هو فيها، وهذا من شدة برودة طبعه وقباحة تصرفاته ودناءة أفعاله.

بكاء المرأة

قال الشعبي: كنت جالسًا عند شريح القاضي إذ دخَلَتْ عليه امرأةٌ تشتَكي زوجهَا وهو غائب، وتبكي بكاء شديدًا، فقلت: أصْلَحك الله، ما أراها إلا مظلومة!

قال شُرَيْح: وما عِلْمُك؟ قلت: لِبُكَائِهَا.

قال شُرَيْح: لا تفعَل، فَإِنَّ إخْوةَ يوسف جاءوا أباهُم عِشاءً يبْكُون، وهُمْ لهُ ظَالِمُون.

إن لي عندك يدًا

أتى رجلٌ عبيدالله بن العباس وهو بفناء داره فقال: يابن العبّاس إن لي عندك يدًا وقد احتجتُ إليها؛ فصَعَّد فيه بصره وصوَّبه، فلم يعرفْه، ثم قال له: ما يدُك عندنا؟ قال: رأيتُك واقفًا بزمزم وغلامُك يَمْتَحُ لك من مائها، والشمسُ قد صَهَرَتك، فظلّلْتُك بطَرَف كسائي حتى شربتَ! قال ابن العباس لقيِّمه: ما عندك؟ قال: مئتا دينار وعشرة آلاف درهم، فقال: ادْفَعها إليه، وما أراها تَفي بحقِّ يَدِه عندنا!.

قال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيلَ ولدٌ غيرُك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد وَلَد سَيِّدَ الأولين والآخرين محمدًا ﷺ ثم شفَع بك وبأبيك.(المستطرف: ٣٤٩/١).

إن حلَتْ أوْ حَلَتْ

قال رجل ضرير للسَّفَّاريني في جامع دمشق: يا سيدي، هذه الدنيا ولذاتُها وهميَّة وخياليَّة، ولا لذَّةَ فيها، وإنَّما هي دفْعُ آلام ومضرَّات.. فهي إنْ حَلَتْ أوْحَلَتْ، أو جَلَتْ أوْجَلَتْ، أو كَسَتْ أوْكَسَتْ، حلوُها مرٌّ، ونفعُها ضُرٌّ، وصِدْقُها كَذِب، وراحَتُها تَعَب، فهي تُنادي على أهلِها بذلكَ وتقول، ولكن أيْنَ أرْبَابُ العقول. (القول العلي للسَّفَّاريني)

الكتاب

قال الجاحظ: الكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حُشيَ طرفا، وإناء شُحن مزاجًا، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء.. لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض، وآكتم للسِّر مِنْ صاحب السِّر، وأحفظ للوديعة مِنْ أربابِ الوَديعة.

(موسوعة أقوال الحكماء)

النَّاس ثلاثة

قال هشام بن عبيدالله الرازي: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: الناس ثلاثة: مجنون، ونصف مجنون، وعاقل، فأمَّا المجنون فأنت منه في راحة، وأمَّا نصف المجنون فأنت منه في تعب، وأمَّا العاقل فقد كُفيت مؤنته.

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد ابن حبيب)

أمثال

لا ناقة لنا فيها ولا جمل

نزلت يومًا امرأة تسمى «البسوس» بناقتها إلى جوار جسَّاس بن مرة وكان من سادة قومه، وبعد عدة أيام من إقامة «البسوس» دخلت ناقتها في إبل كليب بن وائل، سيد قومه، فرماها بسهم فقتلها.

فلما عَلِمَ جسَّاس بما صنع كليب، ثارَ لقتل ناقة «البسوس» التي نَزَلت في حماه، فتربص لكليب وقتلَه، فثارت الحرب بين قوم كليب وقوم جسَّاس، وكان من قوم جسَّاس رجل شجاع عاقل يسمى «الحارث بن عُبَاد» رفض مساعدة قومه في الحرب، حيث لم يعجبه أن يُقْتل كليب وهو سيد قومه في ناقة، وقال لن أشارك في حرب «لا ناقة لي فيها ولا جمل»، فصار المثل يُضرب في براءة الإنسان من تهمة لا شأن له بها.. أو دعي إلى عمل لا يجني من ورائه نفعا.

ابتسامة

لا تجادل مجنونًا

بعث الرشيد وزيره ثمامة إلى دار المجانين ليتفقد أحوالهم، فرأى شابا حسن الوجه يبدو وكأنه صحيح العقل، فأحب أن يكلمه، فقاطعه المجنون بقوله: أريد أن أسألك سؤالًا، فقال الوزير: هات سؤالك، فقال الشاب: متى يجد النائم لذة النوم؟ فقال الوزير: حين يستيقظ، فقال الشاب: كيف يجد اللذة وقد زال سببها؟!

فقال الوزير: بل يجد اللذَّة قبل النوم، فاعترضه الشاب بقوله: وكيف يجد اللذة بشيء لم يذق طعمه بعد؟ فقال الوزير: بل يجدها حال النوم، فرد عليه الشاب بقوله: إن النائم لا شعور له، فكيف تكون لذة بلا شعور؟! فبهت الوزير ولم يجد جوابًا وانصرف وهو يقسم ألا يجادل مجنونا أبدًا.

حِرْفَةُ العَارف

قال بعض الحكماء: حرفة العارف ستة أشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا همَّ بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر. (تنبيه الغافلين للسمرقندي)

بِئْسَ الصَّدِيق

قال يحيى بن معاذ: بئس صديق تحتاج إلى أن تقول له: اذكرني في دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة أو تحتاج أن تعتذر إليه.

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي)

أَجَارُهُ مِنَ المَوت

مَرَّ الأَعْشَى ببلاد بني عامر، فخافهم على ما معه من متاع، فاستجار علقمة بن عُلاثَة (ت: ٢٠هـ)، فقال: أَجَرْتك، قال: من الجنِّ والإنس؟ قال: نعم!، قال: ومن الموت؟ قال: لا! فأتى عامر بن الطفيل فاستجاره، قال: قد أجرتك، قال: من الجنِّ والإنس؟ قال: نعم! قال: ومن الموت؟ قال: نعم ! قال: وكيف تجيرني من الموت؟ قال: إن متَّ وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدِّيةَ، فقال: الآن علمت أنك أجرتني من الموت، ثم مدح عامرًا وهجا علقمةَ؛ فقال علقمة: «لو علمت الذي أراد لكُنتُ أعطيتُه إياه» (قصص العرب ١٢٨/١).

مسك الختام

أحمد بشار بركات

الأجمل دائمًا!

حب الاكتشاف والتعرف إلى الجديد من طبع الإنسان، ولهذا تعتبر فترة الاكتشاف والتعرف هذه أجمل فترات الحياة، أما أتعسها فهي فترات الملل.

ولعله لهذا السبب تبدو لي المدينة التي أراها أول مرة أجمل المدن، لكني وبعد بضعة أيام، لا ألبث أن أبحث عن سبب أقنع به نفسي لمغادرتها، وربما بلا نية في عودة ثانية!

إن دنيانا كذلك، لكن فترة اكتشافها قد تمتد بنا إلى أربعين سنة، وهذا يرجع إلى أن الإنسان يحتاج إلى كثير من الوقت ليستكمل اكتشافه لنفسه والدنيا التي حوله، وهذه تسمى عند العلماء «فترة التطور الغريزي».

ولو راقبنا قمر السماء لوجدناه بعد اتساقه في ليلة البدر، يأخذ في النقص التدريجي، حتى يدخل مرحلة المحاق.

ولعل أبلغ مثال على ما قدمت من أن أروع وأجمل مراحل الحياة هي مراحل الاكتشاف الطفل الصغير.. أنظر إليه فأرى الدنيا كلعبة بين يديه، فهو مرح وفرح ومشوق للحياة، فطعمها الحلو في فمه، وجمالها باد في عينيه، وهو مسرور بها وبأهلها وبمقتنياتها!

وبمناسبة الحديث عما يبهر الطفل في الحياة، أحب أن أشير إلى تصدر الألوان للقائمة المحببة جدا إليه، فهي عالمه الخيالي الجميل، الذي ينقله إلى آفاق من الروعة والإدهاش.

إذن يتكامل التطور الغريزي عند الإنسان بعد الأربعين كالقمر في ليلة منتصف الشهر حينما يغدو بدرًا.

وتبقى الدنيا كمدينة جميلة، وروعتها في زمن اكتشافها، وانطفاؤها بعد استكمال معرفتها.

أما أطوار العمر المصاحبة للإنسان، والتي قسمها العلماء الى أطوار خمسة، فإن لها الروعة نفسها، والانطفاء ذاته!

وتستمر الحياة في المضي، وتبقى تضيق بمن يضيق بها، وتفتح ذراعيها لمن يفتح لها ذراعيه، وهي في تجدد متواصل، تحب وتعطي بسخاء من تبرعمت أغصانه واخضوضرت أوراقه، وتفتحت أزهاره!

إنها لتسعد به ويسعد بها!

والحطام دائمًا تذروه الرياح!

أما الأزهار فإنها باقية، تحمل الفرح والأمل والبشرى بالأجمل والأبهى!

ومن الجمال البشري الذي أبدعه الخالق جل وعلا، العيون التي هي من نعم الله الكبرى على الإنسان.. وحتى عندما تكون هذه العيون صامتة فإن صمتها له دلالات.

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

دُرر المقالات الحصرية على صفحات « مجلة الوعي الإسلامي »
للعلامة المفكر الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله
وهي ٤٨ مقالة ممتعة في مواضيعها وأفكارها.

أوقاف

اقرأ العدد الجديد

١٦

- أحكام وضع اليد على العقار الموقوف في التشريع الليبي
- دور الأوقاف في توفير الخدمات العامة
- دعم الأوقاف للموازنة العامة للدولة
- مدى مشروعية الوقف على الحيوان في الفقه الإسلامي
- التكوين التاريخي لوظيفة الوقف في المجتمع العربي

أوقاف مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بشؤون الوقف والعمل الخيري تصدرها

الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت - ادارة الدراسات والعلاقات الخارجية

صندوق البريد : ٤٨٢ الصفاة ١٣٠٠٥ ـ دولة الكويت

هاتف:١٨٠٤٧٧٧ فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦

البريد الالكتروني: awqafjournal@awqaf.org

الموقع الالكتروني: awqafjournal.net